The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Arts
Master of Arabic Language

الجامعـة الإسـلاميـة بغـزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـلـيـــــة الآداب
ماجستير لغة عـربيـــة

الصـورة الشعريـة عنـد أيمـن العتـوم

دراســة تحليليــة

The Poetic Picture of Ayman Al Atom
An analytical Study

إعدادُ البَاحِثَة
هالة مفيد هلال حجي

إشراف
الأستاذ الدكتور/
عبد الخالق محمد العف

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الماجستير
فِي اللغة العربية بِكُليةِ الأداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

رجب/1440هـ – مارس/2019م

إقـرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الصـورة الشعريـة عنـد أيمـن العتـوم

دراســة تحليليــة

The Poetic Picture of Ayman Al Atom
An analytical Study

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism ،and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**هالة مفيد حجي**	**اسم الطالبة:**
Signature:	**هالة مفيد حجي**	**التوقيع:**
Date:	**2019/03/09م**	**التاريخ:**

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2019/04/08م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة **الباحثة/ هالة مفيد هلال حجى** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ برنامج **اللغة العربية**

وموضوعها:

الصورة الشعرية عند أيمن العتوم

The Poetic Image at Ayman Al-Atoum

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاثنين 2 شعبان 1440**هـ الموافق **2019/04/08م** الساعة **العاشرة صباحاً**، في **قاعة مؤتمرات مبنى طيبة** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. عبدالخالق محمد العف	**مشرفاً ورئيساً**	.....
أ. د. كمال أحمد غنيم	**مناقشاً داخلياً**	.....
د. عبد الفتاح أحمد أبو زايدة	**مناقشاً خارجياً**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح **الباحثة** درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج اللغة العربية**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
Deanship of Research and Graduate Studies

التاريخ: ١٧/١٢/١٤٣٩هـ / 20/9/2018م | الرقم العام للنسخة 3107583 | اللغة ع | ☒ ماجستير ☐ دكتوراه

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام النسخة الإلكترونية من رسالة

للطالب/ هالة مصطفى [illegible]

رقم جامعي: 2018181 قسم: اللغة العربية كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

359

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

إدارة المكتبة المركزية

ملخص الرسالة

يُعدُّ الشعر الترجمان الحرفي للأحاسيس والمشاعر الإنسانية، سواء كانت تخص الشاعر نفسه، أو المتلقي، فهو الذي يقرأ ويتأثر، فالشاعر المبدع هو الذي يجذب المتلقي وينقله من عالم إلى آخر.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على جانب مهم من جوانب الشعر، وهو جانب الصورة الشعرية، عنصر الابداع في القصيدة، التي تُعدُّ كالحلي والجواهر التي يزين بها الشاعر ألفاظه وأحاسيسه؛ لكي تصل إلى القارئ بأبهى صورة، سواء من خلال استخدام الأساليب البلاغية، وسعة الخيال التي يتمتع بها الشاعر والكثير من العناصر الأدبية كعنصري الزمان والمكان والحركة وغيرهم، بالإضافة إلى المصادر التراثية سواء الدينية أو الأدبية أو التاريخية التي يستمد منها الشاعر صوره ليزيد الصور اثباتًا واقناعًا.

ووقع الاختيار هنا على شاعر أردني (أيمن العتوم) الذي تميز شعره بجمال الصورة الشعرية، سواء كانت وطنية حماسية أو غزلية، الذي تمرد عن الواقع المرير الذي يعيشه العالم العربي، في ظل بقعة من الظلام، فقد حاول جاهدًا بسلاحه التعبيري استنهاض الهمم، والعزة والكرامة العربية المبعثرة.

وقد خلّصت الدراسة إلى أن الشاعر أيمن العتوم قد تميز بدقة تشكيل الصورة الشعرية حسيًا ومعنويًا، وقد أجاد توظيفها في خدمة المعنى والدلالة.

Abstract

Poetry is the genuine expression of human feelings and emotions for both the poet and the person who reads and is influenced by the poetry. A great poet is one who engages the readers and pulls them into a whole new world.

This study examines a significant aspect of poetry: the poetic image, which is the creative aspect of a poem. Imagery is like gems that ornament the poem and its language. Imagery touches the reader in a very effective manner, whether through the poet's use of literary devices, his vivid imagination, or his use of literary elements such as place, time, movement and others. Furthermore, of great importance here is the poet's use of other cultural, religious, historical, and/or literary traditions and references that make the images more truthful and convincing.

The research studied the poetry of Jordanian poet Ayman Otoom, whose poetry is characterized by rich use of both national and love imagery. Ayman Otoom uses his poetry to rebel against the bitter reality and deep darkness the Arab world lives in. Therefore, he employs his poetic expressions to inspire dignity and pride in the Arab world.

The study concludes that Ayman Otoom has very unique poetic images both abstract and concrete. His imagery contributes greatly to the meanings.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾

[الشعراء: 224-227]

صدق الله العظيم

الإهـداء

إلى من انحنى لكـي أستقيم

وأحفظُ له في قلبي كلَّ جميـل

وحبّه في شَغاف القلـب يسير

إليكَ أبي

إلى من تصمتُ حروف لغتي أمامها

فقلبها لا تصفه كل لغات العالم

إليكِ أمي

إلى من كانت حروفه نارًا على الظلم

إلى الشاعر أيمن العتوم

إلى المكان الذي ترعرع فيه الحلم

ليصبح زهرة فوَّاحة

إليكِ جامعتي

شكر وتقدير

إن الحمد لله دائما وأبدًا، له الحمد على كل فضلٍ ومنة، الحمد لله على ما نحن فيه، وما عليه كنا.

ثم الشكر والتقدير إلى العلماء الذين نهلنا من بحر علمهم الواسع، وتعلمنا على أياديهم لغة القرآن الكريم، الذين لا يملون من العطاء لأجلها، فالشكر والتقدير للمشرف الأستاذ الدكتور/ عبد الخالق العف، لمتابعته المتواصلة في البحث، حتى خرج إلى النور، فبارك الله فيه، وجزاه الله خيراً.

والشكر موصول إلى عضوي لجنة المناقشة كل من:

الأستاذ الدكتور/ كمال غنيم ... حفظه الله.

الأستاذ الدكتور/عبد الفتاح أبو زايدة ... حفظه الله.

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإسداد التوجيهات الرشيدة، والملاحظات السديدة لتخرج على أكمل وجه.

كما أقدم أرقى عبارات الشكر للدكتور أيمن العتوم، لما قدمه لي من مساعدة، فما وجدت منه إلا تواضعًا وعلمًا.

ولا أنسى أن أقدم شكري إلى الأهل والأصدقاء والأحبة لدعمهم المتواصل والدائم لي، وإلى كل من ساندني ولو بدعوة خير في ظهر الغيب.

الباحثة/ هالة حجي

قائمة المحتويات

إقرار ..... أ

نتيجة الحكم .....ب

ملخص الرسالة .....ت

Abstract .....ث

اقتباس ..... ج

الإهـداء ..... ح

شكر وتقدير ..... خ

قائمة المحتويات .....د

مقدمة 1

سبب اختيار الموضوع وأهميته: 1

أهداف الدراسة: 1

منهج البحث: 2

الدراسات السابقة: 2

صعوبات البحث: 2

خطة البحث: 3

التمهيد..... 4

أولًا: البيئة الخاصة للشاعر 5

ثانيًا: البيئة العامة:..... 8

ثالثًا: مفهوم الصورة الشعرية 11

1- الصورة الشعرية قديمًا: 12

2- الصورة الشعرية حديثًا: 15

3- الصورة الشعرية عند الغرب:.....16
4- أهمية الصورة:.....17
الفصل الأول الصورة الشعرية عند أيمن العتوم أنماطها وأنواعها.....22
أولاً- الأنماط.....23
1- الصورة المفردة (الجزئية):.....23
أ- تبادل المدركات:.....24
ب- التشبيه:.....32
ج- تراسل الحواس:.....37
2- الصورة الكلية:.....39
3- الصورة المركبة:.....44
ثانياً: الأنواع.....48
1- الصورة النقلية:.....48
2- الصورة الذهنية (العقلية):.....50
3- الصورة الحسية:.....55
أ- الصورة البصرية:.....56
ب- الصورة السمعية:.....61
ج- الصورة الشمية:.....65
د- الصورة الذوقية:.....67
هـ- الصورة اللمسية:.....69
الفصل الثاني مصادر الصورة الشعرية عند العتوم.....73
أولًا: مصادر الصورة الطبيعية:.....74
ثانيًا: الثقافة:.....82
ثالثًا: مصادر الصورة الاجتماعية والإنسانية:.....122

الفصل الثالث: مظاهر رسم الصورة الشعرية عند العتوم 127
أولًا: حركية الصورة: 128
ثانيًا: دلالة الألوان: 138
ثالثًا: المكان والزمن: 158
الفصل الرابع: خصائص الصورة الشعرية عند العتوم 177
أولًا: الانزياح الدلالي: 178
ثانيًا: الصورة الرمزية: 180
ثالثًا: التناسق الفني: 193
الخاتمة 214
أولاً: النتائج 214
ثانياً: التوصيات 215
المصادر والمراجع 216

مقدمة

الحمد لله حمدًا يردده القلب قبل اللسان، الذي أنزل على عبده القرآن، علمّ البيان، الحمد لله الذي يعلم السرائر والخفايا، ونحمدك ربي على ما وهبت من العطايا، الحمد لله الذي أنطق الحجر، وفلق القمر، والصلاة والسلام على المرسل رحمة للبشر.

أما بعد:

إن الشعر الحديث يختلف عن الشعر قديمًا، بموضوعاته وبالشكل العام للقصيدة، فالشعر كالبيت الذي يتغير فيه الأثاث حسب تطور العصر، فقط تختلف الألفاظ والتراكيب التي تناولها الشعراء المحدثين عن ألفاظ القدامي، ولكن لا يختلفون في أساسيات الشعر والأوزان العروضية ومع هذا فاختلاف شاعر عن شاعر ليس بالفرق الزمني فقط، وإنما يظهر هذا الفرق بين شعراء العصر الواحد، فكل شاعر له بيئته، وله تجربته الشخصية التي يعيش بها، وله طاقته الإبداعية وإنَّ أبرز ما يبرز إبداع الشعراء، واختلاف شاعر عن غيره من الشعراء هي الصورة الشعرية فتناولت هذه الدراسة أحد الشعراء الذين كان لهم إنجاز كبير في الساحة الأدبية في العصر الحديث، سواء في دواوينه الشعرية أو في رواياته، التي كان لها صدى كبير نفوس الناس، هو ليس فلسطينياً بجنسيته، لكن إنسانيته جعلته محبًا للقدس والمسجد الأقصى، وجعلته يُعرف بقول الحق، هو الشاعر الأُردني أيمن العتوم.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

تكمن أهمية هذا البحث في التعرف على شخصية الشاعر أيمن العتوم، الذي كان يخص بشعره القضية الفلسطينية، ويظهر حبه للقدس، فقد أصدر ديوانين هما: خذني إلى المسجد الأقصى، وطيور القدس، إذ أكد انتماءه لها، ليس هذا فقط، بل أكد على انتماءه لكل حق، مهما بلغ الثمن، فمن مداد حروفه نقتبس نوراً، ومن خلال إبداعه فجراً.

أهداف الدراسة:

- التعرف على الصورة الشعرية عند أيمن العتوم (أنماطها وأنواعها ومصادرها) من خلال دواوينه، وبعض القصائد المدونة على موقع مدونات الجزيرة.
- الكشف عن جماليات شعره من خلال تحليل نماذج شعرية من دواوينه .
- إثراء المكتبة بدراسة أدبية نقدية عميقة للشاعر أيمن العتوم.

منهج البحث:

المنهج الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة هو المنهج التكاملي، حيث يتيح للباحثة استخدام أكثر من منهج في هذه الدراسة، مثل: المنهج الوصفي والتحليلي والجمالي، من خلال تحليل نماذج شعرية وإبراز ما فيها من جمال، وكذلك المنهج التاريخي من خلال تتبع حياة الشاعر ومولده ومؤلفاته.

الدراسات السابقة:

- العتبات النصية في ديوان نبوءات الجائعين، زينب مسلّم، إشراف: د. علي نجوش، جامعة محمد خضير،2017م تحدثت الباحثة عن ماهية عنوان الديوان، وفي ماهية الغلاف، وماهية اسم المؤلف، وصورة الغلاف، وأيقونة دار النشر، وعتبة الغلاف الخلفي، وشعرية العتبات النصية الداخلية للديوان من إهداء، والمقدمة والترقيم والعناوين الفرعية، هي دراسة نقدية وليس تحليلية لقصائد الديوان.
- صورة الأقصى في شعر د: أيمن العتوم من خلال قصائد: خذني إلى المسجد الأقصى، يا قلب أمتنا، ملحمة الأقصى، من ديوان خذني إلى المسجد الأقصى، فيصل غوادرة، مجلة الجامعة الإسلامية م/23، عدد1، ص29-68، 2015م، فهذه الدراسة لم تتناول الصورة الفنية في شعر أيمن العتوم بشكل عام، ولكنها اهتمت بموضوع مهم في شعر أيمن العتوم وهو الأقصى، وتناولت بعض جوانب الصورة الفنية في القصائد السابق ذكرها.
- الشعر في مواجهة التهويد شعر أيمن العتوم انموذجًا، فيصل غوادرة، مجلة الجامعة الاسلامية، مجلد23 عدد2، 2015.
- صورة القدس في شعر أيمن العتوم(طيور القدس انموذجًا)، فيصل غوادرة، جنين، جامعة القدس المفتوحة.
- وهج القناديل (قراءات في أدب الشاعر الروائي أيمن العتوم، الصديق بشير نصر) قدم فيه الكاتب قراءات نقدية حول أدب أيمن العتوم.

صعوبات البحث:

إن من الصعوبات التي واجهتها الباحثة في هذا الدراسة هي مشكلة عدم توفر بعض المصادر والمراجع التي تخدم دراستها.

خطة البحث:

ابتدأت الدراسة بتمهيد وكان تعريفًا بالبيئة الخاصة والبيئة العامة للشاعر أيمن العتوم، و ثم جاء الحديث عن الصورة الشعرية تعريفها وأهميتها.

جاء تقسيم الدراسة على أربعة فصول:

الفصل الأول كان عن أنواع الصورة وأنماطها عند أيمن العتوم، كالصورة المفردة والكلية والمركبة والعقلية والحسية بأنواعها.

والفصل الثاني جاء الحديث فيه عن مصادر البيئة الطبيعية، والمصادر التراثية عند أيمن العتوم، التي جاءت على ثلاثة أقسام:

1- **الموروث الديني:** وقد جاء على قسمين القرآن الكريم الذي ورد عند الشاعر بشكل كبير، والحديث الشريف الذي جاء بنسبة أقل.

2- **الموروث الأدبي**

3- الموروث التاريخي

أما الفصل الثالث كان عن مظاهر رسم الصورة عند أيمن العتوم كحركية الصورة، ودلالة الألوان، والمكان والزمن.

أما الفصل الرابع كان عن خصائص الصورة عند أيمن العتوم وفيه: الانزياح الدلالي والصورة الرمزية، والتناسق الفني كتناسق الألفاظ والتناسق الموسيقي.

وانتهت الدراسة بمجموعة من النتائج والتوصيات.

التمهيد

التمهيد

أولًا: البيئة الخاصة للشاعر

لا شك أن البيئة الخاصة للشاعر تسهم في تشكيل شخصيته الأدبية وتوجيه الرؤية الفكرية والسياسية، وقد كان لحياة العتوم ودراسته ونشاطه الثقافي والنقابي، وما صاحب ذلك من معاناة وتضحيات كبير الأثر في حالة الوعي والنضج والتفاعل الحقيقي مع قضايا الوطن وهموم الأمة، الأمر الذي ظهر جلياً في نتاجه الشعري والروائي.

1- مولده وتعليمه:

ولد الشاعر والروائي **أيمن علي العتوم** في مدينة (جرش-سُوْف) في الأردن، في الثاني من شهر مارس عام 1972م[1] درس الثانوية في إمارة عجمان في الإمارات العربية المتحدة[2] ثم التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا لدراسة الهندسة المدنية، وحصل على بكالوريوس الهندسة عام 1997م، إلا أن حبّه للغة العربية وسحرها جذبه لدراسة اللغة العربية، والحصول على بكالوريوس اللغة العربية من جامعة اليرموك في الأردن عام 1999م، ثم الحصول على ماجستير لغة عربية من الجامعة الأردنية عام 2004م، واستمر في طريقه نحو اللغة العربية ففي عام 2007م حصل على الدكتوراه من الجامعة الأردنية كذلك[3].

2- تقلَّد العتوم مناصب كثيرة:

- مؤسس ورئيس لجنة الأدب لاتحاد الطلبة في جامعة العلوم من عام 1959م إلى عام 1979 م.
- عضو مؤسس جمعية (الأدباء المهندسون) في الأردن .
- مؤسس النادي الأدبي في جامعة العلوم والتكنولوجيا عام 1994م.
- مهندس تنفيذي في مواقع انشائية من عام 1997م إلى عام 1998م.

---

(1) انظر: هندسة الكلمات، العتوم، وآخرون، ص 11

(2) من هو أيمن العتوم (موقع إلكتروني)

(3) انظر: هندسة الكلمات، العتوم، وآخرون، ص 11

- عمل في مدارس الرائد العربي، وعمان الوطنية، والرضوان، كمدرس للغة العربية من عام 1999م إلى عام2014 م [1].

- عمل كمقدم برنامج (ليل وبحر) وهو برنامج أدبي على إذاعة (حياة) يقدم فيه فقرات أدبية متنوعة[2].

- عمل في المدارس الأردنية الدولية إلى الآن[3]

ومع أن العتوم كان تعليمه الأول في مجال الهندسة، إلا أن اللغة العربية كانت لها النصيب الأكبر في حياته وأعماله، والمناصب التي ترأَسَها.

3- أعماله الأدبية:

كان توجه العتوم إلى الشعر والرواية؛ لذلك كانت أعماله متنوعة بين الدواوين والروايات:

أ - الدواوين:

- خذني إلى المسجد الأقصى 2009م[4]
- نبوءات الجائعين عام2012م [5].
- قلبي عليك حبيبتي عام 2013م [6].
- الزنابق عام 2015م [7]
- طيور القدس عام 2016م [8]

---

(1) هندسة الكلمات، العتوم، وآخرون، ص 11.

(2) حياة أف أم، ليل وبحر.

(3) أيمن العتوم، شاعر وروائي، هالة حجي (اتصال شخصي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، 2018/4/16م).

(4) انظر: العتوم، خذني إلى المسجد الأقصى.

(5) طيور القدس، العتوم، ص 121.

(6) المرجع السابق، ص 122.

(7) المرجع نفسه، ص 123.

(8) انظر: طيور القدس، العتوم.

ب – الروايات:

– يا صاحبي السجن عام 2012م

– يسمعون حسيسها عام 2012م [1]

– ذائقة الموت عام 2013م

– حديث الجنود عام 2014م

– نفر من الجن عام 2014م[2]

– كلمة الله عام 2015م [3]

– اسمه أحمد عام 2017م [4]

– تسعة عشر عام 2018م[5]

– طريق جهنم 2019م [6]

– أنا يُوسف 2019 م[7]

فقد كان إنتاجه الروائي أكثر، وخصوصًا بعد نجاح رواياته التي لاقت صدى كبيرًا.

ج – ومن أعماله الأدبية التي لم تُنشرْ:

– بوارق الفجر عام 1989م

– البيارق عام 1995م

– القمر المسافر عام 1998 م [8].

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص 121

(2) المرجع السابق، ص122.

(3) انظر: كلمة الله، العتوم.

(4) انظر: اسمه أحمد، العتوم

(5) انظر: تسعة عشر، العتوم.

(6) انظر: طريق جهنم، العتوم.

(7) انظر: أنا يُوسف، العتوم.

(8) كتب أيمن العتوم، المكتبة المفتوحة (موقع إلكتروني).

ولكن نشرت قصيدة يا أيها القمر المسافر في كتاب هندسة الكلمات، وهي إهداء إلى الشهيد يحيي عياش[1] .

- يا وجه ميسون (رواية)[2]

- مسرحية (المشردون) عام 1989 م، ومسرحية (مملكة الشعر) عام 2000م [3]

ترى الباحثة أن هذه الأعمال كانت بداية أعماله الأدبية؛ فكل بداية صعبة ولا يستطيع الشاعر الوصول إلى الناس بسهولة.

ثانيًا: البيئة العامة:

لا يمكن أن يكون الشاعر منطويًا، فهو ابن بيئته، يتأثر بما يجري حوله من أحداث وعوامل تساعد في صقل موهبته، فالشاعر العتوم حين كان طفلًا كان والده يجذبه إلى الشعر، فيقرأ عليه الأشعار في حب الوطن، وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره ، وكان يحفظ مئات الأبيات، مما جعل حب الوطن يزداد في داخله، وجعله يسمي نفسه شاعر الثورة [4]لأنه وقف بشعره أمام الظلم والظالم فقال في قصيدة في **طريق المؤمنين:**

فِـــــي سَـــــبِيلِ اللهِ شِـــــعْرِي وَالـــــوَطَنْ

وَمِـــــــنَ الأَوْراقِ أَعْـــــــدَدْتُ الكَفَـــــــنْ

هَكَـــــذا عَلَّمْنِـــــي العَـــــيْشَ أَبِـــــي

وكَـــــذَا يَرْهَبُنـــــا لَيْـــــلُ المِحَـــــنْ[5]

كذلك كان والد زوجته من علماء الشريعة، مما زاده ثقافة وعلمًا، فالبيئة الأسرية المثقفة والجو العلمي كان له أثرٌ كبيرٌ في حياته، وخصوصًا مكتبة أبيه التي تربى بين أحضانها [6]

---

(1) انظر: هندسة الكلمات ، العتوم، وآخرون، ص 24، ص30.

(2) المرجع السابق، ص12.

(3) الروائي الأردني أيمن العتوم ، المرسال، (موقع إلكتروني).

(4) انظر: العتوم، قصائد لعيون فلسطين (موقع إلكتروني).

(5) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص30.

(6) حوار خاص مع العتوم، يمنى مدحت، (موقع إلكتروني).

ولا يمكن نسيان تجربة الشاعر في السجن، كمعتقل سياسي خلال عامي1996 م و1997م [1] فقط كتب ديوانًا كاملًا (نبوءات الجائعين) في هذه البيئة، فكان هذا المكان الضيق، يعطي الشاعر متسعًا من الخيال، قال في قصيدة **في طريق المؤمنين:**

أنـــــا سُـــــجِنْتُ لأَشْـــــعارِي وَإِنَّ دَمِـــــي

شِـــعْرِي وَلَسْـــتُ عَلَـــى مـــا فـــاتَ مَحْزُونًـــا[2]

فكان قلمه سببًا لدخوله السجن، ولكنه لم يندم على ذلك ما دام عن الحق مدافعًا.

قال في قصيدة مشاعر في هوى الأردن:

مِـــنْ عَتْمَـــةِ السِّـــجْنِ بَـــلْ مِـــنْ نُـــورِ إِيْمَـــانِي

وَمِـــنْ دِمَـــائِي بَـــلْ مِـــنْ نَـــزْفِ أَوْطَـــانِي

كَتَبْـــتُ شِـــعْرِيَ يَـــا أُمِّـــي عَلَـــى وَرَقٍ

أَعْدَدْتُـــهُ فِـــي غَـــدِ الأَيَّـــامِ أَكْفَـــانِي[3]

ويوضح الشاعر في القصيدة نفسها سبب اعتقاله فقال:

لأَنَّنِـــي عِشْـــتُ لا أَرْضَـــى بِطَاغِيَـــةٍ

وَلا أَذِلُّ لِسِمْسَـــــــــــارٍ وَخَـــــــــــوَّانِ

وَلَسْـــتُ أَقْبَـــلُ صَـــمْتًا سَـــوْفَ يُنْقِـــذُنِي

مِـــنْ بَطْـــشِ مُنْـــتَقِمٍ أَوْ ظُلْـــمِ سَـــجَّانِ[4]

فهو يأبى إلا أن يقول الحق، مما كلفه هذا أن يكون أسيرًا بين جدران السجون وظهرت آثار هذه البيئة على الشاعر كأي سجين، فقد تذوق طعم الحنين لأمه فكتب لها من داخل السجن قصيدة **أحن إليكِ** يقول فيها:

---

(1) العتوم يروي في يا صاحبي السجن تجربته الشخصية، الغد الأردني (موقع إلكتروني).

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص13.

(3) المرجع السابق، ص45.

(4) المرجع نفسه، ص45.

أَحِنُّ إِلَيْكِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ المَزَارَ بَعِيْدٌ.... بَعِيْدْ

وَأَنَّ اللَّيَالِي طِوَالٌ عَلَيْكِ[1]

كذلك الأوضاع التي تمر بها البلاد العربية، جعلته ينطق بقلمه قبل لسانه، فكان مطلعًا على ما يدور حوله، فتحدث عن القضية الكبرى في الوطن العربي (القضية الفلسطينية) وأظهر حبه للمسجد الأقصى والقدس الشريف وانتماءه لفلسطين، فقد خصها بكثير من الأشعار.

قال في قصيدة للقدس **غنّيت الحروف:**

أنـــا للجهـــادِ نـــذرتُ شـــعري ثـــائرًا

وَالقُـــدْسِ والأَقْصَـــى الحَبِيْـــبِ الـــدّاني

ســـأظلُّ أدفـــعُ عَـــنْ حِمـــاه بِـــأَحْرُفِي

وأصـــوغُ شِـــعْرِي مِـــنْ لَظَـــى النِّيـــرانِ[2]

كذلك مما كان له تأثير حرب 2008 م على مدينة غزة، فقال في قصيدة **يا غزة العزة.**

يَـــا أهْـــلَ غَـــزَّةَ صَـــبْرًا إِنَّ مَوْعِـــدَكُمْ

جِنـــانُ خُلْـــدٍ لَكُـــمْ تَهْفُـــو وَتَعْتَنِـــقُ[3]

وعلى صعيد الحرب والدمار هناك الجمال، وهناك الأمل، فليس الجانب السلبي هو الذي يؤثر فقط في الشاعر، فهناك جانب إيجابي، حيث إن مدنية العتوم (جرش) مليئة بالآثار، وتقع آثارها في وادٍ بين جبال جلعاد[4] فتحتل المرتبة الثانية في قائمة أهم المناطق السياحية في الأردن، حيث يوجد فيها شارع الأعمدة، وسبيل الحوريات الذي يضم مجموعة من النوافير وهناك برك جرش التي تعدُّ من أهم المياه في المدنية[5]، وهذا ما جعل الشاعر يبدع في تصوير بلاده، حيث قال في قصيدة **في صحة الوطن الكبير:**

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص63

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص59.

(3) طيور القدس، العتوم، ص69.

(4) تاريخ وآثار الأردن، عصفور، ص 67.

(5) انظر: آثار مدينة جرش، بطمة، (موقع إلكتروني)

إِيْـــــهٍ بِـــــلادِي يَـــــا حَبِيْبَـــــةَ شَـــــاعِر

كَالطَّـــــائِرِ الغِرِّيْـــــدِ دُوْنَ جَنَـــــاحِ[1]

فقد جمع الشاعر في هذه الجانب الإيجابي في جمال بلاده بأن وصفها بالطائر المغرد، والجانب السلبي لما يجده من ظلم، فقال:

يَـــا (سُـــوْفُ) يَـــا عِطْـــرِي إِذَا أَنَـــا لَـــمْ أَمِـــلْ

إِلاَّ إِلَيْـــــكِ فَلِلْحَبِيْـــــبِ عِـــــذَارُ[2]

وقال في قصيدة **عشيات لا تنتهي:**

لا (السَّـــــلْطُ) تُنْكِرُنَـــــا وَلا (سُـــــوْفُ) التـــــي

فـــــي حُبِّهَـــــا تَتَعَـــــانَقُ الأَشْـــــجَارُ

كَـــمْ مِـــنْ رُبُـــوعٍ فِيْهِمَـــا مَـــا اخْتَارَهَـــا

إِلاَّ لِسِـــــحْرِ تُرَابِهَـــــا النَّـــــوَّارُ[3]

ولم يكتفِ الشاعر بوصف حبه لبلده فقط، ما دام يتنقل إلى البلاد الأخرى وينقش فيها ذكرياته، فمثلًا كتب قصيدة **(يا وادي النيل)** فقال.

كَـــمْ مَرْكَـــبٍ فِيْـــكَ مُنْســـابٍ يُداعِبُـــهُ

مَـــرُّ النَّسِـــيمِ عَلـــى وَجْنـــاتِ وَلْهـــانِ[4]

هكذا كانت الظروف والعوامل الاجتماعية والسياسية، والتجربة الشخصية عند الشاعر في تحريك قلمه الشعري.

ثالثًا: مفهوم الصورة الشعرية

الصورة لغة:

وردت مادة (ص و ر) في المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة، فالحركة تغير المعنى

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 55.

(2) المرجع السابق، ص35.

(3) المرجع نفسه، ص33.

(4) المرجع نفسه، ص134.

الصورة " الشكل والتمثال المجسم"[1] كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِى أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [2] والمقصود هنا في أي شكل.

ومن معاني الصورة صفة الشيء، وماهيته المجردة، وخياله في العقل وتأتي بمعنى النوع فحين نقول: هذا الأمر على ثلاث صور، أي أنواع [3] "والجمع صُوَرٌ، صِوَرٌ، صُوْرٌ "[4] فكلمة الصُورة في اللغة لها ثلاثة معانٍ وهي: (الشكل والصفة والنوع).

هناك من التعريفات جمعت بين الشعر النثر، أي الصورة الأدبية بشكل عام، فهذا الفرق بين الصورة الأدبية التي تضم أنواع الأدب، أما الصورة الشعرية التي تخص الشعر وحده.

الصورة هي "عنصر جوهري مميز ومكون أساسي لكل من النثر والشعر القائم على الخيال"[5]

يتحدث هذا التعريف عن أهم عنصر من عناصر الصورة وهو الخيال، بهذا يمكن القول بأن هذا يتفق مع المعنى اللغوي- السابق ذكره- القائل بأن صورة الشيء ماهيته وخياله في الذهن.

وقد عرفتها بشرى صالح بقولها: " هي الصوغ اللساني المخصوص، الذي بواسطته يجري تمثل المعاني تمثلًا جديدًا ومبتكرًا بما يحليها إلى صورة مرئية معبرة"[6].

1- الصورة الشعرية قديمًا:

مصطلح الصورة ليس حديثًا، وإن كان مختلفًا عما هو عليه عند النقاد المحدثين، فقد تحدث القدامى عن معنى الصورة بشكل عام، الأقرب إلى المعنى اللغوي.

---

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 528.

(2) [الانفطار: 7- 8]

(3) انظر: معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، ص 528.

(4) لسان العرب، ابن منظور، ج437/4.

(5) معجم المصطلحات الأدبية، فتحي، ص 225.

(6) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، صالح، ص3.

ارتبط فَهْم القدامى للتصوير في الشعر من خلال نظرية المحاكاة عند أرسطو، وهي أن الشعر نقل أو نسخ للعالم الخارجي، وبقي كذلك إلى أن تغيرت النظرة للشعر، حيث أدرك بعض النقاد دور التخيل بشكل واضح حين تنبهوا إلى العلاقة بين المعاني المباشرة للصور وما يكمن في وجدان الشاعر، مما جعل ابن جني يرى أن الاتساع في المعاني من أهم عناصر الصورة التي هي المجاز عنده[1].

ظهرت الصورة عند الجاحظ حين تحدث عن الفرق بين الشعر وغيره من الكلام، وإن كان مختلفًا عما يقصد به عند المحدثين حيث قال: " الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " [2].

فهنا إشارة إلى أهمية الصورة الشعرية حيث إنها قوام الشعر، وإن صح القول إنها العمود الذي يقوم عليه الشعر، وسيأتي الحديث فيما يأتي عن أهمية الصورة.

وكذلك تحدث عنها قدامة بن جعفر حين قال: " المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة، من أن لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها مثل الخشب للنجار"[3] فتحدث عن الشعر من حيث المادة والشكل، فالمعاني هي المادة التي يستعملها الشاعر لبناء شكل شعره وإخراجه بصورة توصل إحساسه وخياله إلى الناس، وبتعريفه هنا يتفق مع التعريف اللغوي القائل بأن الصورة هي الشكل.

بما أن كان عمود الشعر قديمًا يقيد الشاعر ويحد من شاعريته، فكان الشاعر الجاهلي يهتم بالنظم وقوة اللفظ أكثر من الخيال والتصوير، فكان الشاعر كالخطيب، ومن ثمّ لجأ إلى التعبير المجرد، حتى إن لجأ إلى الاستعارة اشترطوا الشبه بين المستعار والمستعار له [4].

أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فيقترب من مفهوم الصورة حيث قال" إنما سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، فكما ترى الرجل قد تهدّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخيّر والتّدبر في أنفس الأصباغ، كذلك حال الشاعر، والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي عملت أنها محصول

---

(1) تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي (بشار بن برد انموذجًا) أبو رمان، ص7-8.

(2) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ص ص 131 – 132.

(3) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص4.

(4) الصورة في شعر بشار بن برد، نافع، ص 59.

النَّظْم"[1] فكما الفنان يستخدم الألوان لتجميل لوحاته، كذلك الشاعر مستخدمًا أدواتها التي يزين بها حروفه وكلماته، فربط الصورة في الشعر بالرسم والألوان كما ربط ذلك بعض النقاد الغربين كما سيأتي هذا لاحقًا.

من خصائص الصورة قديمًا اهتمام النقاد العرب القدامى بالمعنى، وقوة اللفظ، ووضوح التشبيه، أما الاستعارة والخيال فكان الاهتمام بهما قليلًا، فاهتموا بوضوح التشبيه والمعنى وبعده عن الغموض [2] وعلل النقاد سبب ميلهم للوضوح بأن " النفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ... وجميع جوارح البدن تسكن إلى ما يوافقه" [3] وهذا دليل على أنهم نظروا إلى الصورة نظرة حسية [4] فاعتبروا الخيال انحرافًا، وكثيرًا ما يطلقون على هذا الانحراف كذبًا [5] وأن فيه خداعًا للعقل، ولعل أهم ما أضعف الخيال انطلاق الشاعر وتكراره صورًا مألوفة، وأما الكذب فليس المقصود به الكذب وإنما الصنعة[6].

فالشاعر ليس مؤرخًا يكتب التاريخ يجب أن ينقل الأحداث كما هي، فمهمته أن ينقل الصورة بأبهى الصور؛ كي تؤثر في النفس الإنسانية، فربما الكلام الحقيقي لا ينقل هذا التأثير.

"فكانت صور القدماء مادية لا تخرج عن نطاق الحواس الظاهرة، وتهتم بالحقائق والتفصيلات، وتنفر من الغموض، تدور حول الخصوص لا العموم وتكره التدسس إلى ما وراء الماديات لسبر أغوار النفس" [7] مع أن هذا الغموض يزيد من قيمة الشاعر ومقدرته الشعرية بشرط أن هذا الغموض لا يطول طويلًا.

وكان تركيز النقاد القدامى على وحدة البيت، فلم يلتفت الشاعر إلى أن الصورة تتعاون مع الفكرة العامة، أو الشعور الذي يهدف إلى تصويره، فكانت صوره جزئية غير متآلفة في إبراز الصور الكلية حتى لو اتحد موضوعها [8].

---

(1) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص309.

(2) المرجع السابق، ص 60.

(3) الصناعتين، العسكري، تحقيق، علي الباوجي، ص 57.

(4) انظر: الصورة في شعر بشار بن برد، نافع، ص64.

(5) المرجع السابق، ص 67.

(6) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص 309.

(7) فن التشبيه، الجندي، ج2/ 82.

(8) الصورة في شعر بشارد بن برد، نافع، ص 66.

2- الصورة الشعرية حديثًا:

الصورة الشعرية الحديثة تختلف عما كانت عليه قديمًا، حيث كانت جامدة مجرد حشد القصيدة بالعناصر الحسية، والتركيز على الأغراض البلاغية، فالصورة الشعرية حديثًا إن " أبرز ما فيها الحيوية؛ وذلك راجع إلى أنها تتكون تكونًا عضويّا وليست مجرد حشد مرصوص من العناصر الجامدة" [1] وإن لم تتخل الصورة الحديثة على الحسية، لكنها لا تختار العناصر الحسية لأنها في ذاتها جميلة، فهي تهتم بأن تكون الأداة لنقل الأحاسيس والخبرات والتجارب في الحياة، وأن تطبع تأثيرًا قويًا في نفس المتلقي [2] فلا يتم الوقوف عند معناها، بل إن وراء المعنى معنى آخر يُسمى (معنى المعنى) فالشاعر أصبح يعبر بالصور الكاملة كما يعبر باللفظ، فأصبحت الصورة أداة للتعبير[3] فلم يبقَ المقصود بهذا المصطلح الصورة البلاغية فقط فأحيانًا تخلو الصورة الحديثة من المجاز، ومع هذا فهي صور تحمل خيالًا خصبًا[4] فالشاعر الحديث تتابع الصور عنده أكثر، ولا يكون استخدامه للصورة لمجرد البرهان والإثبات، فيحاول أن يجعل صوره جديدة، ناقلة للتأثير، مترابطة مع بعضها، فما يريد الشاعر أن يصل إليه يوقعه في الاضطراب، ويصعب الترابط الذي يريده، فالناقد يستطيع أن يتغلغل وراء الصور ليوجد الرابط فيما بينهم[5]

أما تعريف الصورة فلا يمكن الوقوف على تعريف نهائي للصورة عند المحدثين؛ لأنها مرتبطة بالقدرات الإبداعية للشاعر، التي تختلف من شاعر إلى أخر؛ وسبب أخر وهو أن تلقّي الصورة يختلف من شخص إلى شخص، من حيث أبعادها الدلالية والإيحائية، ويختلف النقاد في التعبير عن استجاباتهم للصورة [6].

عرفها عبد القادر القط: "هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدمًا طاقات اللغة وإمكاناتها " [7].

---

(1) الأدب وفنونه، إسماعيل، ص82.

(2) المرجع السابق، ص82.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص82.

(4) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، البطل، ص 25.

(5) فن الشعر، عباس، ص232.

(6) انظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، صالح، ص19.

(7) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، القط، ص 391.

وعرفها **اليافي:** "هي واسطة الشعر وجوهره" [1] فقد رأى أن بناء الشعر هو بناء صوري، فالقصيدة وحدة متكاملة تتكون من وحدات متعددة، وكل وحدة هي صورة تشكل مع أخواتها الصورة الكلية، التي هي العمل الفني نفسه[2]، فقد ضم هنا تعريفًا للصورة الجزئية والصورة الكلية.

وعند **مدحت الجيار** هي: "علاقات لغوية خاصة يقيمها الشاعر في لغته ليعبر بها عن موقفه مشكلًا جماليًا"[3] فكل صورة شعرية تعد وضع علاقات لغوية جديدة في طريقة جديدة [4] فمجرد استخدام الشاعر للمفردات استخدامًا مختلفًا عن المألوف فيكون وضعها في صورة شعرية[5].

اطلق بعض المؤلفين مسميات أخرى على الصورة الشعرية، فقد أطلق أبو القاسم الشابي عليها مصطلح الخيال[6] فالخيال له دور كبير في الصورة الشعرية، ولكن هناك أشياء أخرى بجانبه فليس الصورة هي الخيال فقط، أما مصطفى ناصف يرى أن الصورة أحيانًا بمعنى الاستعمال الاستعاري للكلمة[7].

وترى الباحثة بأن الصورة الشعرية هي: إمكانيات الشاعر الخيالية وكل ما أُتي به من خيال واسع، حتى يستطيع أن يوصل للقارئ إحساسه.

3- الصورة الشعرية عند الغرب:

فقد دار تعريف الصورة الشعرية عند بعض الغرب بارتباطها بالفن التشكيلي (الرسم) فيقول**(سيمونيدس لكيوس)** حين عرف الشعر وربطه بالرسم: " إن الشعر صورة ناطقة أو رسم، وإن الرسم أو التصوير شعر صامت"[8].

---

(1) مقدمة لدراسة الصورة الفنية، اليافي، ص40.

(2) انظر: المرجع السابق، ص40.

(3) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ،الجبار، ص31.

(4) انظر: المرجع السابق، ص3.

(5) انظر: المرجع نفسه، ص6.

(6) المرجع نفسه، ص21.

(7) المرجع نفسه، ص21

(8) قصيدة وصورة، مكاوي، ص15.

وعرفها **(سيسل لويس)** بقوله: "رسم قوامه الكلمات"[1] وقد أتبع لويس هذا التعريف بشرح ، فجاء هذا حسب قوله: بأن الطابع الذي يغلب على الصورة كونها مرئية، وأن الكثير من الصور تبدو غير حسية، ولكنها يمكن أن تعتمد على حاسة أخرى أكثر من اعتمادها على البصر[2] فهو بذلك بعد أن شبه الصورة بالرسم فقد فرق بينهما.

وعند روز غريب كذلك التي عرفت الصورة الشعرية: "هي لوحة مؤلفة من كلمات، وهي ذات جمال ذاتي تستمده من اجتماع الخطوط والألوان والحركة ونحو ذلك العناصر الحسية"[3]

فإن كان هناك تشابه بين الرسم والشعر، لكن يبقى للقصيدة وللغة قدرة على توصيل العالم الداخلي، والأحاسيس أكبر من قدرة الرسم الذي يعتمد على حاسة البصر فقط.

وقد وصل الغرب بمناهجهم الحديثة إلى الغموض في الصورة، فمثلًا الصورة الشعرية في السريالية " تتبع من مواقع غامضة في الذات بتأثير لا إرادي من الإيحاء غير الواعي"[4] فالعقل نعمة من الله –تعالى– لا يجب أن نتغافله وأن نصدر أشياءً بدون تحكيمه، وإذا كان الخيال من مقومات الصورة الشعرية فلا يوصل الشاعر إلى درجة اللاوعي.

4- أهمية الصورة:

لكل شاعر بصمة، وقد تظهر بصمة كل شاعر من خلال التعبير عن تجربته بالصور الشعرية التي يبدع فيها في شعره.

إن التعبير بالصورة يعد الخاصية الأساسية منذ تكلم الإنسان الشعر، وقد أشارت دراسات إلى أن المجاز هو اللغة الإنسانية الأولى، وقد قرر أرسطو بأن الاستعارة هي محك الشاعرية ودليل على عبقرية الشاعر[5] وقد جاءت هنا الإشارة إلى المجاز والاستعارة باعتبارهما من الأدوات التي يستخدمها الشاعر في صياغة صوره الشعرية.

---

(1) الصورة الشعرية، لويس، ص21.

(2) المرجع السابق، ص21.

(3) تمهيد في النقد الحديث، غريب، ص191.

(4) المرجع السابق، ص63.

(5) الصورة والبناء الشعري، عبد الله، ص12.

فالتعبير والإيحاء بالأفكار عن طريق الصور يعطي الشعر قوة[1]، فتستخدم في الشعر لتعبر عن أشياء وحالات غامضة لا يمكن التعبير عنها مباشرة[2]، فهي أداة الشاعر الوحيدة التي ينقل بها ما يجول بوجدانه، وهي واسطة التعبير في الشعر، ومن خلالها يتم التفريق بين عصر وعصر وتيار وتيار، وشاعر عن غيره من الشعراء، وتدل على قيمة عمل الشاعر، وتكون رمزًا على عبقرتيه وشخصيته [3]، فهي التي تميز أسلوبه وخبرته الفنية التي يستوحيها من الحياة ومن المعرفة الثقافية محتوى ومضمونًا [4].

فالصورة كلام يتكون من عناصر محسوسة، من خطوط، ألوان، حركة، وظلال تحمل عاطفة فكرة تدور في ذهن الشاعر، فهي توحي أكثر من المعنى الظاهر والواقع الخارجي[5].

فقد أخذت الصورة منزلة عالية في مناهج النقد، وعند النقاد فقد كانت في مقدمة وسائلهم لدراسة الشعر[6] فهي الشيء الثابت الذي لا يتغير في القصيدة[7] فهي تساعد على كشف المعاني العميقة في القصيدة[8] فالصور الجريئة والغريبة في الشعر هي بمثابة القوة وشيطان الشعر[9] وللدلالة أكثر على اهتمام النقاد بالصورة الشعرية فكانت هناك مدرسة (الإيماجيين) أو شعراء الصورة، الذي كان (هيوم) هو الواضع الأول لفكرتها، وهي أن الشاعر هو من يعبر عن أمور الحياة العادية في صور جديدة [10] وترى الباحثة أنه يمكن الرد على هذه المدرسة بقول من قال بأن ليس شرطًا بأن تكون كل لفظة في القصيدة وكل عبارة تحت مسمى الصورة الشعرية، أو خروجها من المعنى المعتاد إلى المجاز[11].

---

(1) الصورة في شعر بشار بن برد، نافع، ص 57.

(2) المرجع السابق، ص 52.

(3) مقدمة لدراسة الصورة الفنية، اليافي، ص40.

(4) انظر: الصورة الشعرية في النقد الحديث، صالح، ص7، والصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجبار، ص3.

(5) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، عساف، ص28.

(6) الصورة الشعرية في النقد الحديث، صالح، ص7.

(7) الصورة الفنية، لويس، ص 45، والصورة والبناء الشعري، عبد الله، ص12.

(8) فن الشعر، عباس، ص 230.

(9) المرجع السابق، ص230.

(10) فن الشعر، عباس، ص ص87-88.

(11) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجبار، ص7.

فلهذا يجب على الشاعر أن يوازن بين المضمون والصورة، فلا يطغي المضمون على الصورة، فيكون الكلام خارجًا عن الأدب إلى باب العلم، ولا تطغي الصورة على المضمون، وإلا كان أدبًا لفظيًا لا قيمة له من حيث الفكر[1].

لذا يمكن وضع ما تسهم فيه الصورة في نقاط:

– **التأثير:** ما تتركه الصورة التي ابتدعها الشاعر في نفس القارئ، وهي أقدر عناصر بناء القصيدة على تثبيت الفكرة والإحساس فيها[2]، ولكي نوضح هذا بنموذج من الشعر فقال الشاعر في قصيدة **العراق الحر:**

كَمْ دُمُوْعٍ وَيَتَامَى وَأَيَامَى

وَمَلاييِنَ مِنَ الأَطْفَالِ تَجْأَرْ

جِئْتَ يَا بُوْشُ لِكَيْ تُنْقِذَهَا؟!

أَمْ مِنَ الإِسْلامِ قَدْ جِئْتَ لِتَثْأَرْ؟! [3]

يتحدث الشاعر هنا عن حرب العراق، وما خلفتها هذه الحرب من دموع اليتامى والأرامل، مصورًا صرخات الملايين من الأطفال، ويسأل الشاعر بوش إذا جاء لينقذ العراق أما جاء ليثأر من الإسلام.

– **الإمتاع:** فالصورة الشعرية تطرب النفوس، وتُثير التعجب لدى القارئ، لما فيها من خيال، والأفكار والأحاسيس التي تجول في نفس الشاعر [4] فقال الشاعر في قصيدة **الخفافيش:**

زَيَّفْتُ نَفْسِي وَلَمْ أَعْبَأْ بِتَشْوِيْشِي

لَمَّا تَرَيَّشْتُ رِيْشَاً لَيْسَ مِنْ رِيشي

وَرُحْتُ أُنْكِرُ نَفْسِي حِيْنَ أُبْصِرُهَا

وَقَدْ لَبِسْتُ مَعَ القُبْقَابِ طَرْبُوشِي

وَلَسْتُ أَذْكُرُ مَنْ أَحْبَبْتُ في عُمُرِي

---

(1) مدارس النقد الحديث ، خفاجي، ص55.

(2) الصورة الفنية في الشعر العربي ،الغنيم، ص18.

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص75.

(4) الصورة الفنية في الشعر العربي، الغنيم، ص18.

فَقَدْ تَعَتَّقَ حُبٌّ فِي نَخَاشِيْشِي[1]

فهنا يصف الشاعر حال الإنسان الذي لا مبادئ له، ويرضى بالذل، وأن هناك من يحركه، فيصف هذا الإنسان بأنه مرغم على تنفيذ ما يُطلب منه (لبستُ مع القبقاب طربوشي) بأن لا يحكم على نفسه، وهناك من يدير له أموره حسب ما يراه هذا المدير، حتى ينسى هذا الإنسان فضل الناس عليه، فجمال هذا التصوير مع الكلمات البسيطة والواضحة فيها جمال وتعبير عن خيال الشاعر.

- **الإيضاح:** فحين يُعبر الشاعر عن أفكاره بالصورة الشعرية، يزيد القصيدة وضوحًا، ويجعله مقبولًا لمن سمعه[2].

يقول الشاعر:

فـــي بعـــضِ أسْـــطُرِيَ القليلـــةِ أنفُـــسٌ

ماتـــتْ، وعاشـــتْ رُوحُهـــا بِفَضـــائي[3]

يوضح الشاعر هنا أهمية الكتاب، فيتحدث الكتاب عن نفسه وأنه يضم بين طياته شخصيات وأحداثًا وعلومًا للعقول البشرية، حتى وأن غادرت الدنيا فتعيش بين أسطره.

- **جمال الأسلوب:** فالصور تُجمل الكلام وتجعله بين الحقيقة والخيال، وبما يستخدمه الشاعر من محسنات بديعية الذي تجعله مختلفًا عن الكلام التقريري والغير أدبي [4].

فقال الشاعر في قصيدة العراق الحر:

يَـــا بِـــلادَاً حَلُـــمَ السَّوْسَـــنُ فِيهـــا

فَـــأَتَى مِـــنْ رَحْمِـــهِ مِسْـــكٌ وَعَنْبَـــرْ

إِنَّ بَغْـــــدَادَ التـــــي أَعْرِفُهَـــــا

سِـــنْدِبَادٌ مِـــنْ ضِـــفَافِ الحُلْـــمِ أَبْحَـــرْ[5]

---

(1) الخفافيش، مدونات الجزيرة، (موقع إلكتروني).

(2) الصورة الفنية في الشعر العربي، الغنيم، ص18.

(3) المجد يحنِي الرأس للقراء، الكتاب حين يتحدث عن نفسه، مدونات الجزيرة، (موقع إلكتروني).

(4) الصورة الفنية في الشعر العربي، الغنيم، ص18.

(5) خذني إلى المسجد الأقصى، ص ص72-73.

يصف الشاعر مدينة بغداد، فشخص الشاعر هنا السوسن هذا النبات بصورة امرأة تلد المسك العنبر، فجمال هذا التصوير نابعًا من وصف الطبيعة ووصف السوسن وجمال بغداد كالمسك والعنبر.

والصورة الشعرية كذلك تكون علاقات لغوية في الكلمات ذاتها، بل في الكلمة وعلاقاتها مع بغيرها، من خلال الاستخدام المجازي من دلالات متنوعة، والذي يولد علاقات خصبة بين الدال والمدلول، وتراعي المفردات في علاقاتها، والمفردات في امتداداتها الدلالية[1].

(1) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص26.

الفصل الأول
الصورة الشعرية عند أيمن العتوم
أنماطها وأنواعها

الفصل الأول

أنماط وأنواع الصورة عند أيمن العتوم

تتنوع أنماط الصورة الشعرية بشكل عام ويرجع ذلك إلى صعوبة تحديد هذا المفهوم وتحديد أنماطه وأنواعه، واختلاف أذواق النقاد في الإحساس بالقيمة الفنية له[1]

ففي النقد القديم لم يهتم بأنماط الصورة فقد تناولها بما يناسب ذلك العصر، والوسائل التي كانت متاحة في ذلك الوقت، وقد اتسمت دراسة أنماط الصورة في النقد القديم بأنها فلسفية تنظيرية فيها تأكيد قيمة الوسائل التي تعتمد عليها هذه الأنماط وأهمها الحس البلاغي، واتسمت كذلك بأنها جزئية تقتصر على الصورة في البيت أو البيتين، ولم تعتمد على القصيدة أو الربط بين أشكال الصور في القصائد المختلفة [2]

أما أنماط الصورة في النقد المعاصر يمكن تحديد عنصرين استقرت عندهما أنماط الصورة

- محور التشكيل: وهو دراسة أنماط الصورة من حيث تشكيلها ومصادرها.
- محور البناء: وهو دراسة أنماط الصورة طبقًا لصلة الصور ببعضها، وعلاقتها بالقصيدة وأبنيتها المختلفة[3].

أولاً- الأنماط

1- الصورة المفردة (الجزئية):

لا بد للقصيدة بكاملها، وبفكرتها العامة أن تتكون من جزيئات لكي تصل القارئ إلى الصورة الكلية، فالشاعر حين ينقل تجربته من عالمها المجرد إلى عالم من الجمال بوسائل وأدوات بلاغية وغيرها[4]، فهذه الوسائل "هي صور جزئية ترتبط فيما بينها تندرج في نمو لتكون الصور الكلية"[5].

فالصورة الجزئية لها دورها في الشعر، فهي كالألوان والخطوط في الرسم لها وضعها الخاص، وهي نموذج تتخيل من خلاله الصورة الحقيقية[6] وتسهم في إيصال إحساس الشاعر ونقل تجربته.

---

(1) الصورة الشعرية في النقد الحديث، صالح، ص105.
(2) المرجع السابق، ص 109.
(3) المرجع نفسه، ص109.
(4) الصورة الأدبية تاريخ ونقد، صبح، ص 130.
(5) المرجع السابق، ص130.
(6) النقد الأدبي الحديث، هلال، ص416.

فالشاعر العتوم تنوعت الأدوات والوسائل التي بنى عليها صوره الشعرية، وزين بها الكلام لكي يعبر عما في وجدانه فمنها:

أ- تبادل المدركات:

"وهو تبادل الصفات بين الأشياء المادية والمعنوية" [1] ويقصد بذلك إذا كانت معنوية يحولها الشاعر إلى مادية أو العكس، وذلك عن طريق التشخيص والتجسيم والتجسيد.

- **التشخيص:**

هو إعطاء وبث الحياة الإنسانية في الأشياء الجامدة التي لا تتصف بالحياة[2] أو هو منح صفات الإنسان لغير الإنسان، حتى يتصوره الشاعر كأنه إنسان يحس ويفكر تفكيره ويفعل فعله [3] مثل مخاطبة الطبيعة كأنها شخص يسمع ويستجيب[4] فالتشخيص ملكة يصل إليها الشاعر من خلال الشعور الواسع والدقيق[5] فالشاعر من خلال إحساسه وخياله الواسع أن يقطع الحواجز، لكي يُعبر عما يشعر به.

وجاء التشخيص في شعر العتوم، فأخذ من الصفات الإنسانية وعكسها على مظاهر الطبيعة التي تتصف بأنها جامدة، لكي يقرب الصورة التي يريد إيصالها ويضيف إليها جمالاً، وفيما يلي بعض من النماذج الشعرية التي أبدع فيها.

فقال في قصيدته **يا من تأوي إليها الطيور** التي أهداها لأمه:

زَمَـــنٌ (المَرايِيْـــعِ) الَّـــذي لا يَنْتَهِـــي
وَلِكُـــلِّ شَـــعْبٍ كَبْشُـــهُ المُتَمَرْيِـــعُ.
زَمَـــنٌ بِـــهِ تَقْضِـــى الكِـــلابُ وَتَحْكُـــمُ...
الفِئْـــرانُ فِيـــهِ، وِتُسْتَشَـــارُ الضِّـــفْدَعُ[6]

---

(1) مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم الشابي، لعكايشي، ص109.
(2) اللغة الفنية، مجموعة مؤلفين، ص 115.
(3) تطور الأدب الحديث في مصر، هيكل، ص333.
(4) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبه، ص102.
(5) التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، السعدي، ص87.
(6) نبوءات الجائعين، العتوم، ص132.

وصف الشاعر دار القضاء والمحكمة التي أصدرت عليه الحكم دون ذنب، بمجرد قول الحق وأنه رفض أن يكون ضمن القطيع، الذي لا يستطيع إلا أن يقول نعم لسيده، فكانت هذه المحكمة بما فيها من قضاة ومستشارين سببًا في توهج نار الحنين لأمه، فجاء تصويره لهذه المحكمة بأنها غابة لا قانون عادل فيها، وصف الشاعر (الكلاب، والفئران والضفدع) بصفات إنسانية، فجعل الكلاب تقضي، والفئران تحكم، والضفدع مستشارًا يُلجأ إليها في أخذ القرارات، وهذا يدل على الاستهانة بالحكم الذي حُكم عليه، حيث إنه لم يرتكب أي ذنب.

وقال واصفًا حال العرب **في قصيدة حمدان** (العراقي):

حَمَلْـــتَ جُـــرْحَهُمُ دَهْـــراً وَمَـــا حَمَلُـــوا

فَمَـنْ هُـوَ الـذِّئْبُ يَـا حَمْـدَانُ وَالحَمَـلُ؟!

وَقَفْـــتَ تَسْـــتَنْطِقُ الأَعْـــرَابَ أَجْمَعَهَـــا

فَمَـــا أَجَابَـــكَ إِلاّ الـــرِّيْحُ وَالطَّلَـــلُ[1]

وصف حمدان (كل إنسان ضعيف) حين نادى العرب حين دافع عنهم ولكنه لم يجد من العرب إكرامًا، ولم تدافع عنه، فيريدها أن تنطق، ولكنها عجزت عن الكلام، خرساء لا حياة إذا ناديتها، وجعل الريح والأطلال كالإنسان الذي له أذن يسمع إذا نُودي أو أُستغيث به.

وقال أيضًا في قصيدة **حبيبتي كيف أنسى:**

نُثَـــارَةٌ أَنَـــا فـــي قَفْـــرٍ تُصَـــرِّفُنِي

هَـــذِي العُيُـــونُ، وَتَهْـــوَى قَتْلِـــيَ الحَـــدَقُ

أَرِقْـــتُ حَتَّـــى حَسِـــبْتُ اللَّيْـــلَ يَعْشَـــقُنِي

وَلَـــمْ يَـــزَلْ يَتَمَشَّـــى فـــي دَمِـــي الأَرَقُ[2]

يصور الشاعر محبوبته (ميسون) في مشهد غزلي جميل، فهو حين يراها تجعله عيونها متشتتًا، كالقمح المبعثر في كل مكان، وتجعله في مكان خالٍ من البشر والماء، ويكاد سواد عيونها أن يقتله.

وبالرغم من هذا الإحساس، يكمل الشاعر وصفًا للحزن الذي يتركه البعد عن المحبوبة، فوصف الشاعر الليل بالإنسان الذي يعشق، وقد وُفقَ الشاعر في هذا التشخيص، فالليل بهدوئه

---

(1) قلبى عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 84.

(2) الزنابق، العتوم، ص1.

منبع الأحاسيس والشعور، ومن ظلمته يعكس على النفس سوادها، ومن كثرة خوف الشاعر وأرقه وصف الأرق كإنسان يمشى في دمه ولا يفارقه.

ويستمر الشاعر في تصوير بؤسه وحزنه فقال في قصيدة **كفرَ الحزن:**

كُتِـــــبَ البُـــــؤْسُ وَالشَّـــــقَاءُ لِقَلْبِـــــي

وَعَلَـــــى الـــــرُّوْحِ أَنْ تَجُـــــوعَ وَتَعْـــــرىَ[1]

يوضح الشاعر بأن الحزنَ والشقاءَ ملازمان له في حياته، وجعل روحه الشيء المعنوي كالإنسان الذي يجوع، تجوع للراحة والفرح، فهي لا ترتدي ثوبًا من الضحك.

وقال في **قصيدة الحلاج:**

يَـــــا مَـــــنْ غَفَـــــرْتَ لِقَاتِلِيْـــــكَ لَرُبمَـــــا

بَكَـــــتِ السَّـــــمَاءُ وَدَمْعُهَـــــا ثَجَّـــــاجُ[2]

يصور الشاعر مشهد حزن السماء على موت الحلاج الشاعر الصوفي، الذي سجن بتهمة أنه صاحب فكرة أن من لا يستطيع الحج إلى الكعبة، فليفرد مكانًا يشبه الكعبة في البيت ويطعم ثلاثين يتيمًا، وحين سُئل عن مصدر هذا قال إنه من كتاب الإخلاص للحسن البصري[3] وحكم عليه بالإعدام وأُعدم عام 309 هـ [4] فحزنت السماء حتى أنها بكت كالإنسان الذي يبكي على فقْدِ الغالي، ويسكب الدموع بغزارة كما المطر، فكانت تجربة السجن قبل الإعدام نقطة التقاء بينه وبين الشاعر العتوم، ففي قصيدة **نبوءات الجائعين** يوضح أنه حين اعتقل كأنه خارج عن التشريع الإلهي:

مِنْ أَيْنَ صَارَتْ كِلْمَةُ الأَحْرَارِ خَائِنَةً ...

وَصَارَ الشِّعْرُ جُرْمًا...

وَالقَصِيْدَةُ قُنْبُلَةْ ؟!

مِنْ أَيْنَ صَارَ الحَرْفُ سَفَّاحًا... [5].

---

(1) الزنابق، العتوم، ص6.

(2) قلبي عليك حبيبتي، العتوم، ص 64.

(3) قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد، عبد الفتاح، ص38.

(4) المرجع السابق، 39.

(5) نبوءات الجائعين، العتوم، ص23.

تساءل الشاعر ويتعجب من سبب اعتقاله في السجن، هل لأن كلمة الإنسان الحر الذي لا يتبع الباطل أصبح خارجًا عن القانون، ويتهم بالخيانة؟! أو من يقول رأيه في كل حرف يكتبه يعد سكينًا يقتل به الناس؟! ففي هذه الصورة وصف كلمة الحق بصفة من صفات الإنسان وهي الخيانة، وأكمل صورته بتشخيص الحرف، كأنه إنسان مجرم يقتل من يخرج عن قانون الحق.

وقال في قصيدة طيور القدس:

إذَا امْـــــتَلأَتْ عُـــــرُوقُ (القُـــــدْسِ) نَزْفًـــــا
يَكُـــــونُ بِقَلْـــــبِ (عَمّـــــانَ) الضِّـــــمَادُ
وَإِنْ (نَـــــابُلْسَ) صَـــــاحَتْ وَاسْـــــتَغَاثَتْ
يَكُـــــونُ لَهَـــــا مِـــــنَ (السَّـــــلْطِ) النِّجـــــادُ
وَإِنْ صَـــــوْتُ (الخَلِيْـــــلِ) ذَوَى لِقَهْـــــرٍ
فَفِـــــي (الكَـــــرَكِ) الأَبِيَّـــــةِ يُسْـــــتَعادُ
وإِنْ (بيســـــانُ) أَرَّقَهـــــا همـــــومٌ
(فإربِـــــدُ) يســـــتَبِدُّ بهـــــا السُّـــــهادُ[1].

يمثل الشاعر هنا ويذكر بأن الأردن وعمان العاصمة بالأخص، تساند القضية الفلسطينية، فجعل الشاعر القدس إنسانًا جريحًا، عروقها قد أصابها جرح عميق ونزفت وما زالت تنزف الدم، ومدنية عمان بقلبها المتعاطف تكون الضامد والمعالج لهذا الجرح العميق، ويكمل الشاعر بالتشخيص فنابلس التي تستغيث، وبيسان التي وصفها بإنسان يصيبه الأرق والقلق، ويملأ قلبه الهموم، كما وصف إربد المدنية الأردنية التي تسهر ولا تعرف النوم كما بيسان.

- **التجسيد:**

التجسيد هو جعل الشيء المعنوي الذي لا يدرك بالحواس الخمس، كأنه جسم محسوس على العموم [2].

قال الشاعر في قصيدة **يا ليلة العيد:**

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص56.

(2) التصوير الفني في القرآن، قطب، ص72.

عَبَّأْتُ بِالشَّدْوِ أَحْلامِي لأَشْرَبَها

فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ أَحْزانِي بِكاساتِي

تَعِبْتُ مِنْ مُبْحِرٍ وَالعُمْرُ يَنْهَشُهُ

مَتَى سَأُلْقِي بِشَطِّ التِّيْهِ مِرْساتِي؟!! [1]

يتنظر الشاعر ليلة العيد، والخروج من السجن الذي كتب فيه هذه الأبيات، فيحاول أن يعطي أيامه في السجن بهجة بالغناء، وأن يعطي لدقائق وساعات وأيام السجن طعمًا حلوًا، ولكن بلا فائدة فالطعم علقم، حتى أن أحزانه تنعكس على زجاج كاساته في صورة مرئية وتأبى أن تغادره.

وقوله في قصيدة **(قيدي من الصمت)** حيث يوصل الشاعر نفس المعنى السابق:

أَنَـــــا أُعَتِّـــــقُ أَحْزَانِـــــي لأَشْـــــرَبَهَا

وَلا أَزَالُ صَـــــرِيْعَ الحُـــــزْنِ وَالكَمَـــــدِ

أَهْـــوَى غِنَـــائِي وَآهَـــاتِي تُطَـــارِدُنِي

وَالكَـــأْسُ يُتْـــرَعُ مِـــنْ بُؤْسِـــي وَمِـــنْ نَكَـــدِ[2]

فالأحزان كأنها خيال الشاعر، ملتصقة به، وكما صور في الأبيات السابقة بتجسيد الأحزان في كأس الشاعر كشراب يشربه.

وقوله في قصيدة **عشيات لا تنتهي:**

إِيْـــهٍ تَبَعْثَـــرَ فـــي دَمِـــي شَـــوْقٌ إِلـــى

أَنْ يَسْـــتَقِيْمَ مَـــعَ الرِّيَـــاحِ جِـــدَارُ

نَمْشِـــي وَهَـــذَا الخَـــوْفُ فـــي أَعْمَاقِنَـــا

يَلْهُـــو بِنَـــا، مُـــتَلاطِمٌ، هَـــدَّارُ[3]

مازال الشاعر يبدع في التعبير عما يجول في وجدانه من الحزن والأسى، فجعل الشوق وهو شيء معنوي كالشيء المتبعثر والمنتشر في دمه، وتظهر ملامحه على وجه الشاعر

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص112.

(2) المرجع السابق، ص97.

(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 36.

وجعل هذا الشوق يستقيم على هيئة جدار، فهذا لا غرابة فيه حيث السجن الذي كان حاجزًا بين وبين الحرية، بينه وبين (جرش سُوف) بلدته، وكذلك الخوف على ما يخبئه المستقبل.

وقال في قصيدة **قمصان الشعب:**

قُمْصـــــانُ شَـــــعْبِي كُلُّهـــــا مَطْلُولَـــــةٌ

حَسْـــرَى تَنُـــوحُ خُيُوطُهـــا مُنْـــذُ القِـــدَمْ[1]

يصف الشاعر الحزن والحسرة التي يرتديها أبناء شعبه التي هي شيء معنوي، وكأنها أصباغ وألوان يتوشحون بها منذ زمن قديم.

وقال في قصيدة **هل أرى وطني:**

لَـــــكَ الخُلُـــــودُ وَإِنْ ضَـــــجَّتْ مَـــــدافِعُهُمْ

وَإِنْ هُـــمُ بِجُيُـــوشِ الحِقْـــدِ قَـــدْ دَفَعُـــوا

أَعْيـــادُهُم مِـــنْ لُحـــومِ النَّـــاسِ قَـــدْ عُجِنَـــتْ

وَبِالسَّـــــكاكِيْنِ مِـــــنْ أَكبادِنَـــــا قَطَعُـــــوا[2]

يصور الشاعر مشهدًا من مشاهد الحرب الأمريكية على العراق، فيصف المرأة العراقية وأن ما يفعله العدو من قتل وتدمير يصبح كالعيد لديهم، فجعل الشاعر العيد الذي لا يمكن أن ندركه بالحواس كالعجين المعجون من لحوم الناس، فهذا يدل على دموية هذا العدو وبشاعة هذه الحرب.

وقال في قصيدة **أنفقت عمري في هواكِ:**

أنـــا يـــا بـــلادي كلّمـــا أبحـــرتُ فـــي

سُـــفُنِ المحبّـــةِ، عَقَّنِـــي رُبّـــانِي[3]

يصف الشاعر حبه لبلاده، وهذه المحبة جعلها كالسفينة التي نراها بالعين، وكلما زاد حبًا لهذه البلاد، ودافع عن كلمة الحق هناك من يوقفه عن الإبحار في بحر المحبة.

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص54.

(2) المرجع السابق، ص90.

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص100.

وقال في قصيدة **سراج الأقصى:**

وَانْثُـــرْ دِمانِـــا فَـــوْقَ أَقْصـــانَا هَـــوَىً

وَحَـــذارِ مِـــنْ نـــارِ الإِبـــا أَنْ تُخْمُـــدَا[1]

يصور الشاعر الإباء والعز في صورة حماسية للدفاع عن الأقصى، فقد وصف العز والكرامة الشيء المعنوي عندما تعتري صدر الإنسان صاحب الضمير، الذي لا يرضى بالذل، بالشيء المادي المحسوس، وهو النار تحرق المحتل والتي لا تنطفئ إلاّ أن يتحرر المسجد الأقصى.

ويصور الشاعر المجد والعز في مشهد آخر في قصيدة **في صحة الوطن الكبير** قال:

مِـــنْ غُرْبتِـــي مِـــنْ ثَاعِبَـــاتِ جِرَاحِـــي

سَـــأَخُطُّ سِـــفْرَ المَجْـــدِ فـــي الأَلْـــوَاحِ[2]

يصور الشاعر المجد الذي هو شيء معنوي بشيء ملموس؛ فقد سطره في كتاب ووضحه في الألواح؛ لأهمية هذا الكتاب ولأهمية أشعاره التي فيها الحماسة على عدم الخضوع للذل.

وقال في قصيدة **وهل يرحل الحزن عني:**

أُنَادِيْ .. أُحَيْبَابَ قَلْبِي ..

فَأُدْرِكُ أَنَّ صَدَى الصَّوْتِ ضَاعَ

وَأَنْفَاسُ رُوحِي اضْمَحَلَّتْ

وَلَمْ يَبْقَ فِي القَلْبِ غَيْرُ الوَجِيْبْ[3]

في هذه الأبيات التي يهديها الشاعر للذين كانوا معه وشاركوه بقلوبهم، وشدوا على يديّه وهو في السجن، فيناديهم لكن صدى الصوت لا يصل إليه، واستخدام الشاعر صدى الصوت مناسبًا للمكان الذي كتبت فيه هذه الأبيات، وهو الزنزانة الفارغة، والذي يدل على الوحدة التي يعاني منها الشاعر في السجن، حيث لا أحد يرد صوته، إلا صدى الصوت، وقد تعب الشاعر من المناداة والاستغاثة حتى أن أنفاسه بدأت تضعف، فصور صدى الصوت والنفس الأشياء المعنوية وكأنها أجسام نستطيع مشاهدتها، فصدى الصوت صوره بالشيء المادي المفقود، والنفس كأنه شيء نراه بوضوح ثم بدأت الرؤية تضعف شيئا فشيئًا من شدة التعب.

---

(1) طيور القدس، العتوم ، ص103.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 53.

(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص102.

- **التجريد:**

في رأي أبو علي الفارسي " إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامنًا فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردًا من الإنسان كأنه غيره" [1] أي انتزاع صفات الإنسان منه، وتحوله إلى شيء معنوي، وجاء هذا عند العتوم في الأمثلة الآتية:

قال في قصيدة **العراق الحر** :

مَا تُرَانَا؟! رَقَمَاً في لُعْبَةٍ

يَدُ (أَمْرِيْكَا) بِهَا تَلْهُو وَتَسْخَرْ [2]

حيث يتحدث الشاعر بلسان شعب العراق، الذي شاهد من أمريكا الجرائم، فصور الشعب بشيء معنوي وغير محسوس، صوره بالرقم في لعبة أمريكا؛ والكثير من الحكام خضعوا لها لذلك تكسب أمريكا اللعبة، والعرب غير مهتمين بالربح ولو لمرة واحدة.

ويستمر الشاعر في وصف الحكام العرب فقال:

أَصِـــيْحُ فـــي زَمَـــنِ الخُـــذلانِ: أَيْـــنَ هُـــمُ

حُكّامُنـــــا ؟! وَأُسَـــــمّيهِمْ فَواجِعَهـــــا

قَـــدْ كُنـــتَ تُسْـــمِعُ لَـــوْ نادَيـــتَ مُعْتَصِـــمًا

وَكُنْـــتَ تُبْكِـــي بِهَـــوْلِ الصَّـــوْتِ ســـامِعَها

لَكِـــنّهمْ رِمَـــمٌ مِـــنْ غَيْـــرِ أَفْئِـــدَةٍ

وَهَـــلْ تُجِيـــبُ قُبـــورٌ عنـــكَ قارِعَهـــا؟! [3]

يقول الشاعر بأن هؤلاء الحكام الصامتين عن قتل الأطفال، والجرائم، لا فائدة لهم، إذا لم يحركوا ساكنًا، فصورهم بأنهم بغير قلوب، أو أن قلوبهم ميتة.

وقوله في قصيدة **أَحِنُّ إِلَيْكِ:**

أَحِنُّ إِلَيْكِ أَيَا أُمِّيَ الطَّيِّبَةْ

وَيَا نَغَمَاً أَلَّفَ اللهُ أَلْحَانَهُ

وَفَوْقَ فُؤَادِي بِرَحْمَتِهِ سَكَبَهْ

---

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد عبد الحميد (ج427/1)

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 73.

(3) يا شامُ.. هَذِي مَواقِعُها، مدونات الجزيرة، (موقع إلكتروني)؟

وَيَا نَفْحَةً مِنْ طُيُوبِ السَّمَاءِ

تُوَارِي هُمُومِي وَأَحْلامِيَ المُتْعَبَةْ

أُحِبُّكِ – هَا أَنَا أَنْقُشُ مَهْمَا يَطُولُ البِعَادُ –

أُحِبُّكِ ... فَوْقَ الذي شِئْتُ أَنْ أَكْتُبَهْ (1)

يصور الشاعر أمه بأشياء غير معنوية، كيف لا وهي من أجمل عطايا الله للإنسان، فصورها بالنغم الذي يلجأ إليه الشاعر ليستريح من فوضة الأيام، وهذا النعمة من رحمة الله على الشاعر، حيث وصفها بنفحة الطيب، التي تتعطر بشذاها الأيام.

وفي موضع آخر قال واصفًا نفسه:

أَنَا الثَّوْرَةْ

أَنَا الفِكْرَةْ

أَنَا الجَّمرةْ

وَأَشْعَارِي هِيَ الحُرةْ (2)

فالشاعر يصف نفسه وأشعاره التي طالما تحدث على عدم الخضوع والسكوت عن الحق، وتحدث عن البلاد التي خاضت المعارك والحروب، فلذلك صور نفسه بالثورة والفكرة التي هي أشياء غير محسوسة.

ب– التشبيه:

التشبيه هو: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى(3)، فقد لجأ العتوم إلى التشبيه كغيره من الشعراء؛ لأن للتشبيه قيمة فنية، فاتخذوا أداة ليعبروا به عن ما يدور بأنفسهم، فصوروا الأفكار، وأخرجوها عن تجريدها، فالتشبيه وسيلة بيانية له أغراض مختلفة، فهو يدل على إمكانية وجود المشبه، ويبين حاله، ومقداره من حيث الزيادة والنقصان، ويقرر حاله في نفس السامع، ويزين المشبه(4) ، لكن إذا كان العلاقة بين الطرفين غامضة، ويكون التشبيه غريبًا دون

(1) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص63–64

(2) ديوان الزنابق، العتوم، ص54.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، محمد القزويني، ص382.

(4) الصورة الفنية في الشعر العربي، الغنيم، ص132.

أن يصبح للصورة فيه غاية غير البحث عن العلاقة بين طرفي التشبيه، فتصبح الصورة حينئذ معقدة، وتبتعد عن التأثير والإقناع، وعن الغاية الأساسية لها وهي اكتشاف ما يجول في وجدان الشاعر، فالصورة تكتشف من خلال التشبيه ولو كانت أوسع منه نطاقًا، فقد يصل إلى العمق والامتلاء إلى جانب الأصالة والإبداع، بحيث يمثل الصورة ويؤدي دورها[1] وفيما يلي نماذج أبدع فيها العتوم باستخدام التشبيه.

وقوله في قصيدة أيا أمي:

أيا أُمّي ....
وَيَهْمِي الدَّمْعُ كَالسِّكّينِ مِنْ عَيْنِي
وَيَحْرِقُني
وَيَطْعَنُنِي نَعِيُّ المَوْتِ كَالسَّيْفِ
وَها أَنا مِثْلُ أوراقِ الخَريفِ
أَمُدُّ في ليلِ الضَّنا غُصْنِي
ولا مِنْ شَيْءَ فَوْقَ الغُصْنِ يَدْفَعُ
عَنْهُ هَذِي الرّيْحَ
أَوْ يَحْمِيْهِ مِنْ عَصْفِ
وَيَكْبَرُ في ثنايا صَوْتِها خَوْفِي
وَتُبدِي بَحَّتِي في الحُزنِ ما أُخفِي [2]

يرثي الشاعر هنا أمه، معبرًا عن حزنه الشديد عند فقده لها، مستخدمًا التشبيه في صوره الجزئية، من خلال ثلاثة تشبيهات:

1- حين شبه دموعه بالسكين، الدموع المليئة بأحزان وآلام الشاعر، فهنا ذكر جميع أركان التشبيه المشبه (الدمع) والمشبه به (السكين) والأداة (الكاف) ووجه الشبه (يحرقني) فكما السكين تسبب الجروح والآلام كذلك الدموع لغزارتها تحرق الشاعر؛ لأن منبعها جروح الشاعر الداخلية.

2- حين شبه الموت بالسيف، فحين أخذ الموت منه أغلى ما يملك، وكأنه طعن بالسيف، أصبحت حياته بلا طعم، فقد أخذ الحياة (الأم)، وذكر هنا أركان التشبيه المشبه (الموت)

---

(1) الصورة الشعرية في إبداع إبي نواس، عساف، ص 39.

(2) قلبي عليك حبيبتي، العتوم، ص 36.

والمشبه به (السيف) والأداة (الكاف) ووجه الشبه (أن السيف يأخذ بحياة الشخص وأن الموت حين خطف والدة العتوم كأنه أخذ حياته وطعنه).

3- يستمر الشاعر معبرًا عن حالته بعد وفاة والدته، فشبه (نفسه) (بأوراق الخريف) بأداة التشبيه (مثل) حيث إن أوراق الشجر في الخريف تتساقط، كذلك بموت والدته أصبحت حياته هشة، لا أحد يشبه أمه حين تحميه إذا عصفت به الرياح.

ويكمل في القصيدة نفسها واصفًا حبه لأمه فقال:

وَيَبْقَى الحُبُّ ... يَبْقَى الحُبُّ ...

كَالشَّلاَّلِ دَفْقاً تَحْتَ شِرْيانِي

فَلا تَهِنِي ...

وَإِنْ كانَ الَّذِي قَدْ غابَ فِي جَوْفِ الثَّرَى

المُبتلّ جُثمانِي

وَلا تَهِني ...

غَداً سَيَطِيْبُ لُقيانا

غداً سَيكونُ في جَنَّاتِ رِضْوانِ (1).

يصف شدة حبه لأمه، وكأنه الشلال تحت الشريان، فالمشبه (حب أمه) وقد كرر الشاعر (يبقى الحب) ليؤكد على عظمة هذه المحبة بين الشاعر وأمه، والمشبه به (الشريان) والأداة (الكاف) فحب أمه تحت الشريان متدفقًا كالشلال جارٍ إلى أن تنتهي حياته.

وقوله في قصيدة **أوقدت شموعكم:**

يـــا أَصْـــدِقائِي إِنَّنِـــي كُلِّـــي لَكُـــمْ

قَلْبِـــي إِلـــى رُوْحِـــي إِلـــى أَعْصـــابِي

مِلْيُـــونُ لَحْـــنٍ فِـــي الـــدُّجَى أَنْشَـــدْتُها

حَتَّـــى تَقَطَّـــعَ دُوْنَهُـــنَّ رَبَـــابِي

مَـــنْ غَيْـــرُكُمْ إِمَّـــا بَكَيْـــتُ يَقُـــولُ لِـــي:

لا تَبْـــكِ، ثُـــمَّ يَجِـــدُّ فِـــي إِطْرابِـــي؟!

(1) قلبي عليك حبيبتي، العتوم، ص43.

مَـــنْ غَيْـــرُكُمْ سَيُضِـــيْءُ رُوحِـــي كُلَّمـــا

انْطَفَـــأَتْ وَصَـــارَتْ كَالسِّـــرَاجِ الخَـــابِي؟

مَـــنْ غَيْـــرُكُمْ سَتَصِـــيْرُ صَـــحْرَائِي عَلَـــى

كَفَّيْـــهِ مِثْـــلَ الرَّوْضَـــةِ المِعْشَـــابِ؟! [1]

يصف الشاعر محبته لأصدقائه مستخدمًا هنا التشبيه في آخر بيتين، المشبه (روحي) والمشبه به (السراج الخابي) والأداة (الكاف) حين شبه روحه بالمصباح المشتعل بنور ومحبة الأصدقاء إذا خُفت واختبى ضياؤها، إي إذا طالته الهموم والأحزان، وربط العتوم بين الروح والأصدقاء لما لهذا العلاقة قُدسية، فكلما أظلمت حياته لا يجد من ينيرها إلا الأصدقاء، وحين تكون حياته صحراء، مليئة بالهموم، هم الذين يجعلون الحياة القاحلة حياة مليئة بالحيوية وكأنها مخضرة ومزهرة.

وقوله في قصيدة **في طريق المؤمنين:**

هِـــيَ أَيَّـــامٌ سَتَمْضِـــي كَالشُّـــعاعْ

هَكَـــذا الـــدُّنْيا لِقـــاءٌ وَوَدَاعْ

فـــاقْرَؤُوا عَنِّـــي تَبـــارِيحي إِذا

ذَاعَ شِـــعْرِي بَيْـــنَكُمْ يَوْمًـــا وشَـــاعْ[2]

شبه سرعة الأيام بسرعة الشعاع، وأن الدنيا عند الله لا تساوي جناح بعوضة، فهي بين لقاء ووداع.

وفي قصيدة بين الله والشهداء قال:

يَطِيرُونَ مِثْلَ الحَمامْ

عَلى شُرْفَةِ الرّوحِ

يَنتَقِلونَ إلى عالَمِ الأنبياءِ الكِرامْ

يُنقّيهِمُ الدَّمُ مِنْ آخِرِ الذّنبِ ثُمّ يَفِيئُونَ لِلظّلّ حيثُ المَقامْ

---

(1) قلبي عليك حبيبتي، العتوم، ص81.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص30.

يَطِيرونَ مثلَ حَمَامِ الحَرَمْ
على دَرَجٍ من هُيامْ [1]

يشبه الشاعر الشهداء حين تصعد أرواحهم إلى خالقها بالحمام الطائر، تغمرهم اللهفة للقاء الله تعالى، لكي يتمتعوا بما وعدهم به الله، فهم مع الأنبياء والصديقين، ويكرر الشاعر هذا التشبيه بأنهم (يطيرون مثل الحمام على درج من هُيام) وهم يصعدون إلى السماء فرحين ومحبين للجنة.

وقال في **قصيدة عبق التراب:**

وَطَـــنٌ هُـــوَ الـــدُّرُ النَّظِـــيمُ إذَا بَـــدَتْ
كُـــــلُّ الـــــدِّيارِ كَـــــأَنَّهُنَّ قَلائِـــــدُ
وَمُرَابِطُـــــونَ عَلَـــــى ثَـــــرَاهُ تَجَمَّعُـــــوا
وَعَلَـــى الفِـــدَاءِ لِطُهْـــرِهِ قَـــدْ عَاهَـــدُوا[2]

يصف الشاعر ويؤكد حبه للوطن، فيقول مهما كانت البلاد الأخرى يميزها رونقًا وجمالًا، إلا أنه لا بديل عن الوطن، وشبه البلاد غير وطن الشاعر بالقلائد، وان كانت هي قلائد فالوطن هو الدر والشيء الغالي في هذه القلائد، فقد شبه الوطن بالدر المصفوف بانتظام في السلسلة.

وقال في قصيدة **غدًا سأعود:**

يَقُولـــــــونَ إنّ السُّـــــــجونَ عَـــــذابٌ
وَكَانَـــــتْ عَلَـــــيّ كَشُـــــهْدٍ مُـــــذابِ
عَرَفْـــــتُ بِهِـــــنَّ حَقِيقَـــــةَ نَفْسِـــــي
وَمَعْنـــــي وُجُـــــودِي بِـــــدُنْيا السَّـــــرَابِ[3]

يشبه الشاعر العذاب الذي عاناه وهو في السجن كأنه عسل مذاب (شهد مذاب) طالما هو لم يقترف ذنبًا يحاسب عليه غير قول الحق، فالراحة راحة النفس الداخلية، بغض النظر عن العذاب الخارجي، وأيام السجن علمته أن حياة الدنيا فانية.

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص38.
(2) المرجع السابق، ص58.
(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص58.

وقد لجأ الشاعر إلى التشبيه الضمني وهو" تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان من التركيب" [1].

ففي قصيدة حبيبي يا رسول الله قال:

أَشْـــكُو إِلَيْـــكَ وَمَـــا الشَّـــكْوَى سِـــوَى ضَـــعَةٍ

مِـــنَ الضَّـــعِيْفِ إِلـــى مَـــنْ سَـــوْفَ يُشْـــكِيْهَا

عَاثَـــتْ بِنَـــا يَـــدُ أَمْرِيْكَـــا، وَمِـــنْ عَجَـــبٍ

أَنْ يُصْـــبِحَ الـــذِّئْبُ فـــي القُطْعَـــانِ رَاعِيْهَـــا[2]

حيث شبه الشاعر أمريكا بالذئب والشعوب العربية بقطيع من الغنم التي تلتزم بأوامر راعيها، والراعي هو أمريكا التي تلعب دور الحامي والمدافع عنهم، ولكنها هي الذئب التي يأكل لحم القطيع.

وكذلك في **قصيدة وهل يرحل الحزن عني قال :**

فَسَأَبْقَى حَزِيْنَاً .. إِلَى أَنْ أَمُوتَ ..

وَإِنْ مِتُّ يَبْقَى وَرَائِيَ حُزْنِي يَدُلُّ عَلَيَّ

وَلِلَّيْلِ طَعْمٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الغُرُوبْ

فَيَا أَصْدِقَائِي .. [3]

فالشاعر يؤكد أن الحزن لا يفارقه، حتى بعد موته فالحزن لم يمت، فصور الليل بشيء مادي ملموس هو الطعام الذي له مذاق، فغروب الشمس دليلٌ على قدوم الليل.

ففي هذا تشبيه ضمني فقد شبه الحزن بالليل، حيث إن هناك علاقة بين الحزن والليل، إن صح القول فالليل كما ذكرت سابقًا بهدوئه منبع الأحاسيس والشعور والأحزان.

ج- تراسل الحواس:

وهو من تقنيات الصورة الشعرية، انتقل إلى الأدب العربي الحديث من الرمزيين، وهو "استبدال حاسة بأخرى" [4] أي: وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة

---

(1) علم البيان، عتيق، ص101.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص19-18.

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، ص106.

(4) الخطاب الشعري الحدثواي والصورة الفنية، الصائغ، ص 316.

أخرى" فمثلًا نعطي أشياء ندركها بحاسة السمع صفات الأشياء التي ندركها بحاسة البصر[1] .

ومن النماذج التي وظف فيها الشاعر تراسل الحواس فقال في قصيدة **لبنان يا وجه المآسي:**

أنـــــتِ الحيـــــاةُ جَمالُهـــــا وَبَهَاؤُهـــــا

وَعَلَـــى ضِـــفَافِك كُـــلُّ طَيْـــرٍ يَسْـــجَعُ

هَـــذِي الـــورودُ الحُمْـــرُ مَـــا نَبَتَـــتْ عَلَـــى

ثُـــــرْبٍ وَلا سُـــــقِيَتْ بِمَـــــاءٍ تُونـــــعُ

لَكِنّهـــــا اخْضَـــــلّتْ بِجُـــــرْحِ شَـــــهِيدَةٍ

وَدَمُ الشّـــــهيدِ بسُـــــوقِها يَتَضَـــــوَّعُ[2]

يخاطب الشاعر مدنية (بيروت) واصفًا جمالها، وأن الورود الحمراء الجميلة، لم تزرع ولم تُسقَ كأي نبات، وإنما بُللت وارتوت بدم الجرحى والشهداء الذي هو مدرك بصري، التي انتشرت رائحته في كل مكان (مدرك شمي) وبذلك يكون الشاعر قد استخدم تراسل الحواس واصفًا مدرك بصري بمدرك يعتمد على حاسة الشم (يتضوع).

قوله في قصيدة **للقدس غنّيت الحروف:**

والغَارِســـــــينَ حِـــــــرابَهُمْ بِعُيونِنـــــــا

والشَّـــــارِبينَ كُـــــؤوسَ دمـــــعٍ قـــــانِ[3]

وصف الشاعر مدرك ذوقي (الشاربين) بمدرك بصري (الدمع) الذي وصفه بأنه (قانِ) شديد الاحمرار.

وقوله في قصيدة يا زهرة الدحنون:

فَكَـــــأَنَّنِي بَـــــيْنَ الـــــوُرُودِ سَـــــأَنْتَقِي

لَـــــكِ بَاقَـــــةً ثَرْثَـــــارَةَ التَّلْـــــوِينِ[4]

---

(1) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، زايد، ص 78.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص55.

(3) المرجع السابق، ص 60.

(4) الزنابق، العتوم، ص33.

يخاطب الشاعر نفسه حين يكتب كلماته لميسون فيختار ما سيقوله لها، وكأنه تائه في الحديقة بين الورود، فيختار من الكلمات أجملها، يختار (باقة ثرثارة التلوين) فقد اعتمد هنا الشاعر عن مدرك يعتمد على حساسة السمع (ثرثارة) أي كثيرة الكلام، ومدرك بصري يعتمد على حاسة (التلوين) أي باقة متعددة الألوان من الكلام الذي يعبر ما يجول في أحساس الشاعر.

وقوله في قصيدة أنات مرتقب:

سَتَسْـــــمَعِيْنَ دُمُـــــوعِي وَهْـــــيَ صَـــــامِتَةٌ

وَتَقْـــــرَئِيْنَ بِـــــوَجْهِي البُـــــؤْسَ وَالكَمَـــــدَا[1]

يخاطب الشاعر هنا محبوبته، جاعلًا الدموع (المرتبطة بحاسة البصر) مرتبطة بمدرك سمعي (ستسمعين) مع أن الدموع عند انسيابها على الخد لا تصدر صوتًا، وجاعلًا البؤس والحزن بالكتاب الذي يُقرأ وتظهر علاماته على الوجه.

وقوله في قصيدة كلانا راهن فيما يراه:

وَلَـــــوْ سَـــــوَّغْتَ رَأْيَـــــكَ مَـــــا اتَّفَقْنَـــــا

وَلَكِنَّـــــا اشْـــــتَرَكْنا فِـــــي المَصِـــــيْرِ

عَـــــدُوٌّ واحـــــدٌ... أنـــــا أَتَّقِيْـــــهِ

وَتَخْطِـــــبُ وُدِّهُ بِفَـــــمٍ ضَـــــرِيرِ[2]

يؤكد الشاعر أن أبناء الوطن الواحد، عدوهم واحد وأن مصلحتهم واحدة، فيصور الشاعر هنا الفم بمدرك بصري (ضرير).

2- الصورة الكلية:

بما أنا القصيدة بناء كلي، يتكون من عناصر تجتمع مع بعضها البعض؛ لكي تصل الفكرة العامة للقصيدة، وتوصل فكرة الشاعر التي يريد أن يعبر عنها. فالصورة الكلية هي مظهر جديد من مظاهر النقد الحديث[3]، تحافظ على وحدة القصيدة الشاملة، وإذا افتقرت لها القصيدة لا تؤثر ولا تحرك، وإن أبدت القصيدة بدونها تأثيرًا يكون ناقصًا، فكثيرًا ما تكون

(1) الزنابق، العتوم، ص 101.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص126.

(3) الصورة الأدبية تاريخ ونقد، صبح، ص 130.

الصورة الجزئية غير مؤثرة بذاتها، ولكن حين تجتمع في الصورة الكلية نكتشف ما يجول بوجدان الشاعر[1] فالصورة الكلية تكشف عن المعاني وعن جديد الصور الجزئية، وتجمع بين الصور الجزئية؛ حتى لا تبقى مبعثرة تشتت القارئ[2].

وفيما يأتي نماذج من الصور الكلية عند الشاعر، فقال الشاعر في **قصيدة يا غزة العز**:

هَـــذا هُـــوَ المـــوتُ مثـــلَ الصُّـــبحِ يَنـــدَفِقُ
فَعـــانِقُوا المـــوتَ يَبْـــزُغْ بَعْـــدَهُ الفَلَـــقُ
هَـــذا هُـــوَ المـــوتُ فـــي الطُّرْقـــاتِ مُخْتَبِئًـــا
مُفاجِئًـــا مِـــنْ شُـــقوقِ الأَرْضِ يَنْبَثِـــقُ
يُطـــالِعُ الأَوْجُـــهَ الغَـــرَّاءَ مُنتَقِيًـــا
مَـــنْ وَاجَهُـــوا ... تَارِكًـــا لِلْعَـــيْشِ مَـــنْ فَرَقُـــوا
يَأْتِيْـــهِ طِفْـــلٌ تَحَـــدَّاهُ فَيَحْدِجُـــهُ
فَيَنْثَنِـــي خَجَـــلاً عَنْـــهُ وَيَنْطَلِـــقُ
يَصِـــيحُ بـــالموتِ: مَـــنْ فِينـــا الجـــانُ تـــرى؟!
فَيَرْجِـــعُ المـــوتُ وَهْـــوَ الحـــادِبُ الشَّـــفِقُ
يُعـــانِقُ الطِّفْـــلَ ... يُلْقِـــي فـــي مَســـامِعِهِ:
لا تَخْـــشَ؛ إِنّ جِنَـــانَ الخُلْـــدِ تَـــأْتلِقُ
هُنـــاكَ لا وَصَـــبٌ فِيهـــا ولا نَصَـــبٌ
ولا جِـــرَاحٌ ولا حُـــزْنٌ ولا رَهَـــقُ[3] .

ففي هذه الأبيات صور الشاعر صورة الموت في قطاع غزة، خلال حرب عام 2008م، فاستخدم في البداية التشبيه، حيث شبه الموت بالصبح يندفق؛ ليدل على جرائم الاحتلال الإسرائيلي، ففي كل مكان شهداء، فجاء قول الشاعر الصبح؛ لأن الصبح يأتي ويجعل الأشياء واضحة، فالشهداء يروون الصبح و جنة الله التي وعدهم إياها، فكلمة الصبح توحي بدار الحق، وبالنصر الذي لا يأتي إلا بدماء الشهداء.

---

(1) انظر: الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع أبي نواس، عساف، ص33.
(2) المرجع السابق، ص33.
(3) طيور القدس، العتوم، ص66.

ثم يشخص الشاعر الموت، مرة بأنه إنسان يُعانق (عانقوا الموت) فيوضح الشاعر بأن بعد هذه التضحيات التي يقدمها أبناء غزة، سوف يأتي الصبح ويأتي النصر الموعود، ومرة يشخصه بأنه مختبئ على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه الموت بالطفل الذي يختبئ، ويأتي فجأة، موكدًا على بشاعة الحرب، وكأنها لعبة بين الموت والطفل الغزّي، ثم شخص الموت كإنسان واعٍ، يطالع وجوه الناس ويختار من بينهم الصالحين.

ويستمر الشاعر في التشخيص حيث قال: (يحدجه، وينثني خجلًا) فقد شبه الموت بالفتاة التي تخفض رأسها خجلًا، فالموت الشيء المهيب، الذي يهابه كل إنسان يقف باستحياء أمام شهداء غزة.

ثم يستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام للتعجب (من فينا الجبان ترى) في موقف تحدي بين الموت والطفل الشهيد، جاعلًا من الموت إنسانًا ينتظر منه الإجابة، ثم بعد ذلك في البيت ما قبل الأخير يجعل الموت كالأم الحنون التي تعانق طفلها (يعانق الطفل) وتلقي عليها الحنان والاطمئنان (لا تخشَ) وينهي الشاعر صورته بتوضيحه نهاية الشهيد، حيث الجنة كما وصفها الله –تعالى– حيث لا تعب ولا حزن.

إن اختيار الطفل كان موفقًا عند الشاعر، حيث إن الحرب التي تحدث عنها الشاعر كانت في وضح النهار، فالشوارع المكتظة بالأطفال العائدين من مدارسهم، كان لهم الموت بالمرصاد خطفهم كزهرة، وتأكيدًا أن كل ما في غزة غير آمن حتى الأطفال.

وقوله في قصيدة **أحن إليكِ:**

أَحِنُّ لِقَلْبِكِ طِفْلاً غَرِيْرَا

وَمَنْ قَالَ أَنِّي كَبِرْتُ كَثِيْرَا ؟!

وَمَا زِلْتُ لِلآنَ طِفْلاً عَلَى دَرَجِ العِشْقِ يَحْبُو

وَيَجْثُو أَمَامَكِ ...

يَطْلُبُ مِنْكِ الحَنَانَ ... وَيَصْبُو

وَأَرْبَعَةً بَعْدَ عِشْرِيْنَ تَرْبُو

وَمَا زِلْتُ أَلْثَغُ حِيْنَ أُنَادِيْكِ: أُمِّي

وَيَحْلُو لِمِثْلِيَ لَهْوٌ وَلِعْبُ

وَلِي هَفَوَاتٌ كَغَيْرِي...

وَلِي جَسَدٌ طَافِحٌ بِالأَمَانِي... وَقَلْبُ

فَمَنْ قَالَ أَنِّي كَبِرْتُ كَثِيْرًا

وَقَاسٍ عَلَيَّ التَّهَجِّي بِغَيْرِ حُرُوفِكِ...

قَاسٍ وَصَعْبُ ؟!!!

أُحِبُّكِ يَا بَهْجَةَ الرُّوْحِ...

كَيْفَ يُفَسِّرُ حُبِّي لِمِثْلِكِ حُبُّ ؟! [1]

يصور الشاعر اشتياقه لأمه، وأنه مهما كبر فهو كطفل يحتاج حنان أمه، فاستخدم الفعل (أحن) لأن حنينه لأمه دائم ومستمر، فبدأ الشاعر باسترجاع الذكريات (ما زالت للآن طفلًا على درج العشق يحبو) فقوله (درج العشق) حيث شبه العشق بالبناء الذي له درج يتخطاه لكي يصل إلى أمه، فيحبو بخطواته إليها، مع أنه بلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، ما زال يحن إلى أن يحبو إلى أمه.

ويستخدم الشاعر صورة أخرى (ولي جسد طافح بالأماني وقلب)حيث شبه الجسد بالوعاء الممتلئ بالأماني والأحلام البسيطة، فجعل الأمنيات بالشراب الذي نملأ به الكأس.

ويكرر الشاعر أسلوب الاستفهام (فمن قال إني كبرت كثيرًا) ليؤكد أنه مازال كالطفل محتاجًا إلى الحنان، ويجد صعوبة في النطق موكدًا على ذلك بقوله (قاسٍ وصعب).

فقد اعتمد الشاعر هنا على ألفاظ الطفولة (طفلًا، يحبو، ألثغ، لهو، ولعب) لاشتياقه للطفولة وحضن أمه.

فاستخدام الطفولة في النص الشعري يُعد مركز الرؤيا عند الشاعر، فليس هناك حنين يخضب الخيال عند الشاعر أقوى من الحنين إلى الطفولة، فهي كالمرض يصيب خلايا الرؤيا عند الشاعر[2].

وقوله في قصيدة **حبيبي يا رسول الله:**

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص64.

(2) انظر: الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية (الحداثة وتحليل النص)، الصائغ، ص121.

نَادَتْـــــكَ رُوْحِـــــي وَغَصَّـــــتْ فـــــي أَمَانِيْهَـــــا

وَأَوْرَثَ الـــــدَّمْعُ جَمْـــــرَاً فـــــي مَآقِيْهَـــــا

وَشَـــــقَّهَا الوَجْـــــدُ؛ يَبْـــــرِي الوَجْـــــدُ أَعْظُمَهَـــــا

فَتَسْـــــــتَفِيْضُ رُوَاءً حِـــــــيْنَ يَبْرِيْهَـــــــا

أَنـــــا المُقَطَّـــــرُ مِـــــنْ حُـــــبٍّ وَمِـــــنْ وَلَـــــهٍ

وَفِـــــي الضُّـــــلُوْعِ صَـــــبَابَاتٌ أُعَانِيْهَـــــا

شَرَّشْـــــتُ فـــــي العِشْـــــقِ حَتَّـــــى صِـــــرْتُهُ جَسَـــــدَاً

وَغَـــــالَنِي بِـــــكَ يَـــــا أَغْلَـــــى غَوَالِيْهَـــــا

إِنَّ المَحَبَّـــــــــةَ لا تَشْـــــــــفِي أَحِبَّتَهَـــــــــا

إِلاَّ إِذَا كَـــــــانَ ذَوْبُ القَلْـــــــبِ يَسْـــــــقِيْها

فَيَـــــا رَسُـــــوْلَ الهُـــــدَى يَـــــا خَيْـــــرَ مَـــــنْ حَمَلَـــــتْ

هَـــــذِي البَسِـــــيْطَةُ أَوْ ضَـــــمَّتْ فَيَافِيْهَـــــا

نَفْـــــــدِيْكَ بِـــــــالنَّفْسِ وَالأَرْوَاحُ هَيِّنَـــــــةٌ

أَلاَّ يَمَسَّـــــكَ لَـــــوْ فـــــي الحُلْـــــمِ شَـــــانِيْهَا

وَاللهِ مَـــــــا زَالَ فِيْنَـــــــا مَـــــــنْ يُرَدِّدُهَـــــــا

حُبَّـــــاً، وَتَمْلِكُـــــهُ أَسْـــــمَى مَعَانِيْهَـــــا:

تَـــــأْبَى النُّفُـــــوْسُ بِـــــأَنْ تُـــــؤْذَى وَلَـــــوْ عَرَضَـــــاً

وَأَنَّهَـــــا آمِنَـــــاتٌ بَـــــيْنَ أَهْلِيْهَـــــا[1]

يصور الشاعر حبه للرسول ﷺ ففي البداية جعل الروح الشيء المعنوي إنسانًا يتكلم وينادي ومرة أخرى يشبه الروح بالوعاء الممتلئ بالأماني (وغصت في أمانيها)، ثم تنهمر الدموع اشتياقًا لرسول الله ﷺ في زمن كثرت فيه الفتن، وزمن نحتاج فيه إلى رسولنا الكريم بيننا، ليبري الجرح.

ثم بعد ذلك يؤكد الشاعر على شدة حبه للنبي محمد ﷺ فعبّر الشاعر عن حبه للنبي، جاعلًا نفسه بالسحابة التي تتقطر حبًا للرسول ﷺ (أنا المقطر من حب ومن وَلَهٍ)، ثم وصف حرارة وشدة هذا الحب قد أصابتها في ضلوعه (وفي الضلوع صبابات أعانيها) ثم يكمل الشاعر

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص ص13-14.

وصف هذا الحب، حيث صور الشاعر نفسه بالشجرة الثابتة جذورها في العشق، الذي جعله كالأرض الصالحة للزراعة (شرشت في العشق حتى صرته وطنًا)، فلا يمكن التخلي عن هذا العشق، فهو ثابت كما جذور الشجرة.

ثم يوجه الشاعر خطابه إلى النبي الأكرم فوصفه بأنه خير من تحمل هذه الأرض أو ضمت الفيافي، حيث جعل الأرض كالإنسان الذي يحمل، والصحراء بالأم التي تضم ابنها على سبيل التشخيص، وفي النهاية يؤكد على تقديم أغلى ما يملك فداء للرسول ﷺ.

ومن الملاحظ هنا أن الشاعر لم يلجأ إلى وصف الرسولﷺ كالمعتاد، حيث إن التشبيه بالبدر والشمس والفجر مصادر ثابتة لتصوير الشخصية المحمدية[1]، وكذلك ثنائية النور والظلام لازمة من لوازم الصورة الشعرية التي تتحدث عن الرسول ﷺ [2].

هكذا تنوعت الصور الكلية عند العتوم، مستخدمًا فيها مجموعة من الصورة الجزئية التي تساعده في إكمال صورته، وفكرته لكي تكون في إطار متكامل.

3- الصورة المركبة:

"وهي أن يكون الشاعر في إحدى الصور فإذا به فجأة يلتفت فيقف ليصور جزئية من جزئياتها بصورة أخرى قد تستغرق منه أكثر ما كانت الأولى تستحقه" وقد أطلق عليها عز الدين إسماعيل (الصورة المكتظة)[3]، وقد عرفها عبد الاله الصائغ: بأنها تجاذب بين صورتين، لكي تتوالد صورة ثالثة جديدة مختلفة، فتكون المفردات الدلالية وفق سياقات تنسق بين الدال والمدلول وبين المشبه والمشبه به [4] .

قال الشاعر فيي قصيدة سراج الأقصى:

القُـــــدْسُ صُـــــورَتُنا... إِذَا رَفَلَـــــتْ عَلَـــــى
ثَـــوْبِ النَّعِـــيْمَ هَمَـــتْ عَلَيْنـــا عَسْـــجَدَا
القُـــــــدْسُ خَيْمَتُنـــــــا...فَمَنْ سَـــــــيُظِلُّنا
إِنْ هـــــبّ رِيْـــــحُ العاتِيـــــاتِ وَعَرْبَـــــدَا

(1) محمد ﷺ في الشعر الحديث، القاعود، ص 494.
(2) المرجع السابق، ص496.
(3) الصورة الشعرية في النقد الحديث ، صالح، ص114.
(4) الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، الصائغ، ص106.

القُـــــدْسُ نَخْلَتُنـــــا...إذا تَهْـــــوِى... هَـــــوَى

شَـــــمْلُ العُرُوبَـــــةِ بَعْـــــدَهَا وَتَبَـــــدَّدا [1]

لجأ الشاعر إلى تصوير القدس الشريف، مبينًا مدى قدسيتها وأهميتها ومدى حب المسلمين المستيقظين الغير غافلين عنها، فهي ثروتهم، فإن كانت بسلام سينعمون بسلام، فقد جعل النعيم والسلام كالثوب الذي تكتسي به القدس يومًا من الأيام، وفي البيت الثاني صور القدس بالخيمة التي يستظل بظلها من يدافع عنها ويعرف قيمتها إذا حلت المصائب والكوارث فنظرة من القدس، والتبحر في جمالها، كافية بأن تكون بلسمًا لكل داء، وفي البيت الثالث صورها بالنخلة؛ وقد جاء استخدام الشاعر لكلمة النخلة دليلًا على علو وارتفاع مكانة القدس ومؤكدًا بأنها الحبل الذي يجمع العرب مع بعضهم البعض، فهي الجامعة لشمل العروبة إذا سقطت القدس سقطت العروبة.

وقال في قصيدة **لكِ الذكرى:**

... وَذِكْـــــرَاكِ لَيْـــــلٌ يُلْهِـــــبُ الشَّـــــوْقَ وَالفِكْـــــر

وَيَقْتُـــــلُ آمـــــالاً شَـــــقِيْتُ بِهَـــــا عُمْـــــرَا

وَذِكْـــــرَاك أَطْيَـــــافٌ مِـــــنَ السَّـــــعْدِ زَارَنِـــــي

وَأَشْـــــبَاحُ هَـــــمٍّ تَبْعَـــــثُ الخَـــــوْفَ وَالـــــذُّعْرَا

وَذِكْـــــرَاك أَشْـــــوَاقٌ أَخَـــــافُ ادِّكَارَهَـــــا

فَفِيْهَـــــا أُوَارٌ ثـــــائِرٌ يُلْهِـــــبُ الصَّـــــخْرَا

وَذِكْـــــرَاكِ بَحْـــــرٌ لا سَـــــوَاحِلَ دُونَـــــهَ

وَكَـــــمْ قَتَـــــلَ الإبْحَـــــارُ مِـــــنْ جَهِـــــلِ البَحْـــــرَا

وَذِكْـــــرَاكِ شَـــــمْسٌ قَـــــدْ يَجِـــــيْءُ غِيَابُهَـــــا

وَلَكِنَّهَـــــا تَخْتَـــــالُ إِنْ طَلَعَـــــتْ فَجْـــــرَا[2]

فقال الشاعر واصفًا ذكرى محبوبته بعدد صور:

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص103.

(2) الزنابق، العتوم، ص84.

ففي البيت الأول وصفها بالليل الذي يخيم عليه في هذا الوقت الاشتياق لمحبوبته، ويفكر بالآمال والأحلام التي كان يبنيها معها، ولكن الأيام قتلت هذه الآمال بأن فرقت بينه وبين محبوبته، ولم يبق منها إلا الذكرى.

وفي البيت الثاني وصفها بالأطياف، هذه الأطياف للأيام الجميلة التي قضاها معها (أطياف من السعد) وثم وصفها بالأشباح للأيام المريرة حين بعد فيها عنها، حيث تبعث الخوف في قلبه.

وفي البيت الثالث وصفها بالأشواق حيث استخدم هذا الوصف دليلًا على مدى اشتياقه للمحبوبة، يخاف من ذكرى محبوبته لمن فيها من لهيب الشوق الذي يحرق الصخر.

أما في البيت الرابع فقد وصفها بالبحر الذي لا سواحل له، لكي يستطيع النجاة من الغرق، فهو واصل إلى درجة كبيرة من الاشتياق لها، حيث يقتل الإبحار من يجهل البحر.

وفي البيت الخامس وصفها بالشمس التي تحرقه بلهيب الشوق والحنين للمحبوبة.

فهذه الأوصاف (الليل، أطياف، أشواق، بحر، شمس) تدل على مدى اشتياق الشاعر لمحبوبته، وشدة الآلام الفراق التي يعاني منها حيث الليل الذي حرم النوم فيها، فهناك أطياف وأشواق وبحر من الذكرى لا يستطيع النجاة منه، ونار الفراق التي تحرقه كما الشمس.

وقوله في القصيدة نفسها واصفا محبوبته:

وَمَـــا أَنْـــتِ إلاَّ قِصَّـــةٌ سَـــوْفَ تَنْتَهِـــي
كَمَـــا بَـــدَأَتْ يَوْمًـــا وَكُنْـــتِ بِهَـــا سَـــطْرَا
وَمَـــا أَنْـــتِ إلاَّ دَمْعَـــةٌ قَـــدْ ذَرَفْتُهَـــا
فَـــأَبْرَأْتُ نَفْسِـــي مِـــنْ لَوَاعِجِهَـــا دَهْـــرَا
وَمَـــا أَنْـــتِ إلاّ قِطْعَـــةٌ مِـــنْ قَصَـــائِدِي
وَتَبْقَـــي نَشِـــيْدًا يُـــثْلِجُ القَلْـــبَ وَالثَّغْـــرَا
وَمَـــا أَنْـــتِ إلاَّ لَفْظَـــةٌ قَـــدْ أَقُولُهَـــا
فَأُنْكِرُهَـــا عُرْفَـــا، وَأَعْرِفُهَـــا نُكْـــرَا
وَمَـــا أَنْـــتِ إلاَّ فِتْنَـــةٌ قَـــدْ خَسِـــرْتُهَا
وَمَـــنْ ذَا يَسَـــمِّى فِتْنَـــةً خُسْـــرَهَا خُسْـــرَا[1].

(1) الزنابق، العتوم، ص 87.

في هذه الأبيات يصف الشاعر محبوبته بعدة أوصاف:

ففي البيت الأول وصفها بالقصة، كما لها بداية ستصل إلى النهاية، فكما لقاء هناك الوداع، ثم يصفها بالسطر في هذه القصة.

في البيت الثاني وصفها بالدمعة التي يذرفها الشاعر على فراقه لها، لكي يستطيع أن يبرأ من آثارها.

وفي البيت الثالث وصفها بقطعة من قصائد الشاعر، ونشيد يفرح القلب.

وفي البيت الرابع وصفها بالفظة يتلفظ بها الشاعر، وهذا يدل على شدة تعلقه بها، فهذه اللفظة التي لا يستطيع إنكارها.

وفي البيت الخامس وصفها بالفتنة التي قد خسرها، حيث سببت الآلام والعذاب له، مع أننا لا نطلق على الفتنة خسرانًا.

وفي **قصيدة شكراً لمن تسعى لحتفي قال:**

أَنَـــا لَسْـــتُ خَصْـــبَاً، لا... فَـــلا تَتَـــوَهَّمِي
بِئْـــرٌ أَنَـــا، كُـــلُّ الجَفَـــافِ بِقَـــاعِي
وَأَنَـــا سَـــرَابٌ لا وُجُـــودَ لِرِيِّـــهِ
وَأَنَـــا صَـــحَارَى عُبِّئَـــتْ بِأَفَـــاعِي[1]

يخاطب الشاعر محبوبته واصفًا نفسه بالبئر غير الخصب، فكل بقاعه جافة، فهو في النهاية إنسان لديه مقدار معين على الصبر والتحمل، ثم يصف نفسه بالسراب والخيال، حيث لا اعتبار لريه، ثم يصف نفسه بالصحراء المليئة بالأفاعي.

وفي قصيدة **ملحمة الأقصى قال :**

أَنـــا شَمْسُـــكُمْ، أَنـــا بَـــدْرُكُمْ، أَنـــا أَنْـــتُمْ
أَنـــا رَمْـــزُكُمْ إِنْ ضَـــلَّتِ الغَابـــاتُ
أَنـــا فَلْـــذَةٌ سَـــلَّمْتُمُ أَوْصَـــالَهَا
أَإِلَـــى الـــذِّئَابِ تُسَـــلَّمُ الفَلَـــذَاتُ؟
أَنـــا غَـــادَةٌ فَـــرَّتْ لِفَـــرْطِ مُصَـــابِها
فَتَلَقَّفَتْهَـــا أَكْلُـــبٌ وَعُـــداةُ[2].

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 123.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 34.

يجعل الشاعر هنا الأقصى بأنه يخاطب كل إنسان مؤمن، الذي من حق الأقصى عليه أن يستنهض همته من أجله، فقد صور الشاعر الأقصى بعدة صور وهي:

– إن الأقصى الشمس التي تغمر بالدفء، وكالبدر في جماله، وهو كيان المسلمين وكرامتهم وإن هُدر هدرت كرامتهم.

– إن الأقصى كالابن، الذي يعتبر أغلى ما يملكه الأب، فهو مسؤول عنه، يحميه ويراعه، فلا يضعه بيد من يضره ولا يسبب له الضرر.

– إن الأقصى كالفتاة، لفرط جماله، تلاهف عليه الأعداء، وجعلوه كسلعة تُباع وتشترى.

ثانياً: الأنواع

1– الصورة النقلية:

الوصف فطرة تلازم الإنسان، فمن خلاله يكتشف العالم، ومن الطبيعي أن يكون الوصف النقلي أول مراحل الوصف كعنصر أساسي يعتمد عليه الأدب كمادة ليصل إلى النفوس[1].

ومهمة الشاعر في هذا الوصف " أن يلتقط وجه الشبه الحسي بين أمرين مختلفين، فيصور الأشياء جامدة ومتحركة في إطارها الزماني والمكاني" [2].

تدل هذا النوع من الصور على طريقة الإنسان البدائي التي اعتمدها في التفكير، فكان لا يهتم بطبيعة الأشياء الداخلية، بل يهتم بما ترصده العين، فالصورة النقلية تنقل الظواهر الخارجية من حيث هي موجودات ثابتة غير خاضعة للتحول، فالأشياء الحسية الثابتة توصف بوصف حسي ثابت، مما أدى إلى إيجاد ثروة من الاستعارة والأسماء الحسية[3]

فالشاعر في الصورة النقلية يحاكي الواقع، مع أنَّه ليس من مهمة الشاعر أن يكون مؤرخًا ولكنه يعطي الجوامد حياة، باستعانة بالتشبيه والتمثيل والمقابلة بين المحسوسات[4].

والصورة النقلية عند عز الدين إسماعيل هي صورة مكتملة التكوين أمام العين المبصرة أي موافقة لمنطق المكان والتنسيق المكاني للأشياء، ويركز الشاعر في مثل هذا النوع من

---

(1) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، عساف، ص 23.

(2) المرجع السابق، ص23.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص24.

(4) انظر: الصورة الشعرية في شعر المقدسيات زمن الفتح 583 هـ، التميمي (ص544).

الصور على الشكل الخارجي من غير أن يتعمق إلى أثر الصورة في النفس أو العلاقات الخفية في الصورة[1]

ومن نماذج الصورة النقلية عند الشاعر **حيث قال في قصيدة احتفالية الموت:**

تثُورُ جِراحَاتُ هَذَا الفَتَى المازنيّ

وَتَمْضِي بَعِيْدَاً بَعِيْدَاً

وَتَتْرُكُ أَحْلامَهَا ذَاتَ لَيْلٍ لِكَفِّ الزّمانِ العَصِيبْ ...

تُحَرّكُهَا الرّيْحُ حَيْثُ تَشَاءُ بِلا رَحْمَةٍ

ثمّ تَذْرُو الذي قَدْ تَبَقَّى بِوادي المنونِ الرّهِيبْ ...

وَيُغْرِقُها المَطَرُ .. الظّلمُ ..

ثمّ تكونُ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ

بَيْنَ رَوْضٍ ببئر السمينة رطبٍ خصيبْ ...

تموتُ وترحل – لَمْ يَدْنُ منها الغضا – دُونَ رأيٍ

لأنّ المساء الذي ضمّها كانَ محضَ مساءٍ غريبْ ... [2]

يصور الشاعر هنا أحزان (الفتي المازني) الشاعر مالك بن الريب قبل أن يذهب لمثواه الأخير، التي وصفها وكأنها بركان يثور بناره، مشخصة هذه الجراحات بأن تمشي بعيدًا عن الواقع، وتترك أحلامها وأمالها في اليل التي تتمنى أن تتغير إلى الأحسن، لكنها وضعت هذه الجراحات أحلامها في كف الزمن الشاق يتعب ويشق؛ من أجل الوصول إلى فتاتات منها، وتغير الرياح اتجاها إلى اتجاه غير محدد، والباقي تقذف به إلى اللاوجود (الموت الرهيب) فلا تجد هذه الجراحات إلى الذي يزيد من نزيفها، فلا تجد إلا الظلم، فهذه الأحلام التي كان يحلم بها مالك بن الريب كانت كأنها لا شيء، لأنها المساء التي ولدت فيه مساء غريب

وقال الشاعر في قصيدة هياكل في البئر:

آهِ يَا (مَيْسُونُ)...

---

(1) الشعر العربي المعاصر، إسماعيل، ص156.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 123.

أشْوَاقِي صِرَاعٌ

بَيْنَ أَفْكَارِي وَأَوْهَامِي وَظَنِّي

وَدَمِي نَارٌ عَلَى قَلْبِي

وَأَحْلامي خَيَالاتٌ لِفَنِّي

وَأَنَا أَهْرُبُ ...؟! وَاللَّيْلُ طَوِيْلُ...

وَعَذَابَاتِي كِبَارٌ

وَدُمُوعِي جَمَرَاتٌ فَوْقَ عَيْنِي

وَاقِفٌ كَالظِّلِّ مَا بَيْنِي وَبَيْنِي

فَادْخُلِي في الظِّلِّ...

إِنِّي قَادِمٌ مِنْ زَفَرَاتِ الرِّيْحِ ...

وَالرِّيحُ تُغَنِّي:

لِلْمَدَى عَيْنٌ وَلِلأَيَّامِ عَيْنِي[1]

يصور الشاعر اشتياقه لميسون وكأنه صراع بين أفكاره وذكرياته معها، وبين أوهامه بأن يلتقي بها مرة أخرى، ويصور الشاعر مدى اشتياقه فأصبح الدم وكأنه نار على القلب، وأصبح يبدع في كتابته (خيالات لفني)، فيحاول الشاعر أن يبتعد ولكن الليل بذكرياته طويل جدًا، والآلام وأوجاعه كثيرة، ودموعه كأنها جمر يحرق عينه، ثم يصف الشاعر ويعبر عن ارتباطه (بميسون) فيصور نفسه كالظل الذي يعكس نفسه ويعكس ميسون في شخص واحد، وأنه أتي من الريح التي جعلها تعني (للمدى عين وللأيام عيني).

2- الصورة الذهنية (العقلية):

الشعر ليس خيالًا وإبداعًا فقط، ولكن العقل له دور في إبراز أفكار الشاعر التي يريد أن يوصلها الشاعر إلى القارئ.

فالصورة العقلية ليس وليدة الإحساس المباشر وإنما صادرة عن العقل والتفكير، يصعب على المتلقي أن يتذوقها من المرة الأولى، لهذا لا بد من إعمال الفكر، لكي يستوعبها ويقف

(1) الزنابق، العتوم، ص47-48.

على أسرارها وعلى ما فيها من خيال مركب عميق، وغالبًا ما تكون هذه الصور برهانية تفسيرية خلافا عن الصور الخيالية[1].

فالصورة الذهنية " هي نوع من الصورة الشعرية المتمثلة في الصور العقلية وتعتمد بالدرجة الأولى على العقل فالعقل هو الذي يسيطر على معظم الحواس" [2]

قال العتوم في قصيدته **حمدان:**

تَمُـــــوْتُ أَنْـــــتَ ذُبـــــالاتٍ مُمَزَّقَـــــةً

نَحْـــــنُ بَعْـــــدَكَ لِلشَّـــــيطَانِ نَبْتَهِـــــلُ

مِـــنْ أَلْـــفِ عَـــامٍ تَغُـــوْصُ الأَرْضُ فِـــي فِـــتَنٍ

لَـــمْ تَنْتَقِـــلْ عَنْـــكَ إِلاّ وَهْـــيَ تَشْـــتَعِلُ

سَـــارُوا إِلـــى اللهِ مِـــنْ أَزْمـــانِ (فَاطِمَـــةٍ)

إِلـــى (يَزِيْـــدَ) وَحَتَّـــى اليـــومِ مَـــا وَصَـــلُوا

يَسْتَنْهِضُـــونَ بِـــكَ الآمـــالَ مُشْـــرَعَةً

وَيَتْرُكُونَـــكَ لا أَهْـــلٌ وَلا أَمَـــلُ

لَيْسَـــتْ سَـــوَارِي بَنِـــي أَعْمَامِنَـــا مَـــثَلاً

حَتَّـــى وَإِنْ بَـــانَ أَنَّـــا فِـــي الهَـــوَى مَثَـــلُ

مِلْيُـــونُ طَائِفَـــةٍ فِـــي كُـــلِّ نَاحِيَـــةٍ

وَكُـــلُّ فَـــرْدٍ بِمَـــا يَهْـــوَاهُ مُنْشَـــغِلُ

هَـــذِي القُلُـــوبُ عَلَـــى أَعْجَازِهَـــا انْكَفَـــأَتْ

وَأَنْكَـــرَتْ كُـــلَّ أَصْـــلٍ فِيْـــكَ يَتَّصِـــلُ

قَـــدْ سَـــاوَمَتْكَ عَلَـــى رَأْسِ (الحُسَـــيْنِ) تُـــرَى

مَـــنْ يَشْـــتَرِيْهِ؟ وَهَـــلْ عَـــنْ سَـــحْقِهِ بَـــدَلُ؟[3]

يخاطب الشاعر هنا المواطن الضعيف (حمدان) ويصف حاله مع الوعود السياسية التي هي مجرد حبر على ورق، فيصفه بوصف يعبر عن حاله (ذبالات ممزقة) حيث الانقسام

---

(1) انظر: الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، عساف، ص 38.

(2) الصورة الشعرية دراسة اسلوبية في ديوان مفدي زكريا، جودر، شنفاوي، ص40.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص87-88.

بين العرب ورغم ما يدعونه من وحدة عربية، التي هي اسم فقط، غير مراعين الشعب الذي جعلوه منقسمًا لعدم توحدهم، فهذا ما جعل الأرض تسبح في بحر الفتن والحروب والقتل والدمار، حيث إنهم في بداية الأمر ينهضون بالآمال والأحلام، ثم لا يكملون تحقيقها، فالكل منشغل بمصالحه السياسية الكبرى.

وقال في قصيدة سأشرب لو ملأت الكأس سُمًا:

لا تَـــــرْكَنْ إلـــــى الـــــدّنيا فـــــإنّي
وَجَـــدْتُ شَـــرَابَها -لـــو ســـاغَ - مُـــرَّا
لَقَـــــدْ كَفَـــــرَ الّـــــذينَ تَعَشَّـــــقُوها
وآمَـــنَ مَـــنْ يَـــرى الإيْمـــانَ كُفْـــرَا
يَظَـــلُّ المـــاءُ إنْ لَـــمْ يَجْـــرِ نَـــزْرًا
وحـــينَ يســـيْلُ يَغْـــدُو المـــاءُ نَهْـــرَا
فـــــلا تَجْعَـــــلْ مُنـــــاكَ مُقَيَّـــــداتٍ
ولا تَجْعَـــــلْ فـــــؤادَكَ مُسْـــــتَقِرَّا
إذا لَـــــمْ تَجْـــــنِ مِـــــنْ دُنْيـــــاكَ إلاّ
طُمُوحًـــــا قـــــاتِلاً فَكَفَـــــاكَ فَخْـــــرَا[1]

يصور الشاعر هنا حال الذين يلهون حول ملذات الدنيا، فينسون أنها فانية، فالذين أحبوا الدنيا قد كفروا بالأخرة، ومن لم يؤمنوا بالدنيا فقد آمنوا بالآخرة، ثم يحث الشاعر على السعي وراء الطموح، وأن لا تكون هذه الآمال والأحلام أسرى العقل، فإن لم يتجه الإنسان لها فإنها ستبقى ثابتة، وإن حركها ستهطل عليه بالخير، مصورًا هذه الطموح بالإنسان القاتل الذي يعتدي على تفكير الإنسان، الذي يسعى من أجل تحقيقها، فالشاعر هنا يدعو إلى التوزان إلى السعي وراء الأحلام والآمال، مع التذكر بأن هناك الأمل الذي يستحق السعي الأكبر له وهو الفوز برضا الله ودخول جنته.

وقال في قصيدة **نزّه تراب القدس:**

أَيُصَـــــــدَّقُ الكَـــــــذَّابُ والغَوْغَـــــــاءُ؟

(1) الزنابق، العتوم، ص108.

ويُحكَّـــــــمُ الطّـــــــاغوتُ والأهـــــــواءُ؟

نبـــأٌ يَجِـــيءُ مَـــعَ الصَّـــباحِ فَلَيْتَهـــا

قَـــــدْ تَكْـــــذِبُ الأخبـــــارُ والأنبـــــاءُ

لا تُبـــدِ رأيَـــكَ فـــي الأمـــورِ جميعِهـــا

فـــالأمرُ مـــا أَمَـــرَتْ بِـــهِ الأُمَـــراءُ

خَفُّـــوا إلـــى المُتَـــعِ الذَّليلـــةِ كلُّهُـــمْ

وَمِـــنَ الصَّـــلاحِ علـــى الـــذُّنوبِ غِطـــاءُ[1]

يصور الشاعر هنا حال الذين حكموا وتخاذلوا، وباعوا البلاد وظلموا الشعب من أجل مصالحهم وأهوائهم، فقد وصفهم (بالكذاب، والغوغاء، والطاغوت، والأهواء)، التي جعلت البلاد العربية متفرقة، وأصبحت الوعود الكاذبة صفة ملازمة لهم، والأخبار المؤلمة عن حال الأمة العربية من حروب وانتكاسات، فقد شخص الشاعر الأنباء وجعلها كإنسان يأتي ويتكلم الكذب ثم يتحدث عن حال المواطن الذي أصبح لا رأي له، فهناك من يسيّر أموره خلف ستار الإصلاح الذي يتسرون خلفه ويخفون فيه ظلمهم للشعب.

وقال في قصيدة يا شعلة الحزن:

جْـــنٌ، وَقَيْـــدٌ، وَتَحْقِيـــقٌ بِـــلا تُهَـــمِ

وَمَحْكَمَـــــاتٌ، وَقَمْـــــعٌ ، وَاعْتِقـــــالاتُ

حُرِّيَّـــــةُ الـــــرّأيِ وَالتَّعْبِيـــــرِ أَقْنِعَـــــةٌ

وَالأَمْـــنُ ثَـــوْبٌ تُوَشِّـــيهِ الـــدِّعاياتُ[2]

يصور الشاعر المرحلة التي مر بها وسجنه، وربطه هذا بقصة سجن أحمد الدقامسة فهما سجنا من أجل حبهما للوطن، مصورًا أن حرية التعبير والديمقراطية أصبحت مجرد قناع لا حقيقة لها على أرض الواقع، وأن الأمن مجرد ثياب يرتديه رجاله من أجل الدعايات، فهم يدعون أنهم يحافظون على مصلحة المواطن.

وقال في قصيدة عشيات لا تنتهي:

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم ، ص 103.

(2) المرجع السابق، ص118.

هِـــــيَ أُمَّـــــةٌ إِنْ تَنْـــــتَهِضْ لِكَرَامَـــــةٍ

يَعْلُـــــو عَلَـــــى أَحْرَارِهَـــــا البُسْـــــطَارُ

كَـــمْ فـــي المَـــزَادِ تَسَـــابَقُوا فـــي بَيْعِهَـــا

وَأَعَـــفُّ مَـــنْ بَـــاعُوا هُـــمُ الثُّـــوَّارُ!!

النَّـــائِحُونَ عَلَـــى الخَـــرَابِ وَهَمُّهُـــمْ

فـــي غَيْرِنَـــا مِـــنْ خَيْرِنَـــا الإِعْمَـــارُ

هِـــيَ بَعْضُـــنَا نَغْفُـــو عَلَـــى إِذْلالِنَـــا

حَتَّـــى تَمَشَّـــى فـــي الـــدِّمَاءِ صَـــغَارُ

هِـــيَ إِنْ حَلَفْنَـــا بِالوَفَـــاءِ لِعَهْـــدِهَا

كَـــذَبَ الوَفَـــاءُ فَنِصْـــفُنَا غَـــدَّارُ

إِنَّـــا طَعَنَّاهَـــا لِنَسْـــتُرَ زَيْفَنَـــا

وَيَعِـــيْشَ فَـــوْقَ صُـــدُورِنَا المُخْتَـــارُ

هُـــوَ لا اليَمِـــيْنُ مِـــنَ الفِـــرَارِ مُبَـــرَّئٌ

كَـــلاَّ وَلا عَـــدَّى اليَسَـــارَ فِـــرَارُ

قَـــالُوا: إِذَاً وَسَـــطِيَّةٌ، قُلْنَـــا لَهُـــمْ

لَـــوْ كَـــانَ فـــي أَيْـــدِي الـــوُلاةِ قَـــرَارُ

وَطَنِيَّـــــةٌ بِرِيَـــــادَةٍ كَذَّابَـــــةٍ

نِضَـــالُنَا فـــي نَعْشِـــنَا مِسْـــمَارُ

كُـــنْ وَاحِـــدَاً، كُـــنْ أَوْحَـــدَاً مُتَمَـــرِّدَاً

فَـــالجَمْعُ تَجْمَـــعُ بَيْنَـــهُ الأَقْـــذَارُ

فَـــإِذَا بَرِئْـــتَ، بَرِئْـــت مـــن أوضـــارهم

كـــم (شـــلة) كبراؤهـــا أوضـــار

صِـــفرٌ علـــى حَـــدِّ الشِّـــمالِ رُموزُنـــا

فـــي العَـــدِّ مـــاذا تَفعَـــلُ الأَصْـــفارُ؟![1]

يصور الشاعر هنا حال الأمة العربية، فقد شبهها بالشيء الذي يُباع ويشترى، غير معروف من يبيعها فالكل وراء مصلحته يمضي، لكن الذين اشتروا هذه الأمة واشتروا الكرامة هم

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص36-38.

الثوار الذين دافعوا ونطقوا بالحق، والذين يسعون من أجل الإعمار، أما الذين يخضعون من أجل أن تمشي أمورهم البسيطة، والذين حلفوا وعاهدوا أن يبقوا أوفياء من أجل الوطن، فقد كذب الوفاء لديهم، وصدق غدرهم ببيعهم البلاد، فقد شبه الشاعر هذا الغدر بالقتل والطعن للأمة العربية، الذي جعل هناك من يتحكم فيهم، ويعيش فوق الصدور ليدفع ثمن هذا حريته، ثم يدعو الشاعر إلى النهوض حتى وإن كانت الجموع كلها تقاد بغير وعي، تجري وراء القادة والزعماء، فلم ينال هذا الشعب من حقوقه إلا حين يحركه زلزال الأفكار، بأن يفكر بما يدور حوله ولا يرضى بأن يعيش مرارة الواقع.

3- الصورة الحسية:

الحس من النعم التي أنعم بها الله على الإنسان، فهو وسيلة من الوسائل التي ينقل الشعراء من خلالها أفكارهم وما يجول في خاطرهم.

تعد الصورة الحسية من الصور الجزيئة في النص، وتظهر في النص من خلال ذكر الحواس، البصر والسمع والشم والتذوق واللمس، حيث يتجسد للقارئ فكرة، من خلال ذكر هيئة عناصر المشهد أو ألوانه أو صوته، أو تذكر مجتمعة بالإضافة إلى اللغة والألفاظ والتراكيب المناسبة[1].

فكثيرًا ما يستخدم الشعراء مثل هذا النمط من الصور، فهي حلقة الوصل بينه وبين محيطه، فمن خلالها ينتقل تأثير ما يحيط به إلى نفسه، ثم يتحول هذا التأثير إلى صور مستعينًا بأدواته ووسائله لكي يوضح من خلالها أفكاره[2]

إن هذا النوع من الصور له علاقة بمفهوم الصورة الشعرية ككل، بالشكل التي ترسخ في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة، بوصف الشاعر يميل إلى التعبير عن العوالم الشعورية المجردة بطريقة تجعله يستثمر مدركات العالم وأشياءه الحسية للقيام بمهمة الأداء، حيث يقوم بإعادة صياغتها وتشكليها من خلال معان ودلالات تعجز اللغة المباشرة عن الإفصاح عنها، ففي مثل هذه الصور تقدم المدركات المجردة في صورة مظاهر محسوسة عن طريق الاستعارة وغيرها، التي تتخذ مجموعة متنوعة من المواقع النحوية، فهي قد تكون اسمًا وفعلًا[3]

---

(1) الصورة الشعرية في شعر فهد العسكر، محمد.

(2) المرجع السابق، ص 69

(3) المتخيل الشعري عندي أمل دنقل، المساوي.

أما عن أهمية الصورة الحسية قال ابن طباطبا: " إن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له، إذا كان وروده عليها ورودًا لطيفًا باعتدال لا جور فيه، وبموافقة ولا مضادة معها، فالعين تألف المرأي الحسي وتقَذى بالمرآي الكريه..." [1].

فبقدر ما ثير الشاعر انتباه الحواس في صوره، تكون الصلة قوية بين العالم الخارجي وأحاسيس المتلقي، فتصبح الحواس حلقة الوصل بين العالم الخارجي ونفس المتلقي[2].

فالحواس تستخدم في تكوين الشاعر لصورته، فإن الملمس والرائحة والطعم لتتداخل مع الشكل واللون في الصورة الشعرية؛ لأن العقل لا ينفذ إلى الطبيعة من خلال النظر فحسب فيستخدم الشاعر كل الأشياء الواقعة وكل الصفات سواء مرئية أو غير مرئية[3] وجاء تقسيم الصورة الحسية إلى:

أ- الصورة البصرية:

البصر من الحواس التي وهبها الله للإنسان، وله أهمية في تكوين الصورة الشعرية، فوظيفة حاسة البصر التعرف على الأضواء والألوان والأشكال في المحيط الخارجي للإنسان، فمن خلالها يدرك خصائص الشيء الذي يشاهده ببصره[4] حيث ينقل الشاعر من خلاله ما يراه إلى المتلقي، ذاكرًا أوصافه وأحواله المرئية، أو أنه يبرز أمرًا عقليًا في صورة شيء مرئي، مع ذكر صفاته الشكلية أو اللونية[5].

إذا كان نقاد الواقعية الجديدة يعترفون بالصور التي تأتي بها الحواس الخمس، فإنهم يضعون البصر فوق غيره من الحواس، فالبصر أدق الحواس وأكملها، فهو يقدم للعقل أكبر قد من الأفكار المتنوعة[6].

فالصورة البصرية هي "نتاج تتعاون فيه كل الحواس، وكل الملكات"[7] وهي بمنزلة

---

(1) عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق: عباس عبد الستار، ص20.

(2) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، أبو شريفة، وآخر، ص 62.

(3) الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) ، إسماعيل، ص 130.

(4) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، الطربولي، ص506.

(5) الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد) ، الغنيم، ص89.

(6) في النقد الحديث (دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، عبد الرحمن، ص22.

(7) الصورة في شعر بشار بن برد، نافع، ص 99.

الإلهام التي يأتي نتيجة قراءات الشاعر ومشاهداته وتأملاته ومعاناته، إلى جانب الخيال الواسع وقوة التفكير والذاكرة[1].

ومن النماذج عند العتوم التي اعتمد فيها على الصورة البصرية، فقال في قصيدة **عاشقان:**

تَتَشَكَّلُ الأَحْزَانُ فَاتِنَةً ...

عَلَى رُوْحِي تَسِيْرُ بِغَيْرِ أَقْدامٍ وَحَافِيَةً

وَفِي أَغْوارِ عَيْنَيْها أَرَى الأَنْهَارَ وَالأَنْغامَ – عَفْوًا – تَجْرِيانْ

وَالْمَاءُ قَهْقَهَ حِينَ غَازَلَ فِي الْجِوارِ غَزَالَةْ

وَرَمَى إِلَى ثُغَّاحِ عَيْنَيْهَا الكَمَانْ

وَعَلَى جِدارِ الرُّعْبِ تَزْحَفُ ذِئْبَتانْ [2]

يصور الشاعر هنا الأحزان وكأنها فتاة جميلة، فهذه الأحزان قد التصقت بروحه، تسير حافية بغير أقدام، مستعينًا بمظاهر الطبيعة في رسم هذه الصورة، حيث يرى الشاعر في عينيها الأنهار والأنغام تجريان مرغمة على الإنشاد، ومستخدمًا تراسل الحواس حيث جعل الأنغام كمدرك سمعي، بأنه يراها وكأنها مدرك بصري، ويكمل الشاعر هنا صورته البصرية عن الأحزان بأن يلجأ إلى صورة سمعية حيث جعل الماء كأنه إنسان يضحك ويصل الضحك إلى درجة عالية (قهقهة) وأنه يغازل الغزالة التي تجاور النهر ويرمي لها الكمان، ويكمل الشاعر صورته البصرية بأنه يرى على جدار الرعب ذئبتين، بأن صور الرعب بالبناء الذي يحيطه الجدار، وعلى هذا الجدار يرى الذئبتين.

وقال في قصيدة **افدي بلاءك:**

قِـــفْ بالعُروبَـــةِ يـــا سَـــمِيرَ الحَـــادِي

مِـــنْ كُـــلِّ نَجْـــمٍ فِـــي السَّـــماءِ وشَـــادِي

وَانْظُـــرْ إِلـــى حـــالٍ تَهَتَّـــكَ نَسْـــجُهُ

وَعَفَـــا عَليـــهِ تَعاقُـــبُ الآمـــادِ

---

(1) الصورة في شعر بشار بن برد، نافع، ص99.

(2) طيور القدس، العتوم، ص20.

أمـــــمٌ تَغَشَّـــــاها الضِّـــــياعُ فَمَـــــا لَهَـــــا

فـــــي دَرْبِهـــــا تَمْضِـــــي بِغَيْـــــر قِيـــــادِ؟![1]

في هذه الأبيات التي يهديها إلى أطفال الحجارة والمناضلين، حيث اتخذ (سمير الحادي) كرمز يخاطبه ويطلب منه أن ينظر إلى حال العرب الهش، حيث شبه حال العرب بالثوب المثقوب نسجه، فأصبح العرب في حالة من الضياع، بغير قادة ترعى مصالح الشعوب.

وقال في قصيدة **شكرًا لمن تسعى لحتفي:**

لا يُعْجِـــــبِ الـــــزُّرَّاعَ نَبْـــــتٌ نَاضِـــــرٌ

سَـــــيَهِيْجُ مُصْـــــفَرّاً عَلَـــــى الـــــزُّرَّاعِ

أَوَ لَـــيْسَ ضَـــوْءُ الشَّـــمْسِ يَهْـــبِطُ مِـــنَ عَـــلٍ

فَتَـــــرَاهُ فَـــــوْقَ حَبَابِـــــهِ اللَّمَّـــــاعِ[2]

يصف الشاعر نفسه بالنبات النضر المتفتح، فهو كشاعر مهما عصفت به الظروف سيبقى شعره دليلًا عليه، فهذا النبات يتحول لونه إلى اللون الأصفر من أشعة الشمس الساقطة عليه، ويكون لامعًا فوق حبات الزرع.

وقال في قصيدة **الخفافيش:**

إذا هُمُ رَفَعُوا الأسْعارَ وَاحْتَرَقَتْ

جُيُوبُ فَقْري، وَزَجُّونِي بِقَاقُوشِ

(وَمَشْوَرُوْنِي) عَلَى أَبْوابِ دائِرَةٍ

كانتْ تَلَذّذُ في بطني بِتَرْفِيْشِ

رأيتَني مثلَ وجهِ الصّبح مُبتسمًا

لأنّني لستُ مَعْنِيَّاً بِتَحْرِيْشِي

وإنْ رأيتُ وليَّ الأمرِ يَجْلِدُنِي

مَلأتُ جَوّي بِتَصْفِيقٍ وَتَعْيِيْشِ[1]

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم ، ص85.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 124.

يصور الشاعر في هذه الأبيات حال المواطن الخاضع للظلم والإهانة، ولا يحرك ساكنًا، وهو مهما كانت ظروف معيشته صعبة، وارتفعت الأسعار، وضاعت حقوقه، تجده مثل ضوء الصبح مبتسمًا، كالطفل الصغير الذي يرضيه الشيء البسيط، غير واع على حقوقه.

وقال في قصيدة أنا الشوق:

يَقُولـــــونَ: اشْـــــتِياقاً ؟! قُلـــــتُ: كَـــــلاّ

أنـــا الشّـــوقُ الّـــذي احْتـــرَقَ احْتِراقـــا

وَطَرْفـــي كـــانَ قَبْـــلَ اليـــومِ أَعْمَـــى

فَلمَّـــا عـــايَنَ القَبْـــرَ اسْـــتَفاقا

أَفِـــي هـــذا التُّـــرابِ ثَـــوى نَبـــيٌّ !!

وَضَـــمَّ التُّـــربُ أَضْـــلُعَهُ الْتِصـــاقَا!![2]

ففي هذه الأبيات واصفا فيها إحساسه بالجمال حين رؤية قبر الرسول –ﷺ– وكأنه كان قبل ذلك أعمى، لم يرَ من قبل، وحين رأى قبر الرسول –ﷺ– أبصر، وكأنه كان في دنيا السراب، إلا أنه رأى عالم الحقيقة والراحة بجوار النبي ﷺ مطلقًا على العين التشخيص حيث شبهها بالإنسان الذي ينام ويستيقظ.

وقال في قصيدة **طُيُورُ القُدْسِ:**

أَرَى وَطنًـــــا إِلـــــى سُـــــوقٍ يُقـــــادُ

وَمَـــــنْ يَشْـــــرِي إِذَا كَسَـــــدَ المَـــــزَادُ؟!

وَهَـــــلْ بِيْعَـــــتْ ..؟! إِذا عُرِضَـــــتْ بِأَيْـــــدٍ

تَخَرَّمَهـــــا التَّغَـــــوُّلُ وَالفَسَـــــادُ[3]

ففي هذا البيت يشعر بالندم على حال الوطن، حيث شبهه بالسلعة أو الشيء المادي الذي يُباع ويشترى، فهو يرى بعينه ضياعه وانتشار الفساد فيه، ويرى الذل الذي يستكين في عيون الشعب.

ويقول في قصيدة **مرابع الأحباب:**

---

(1) الخفافيش، مدونات الجزيرة (موقع إلكتروني)

(2) طيور القدس، العتوم، ص30.

(3) المرجع السابق، ص 53.

لَيْـــــلٌ، وَبُعْـــــدٌ، وَاغْتِـــــرَابُ أَحِبَّـــــةٍ

وَجَـــــدَاوُلٌ مَهْجُـــــورَةٌ، وَسُـــــجُونُ

وَعَلَـــى امْتِـــدَادِ الأُفْـــقِ بَـــرْقُ حَبِيْبَـــةٍ

لَمَعَـــتْ فَضَـــاءَ المُظْلِـــمُ المَكْنُـــونُ[1]

حيث يصف هنا حاله وهو في السجن، حيث البعد والفراق عن الأحبة، ومع هذا فإنه يرى برق حبيبته الذي أضاء له ظلمة السجن.

وقال في قصيدة وتجري كالخيول مخاطبًا الوطن:

رَأَيْتُـــكَ مِـــلءَ مَـــاءِ البَحْـــرِ تَهْـــدِى

إلـــى الشُّـــطْآنِ فَيْضًـــا مِـــنْ سَـــنَاكَا

وَتَجْـــــرِي كَـــــالْخُيُولِ مُطَهَّمَـــــاتٍ

إلـــــى العَلْيَـــــاءِ تُبْلِغُهَـــــا مَـــــدَاكا

فَأَنْـــتَ الشَّـــمْسُ مَـــا سَـــطَعَتْ وَسَـــارَتْ

وَأَنْـــتَ الـــنَّجْمُ تَرْفُـــلُ فِـــي عُلاكَـــا

إذا ضَـــاءَتْ خُيُـــوطُ الشّـــمْسِ صُـــبْحًا

فَمَـــنْ يَسْـــطِيْعُ لِلصُّـــبْحِ امْتِسَـــاكا ؟![2]

يصور الشاعر جمال الوطن في صورة بصرية جميلة، حيث يراه يوزع من نوره إلى الشواطئ، وقد استخدم الشاعر (ملء البحر، الشطآن) تأكيدًا على بهاء الوطن وجماله، وفي صورة أخرى يصوره بالخيول، واستخدام الخيول دليل على أن أبناء الوطن مستعدون للدفاع عنه، وبسعون أن يكون الوطن بأعلى مراتب المجد والعزة، ومن ثم يصور بالشمس في ضياءها والنجم في علوه، فهو دائمًا بالعز والجمال ينعم، وإن طاله البغاء بظلم.

هكذا جاءت الصورة البصرية عند العتوم عبارة عن صورة جزئية متنوعة بين مشاعر الحب ووصف المحبوبة، ومشاعر الامتنان للوطن.

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص119.

(2) طيور القدس، العتوم، ص 73.

ب- الصورة السمعية:

جاء عند شوقي ضيف أن الشعر فن سمعي، وليس فنًا بصريًا[1] وهذا ما يتعلق بتوثيق الأشعار وكتابتها في العصر الجاهلي، ولكن الشعر يعتمد على أكثر من حاسة، وليس حاسة السمع فقط.

فالصورة السمعية هي "الصورة التي ترجع إلى حاسة السمع في إدراكها"[2] فالمتلقي يدركها عن طريق حاسة السمع، ويكون الموصوف فيها من المسموعات[3]، حيث تقوم بتوظيف ما يخص حاسة السمع، مع استخدام أصوات الألفاظ في قالب شعري جميل، إما أن تكون هذه الحاسة مفردة، أو بمشاركة الحواس الأخرى، مع توظيف الإيقاع الشعري الداخلي والخارجي، لنقل الإحساس في الصورة إلى المتلقي[4].

قال في قصيدة **أحبك يا وطني:**

أَيَا وَطَنِي...

يَا نَشِيْدًا يَسِيْلُ عَلَى شَفَتَيَّ

وَيا نَغَمًا يَسْتَبِيْحُ الشَّذَى وَالدِّماءْ

مَتَى يُدْرِكُونَ بِأَنِّي أُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنِّي

وَأَنِّي أُكَحِّلُ مِنْ طَاهِراتِ تُرابِكَ عَيْنِي[5]

يصور الشاعر هنا في هذه الأبيات حبه لوطنه، في صورة سمعية حيث يشبه بالنشيد الذي يردده دليلًا على تعلقه به، وأن شفتيه لا تتحرك بالكلام إلا عن الوطن، فهو نغم ألحانه جميلة تعزفه دماء الشهداء ويزيده عطرًا المسك والطيب ما يفوح من دمائهم مسكًا وطيبًا.

وقال في قصيدة احتفالية الموت:

---

(1) تاريخ الأدب المعا صر (العصر الجاهلي)، ضيف، ص 140.

(2) أحمد الصورة الشعرية في شعر الحسيين في العصر الاموي، الدهني، ص109.

(3) المرجع السابق، ص109.

(4) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، إبراهيم، ص21.

(5) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم ، ص 46.

فَمَنْ كانَ يَسْمَعُ

حينَ سَرَى في عُرُوقك لحنُ الرجوع الأخير

بكاءَ القصيدة حولك؟ مَنْ كانَ يَسْمَعُ ذَاكَ الدّبيبْ؟

وفي هَدْأَةِ اللَّيلِ صوتَ النَّشيجِ وَمُرَّ النّحِيبْ ؟

وَمَنْ كان يلمس إمّا تغنّي وتهذي بذات الغضا

أنّ هذا البكاءَ غناءٌ يوزّع ألحانَهُ العندليبْ ...

تذكرْتُ مَنْ سَوْفَ يَبْكِي عَلَيْكَ...

بَكَيْتُ عَلَيَّ ... لأنَّ الذي فِيْكَ فيَّ ... لأنَّ حبيبَ الحَبِيْبِ حَبيبْ... [1]

يخاطب الشاعر الشاعر مالك بن الريب[2] وهو في قبره، حيث لا أحد كان يسمع أنات قلبه قبل أن يذهب إلى مثواه الأخير، جاعلًا الموت كلحن يجري في العروق، والقصيدة كانسان يبكي وهذا البكاء كالدبيب يمشي بتمهل لا يسمعه أحد، حيث رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدة قبل وفاته بعام، وهذا ما جاء في كتاب الأمالي[3]، وفي النهاية يصور هذا البكاء والحزن بصوت الغناء الذي يوزع ألحانه العندليب.

وفي القصيدة نفسها قال الشاعر:

تَمُوْتُ الخُيُوْلُ وُقُوْفاً ألا أيّها الشّاعرُ العَبْقَرِيُّ

وَيَبْقَى يَرِنُّ بِمَسْمَعِنَا لَحْنُهَا وَالصَّهِيلْ ...

فكيفَ يكونُ مماتُكَ في الممكناتِ

وقد جئتَ في الزّمنِ المُستحيلْ...[4]

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 123.

(2) ماالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن عمر بن تميم، وكُني بأبي عقبة (ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تحقيق: نوري القيسي، ص53.

(3) كتاب الأمالي، آباد، ص44.

(4) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 124.

يخاطب الشاعر مالك بن الريب، فشبهه بالخيل، لما له من شجاعة، فتبقى سيرة الأبطال يتداولها التاريخ، وتبقى قصصهم يتعلم منها الناس، كما الخيول التي يبقى صهيلها مدويًا، واصفًا ذاك الصهيل بالغناء التي ما زالت ترن ألحانه بمسمعنا.

وفي قصيدة نزه تراب القدس قال:

إنّـــي وَمَـــا غَنَّـــى الرّصـــاصُ مُلَعْلِعـــاً
غنّيْـــتُ؛ شِـــعْري الأحـــرفُ العَصْـــماءُ
وبعثْتُهـــا للقُـــدْسِ أطهـــرِ بُقْعَـــةٍ
فشَـــجا فـــؤادَ المَقْدَسِـــيّ غِنـــاءُ
إنّـــي صَـــرَخْتُ بـــذي الشّـــعوبِ تنبّهـــي
قـــد طـــالَ فيـــكِ النّـــومُ والإغفـــاءُ
هـــذي رُبَـــى القُـــدْسِ الشّـــريف تَئُـــوءُ مِـــنْ
قَيْـــدٍ، ويَكْثُـــرُ فَوْقَهَـــا الـــدُّخَلاءُ[1]

يتحدث الشاعر عن حبه للقدس الشريف، وغفلة العرب المسلمين عنها، حيث شبه الرصاص بالإنسان الذي يتكلم ويغني، وأنه كلما سمع الرصاص مدويًا، كان حافزا له لكتابة القصيدة، حيث تتدفق مشاعره وغيرته على القدس الشريف، ويصرخ الشاعر وينبه الأمة الذاهبة في سبات عميق، والقدس تنوء وتتوجع، فقط شبه القدس بالإنسان الذي يشعر بالوجع.

وفي موضع آخر يتحدث الشاعر فيها عن غفلة العرب ففي قصيدة **لا تعذليني** قال:

صَـــرَخْتُ مِـــنْ أَلَـــمِ التَّفْرِيـــقِ يَـــا وَطَنِـــي
وَصِـــحْتُ مِـــنْ أَمَـــلِ التَّوْحِيْـــدِ يَـــا عَـــرَبُ[2].

يوضح الشاعر هنا الحال الذي توصل إلى العرب بأن أصبحوا أخوة أعداء، فقد جعل الشاعر هذا التفريق والانقسام ألمًا يصيب الوطن، فيصرخ الوطن من شدة الوجع مستغيثًا بالوحدة العربية حتى تداوي آلامه، ولكن لا حياة لمن تنادي، فقد استخدم الشاعر هنا من مدركات حاسة السمع مثل (صرخت، صحت) ليدل على الآثار المترتبة على الوطن بسبب الانقسام.

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص109.
(2) الزنابق، العتوم، ص81.

وقوله في قصيدة وهل يرحل الحزن عني؟:

وَبَرْدُ الجَنُوبِ لَهُ أَلْفُ بَرْدِ الشَّمَالِ

إِذَا كَانَ دُونَ حَبِيْبْ

وَأَصْرُخُ في ظُلُمَاتِ الطَّرِيْقِ

أُسَائِلُ عَنْ وَرْدَةٍ بِعَبِيْرِ شَذَاهَا تُقِيْلُ خُطَايَ..

وَلا مِنْ مُجِيْبْ

أُنَادِيْ .. أُحَيْبَابَ قَلْبِي ..

فَأُدْرِكُ أَنَّ صَدَى الصَّوْتِ ضَاعَ ،

وَأَنْفَاسُ رُوحِي اضْمَحَلَّتْ

وَلَمْ يَبْقَ في القَلْبِ غَيْرُ الوَجِيْبْ[1].

في هذه الأبيات التي أهداها إلى أصدقائه الذين وقفوا معه، ويصور نفسه إذا كان بدونهم، سيصرخ ويتألم ولا يجد أحد يغيثه، حتى الوردة يطلب منها أن تنثر عطرها، فلا تجيبه، فينادي فلا يجيبه حتى صدى الصوت لا يرتد، وحتى أنفاسه باتت تخفق باضطراب، فهنا يصور حالة الضياع التي يعيشها بصورة سمعية مستخدمًا ألفاظ تدل على ذلك وهي (أصرخ، أنادي، صدى الصوت).

وفي قصيدة لا تعتذر قال:

لا تَعْتَذِرْ ...

لَمْ يَعْتَذِرْ شَجْوُ البَلابِلِ لِلْغُصُوْنِ ...

وَلا هَدِيْرُ المَوْجِ لِلشُّطْآنِ ... [2]

استخدم الشاعر هنا صورته السمعية من الطبيعة، حيث شجو البلابل التي لا تعتذر للغصون، ولا الموج يعتذر للشطآن عن الصوت الذي يحدثه.

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 102.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص83.

ج- الصورة الشمية:

الشم عنصر من العناصر التي يستخدمها الشاعر في تقريب صورته الشعرية إلى المتلقي، حيث يستخدم الشاعر لفظًا يدل على رائحة معينة، فيسهم هذا في تكوين صورة شعرية شمية[1].

فقد استخدم العتوم في مثل هذا النوع الصور الروائح الطيبة، حيث الياسمين، والمسك، والورد، ومن نماذجها عند العتوم **حيث قال في قصيدة و يبقى العطر بعد الياسمين:**

فَـــــإِنْ بَعْثَـــــرْتُ أَحْلامِـــــي وَرَائِـــــي

وَجُـــــزْتُ عَلَـــــى هَـــــواكِ فَسَـــــامِحِيْنِي

يَمُـــــــوتُ اليَاسَـــــــمِينُ إِذَا تَـــــــوَلَّى

وَيَبْقَـــــى العِطْـــــرُ بَعْـــــدَ اليَاسَـــــمينِ[2]

يخاطب الشاعر (ميسون) فقط شبهها بالياسمين وعطره الفوّاح، الذي تعبق رائحته في المكان، كذلك ميسون إن طالت فترة الغياب، فلا يمكن أن تختفي وتندثر من كيان الشاعر ووجدانه.

قال في قصيدة **ليلة العيد:**

أَهُـــزُّ قَلْبِـــي لَعَـــلَّ الحُـــبَّ يُوقِظُـــهُ

وَلَـــــيْسَ تُـــــوقِظُنِي إِلاّ سَـــــذاجاتِي

أَمُـــدُّ كَفِّـــي لَـــهُ حَتَّـــى يُصـــافِحَها

مَمْلُـــوءَةً عَبَقًـــا تَنْـــدَى بِنَفْحـــاتِي

وَلا أَقُـــــصُّ لَـــــهُ - إِلاّ مُعَطَّـــــرَةً

بِالمِسْـــكِ وَالـــوَرْدِ وَالنَّجْـــوَى - حِكايـــاتِ[3]

يصور الشاعر الحب بالمنبه الذي يوقظه من غفلته، ويصوره بالإنسان الذي يصافحه ولكنه يرفض مصافحته، مع أن كفه مملوءة بالطيب والرائحة الزكية، ومرة أخرى يصوره بالطفل الصغير الذي يقص له الحكايات المعطرة بالمسك والورد.

---

(1) التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، صيام، ص174.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص 62.

(3) المرجع السابق، ص109.

وقال في قصيدة لعينيكِ

يَفُـــــوحُ أَرِيْـــــجُ الزَّهْـــــرِ إِمَّـــــا هَزَزْتَـــــهُ

وَيَزْتَـــــاحُ ذُو قَـــــرْحٍ إِذَا هُـــــوَ أَغْلَنَـــــا

للَقَـــدْ شِـــئْتَ أَنْ تَحْيَـــا أَمِيْنـــاً عَلَـــى الهَـــوَى

شَـــاءَتْكَ أَقْـــدَارُ السَّـــمَاواتِ (أَيْمَنَـــا)[1]

فقد شبه حبه لوطنه بأريج الزهر الذي يحركه وينتشر عبقه في المكان، فقد شاءت الأقدار أن يكون مغرمًا بوطنه مدافعا عنه..

وقال في قصيدة **عبق التراب:**

تِلْـــكَ الـــدِّيارُ مِـــنَ الإِلَـــهِ تَضَـــوّعَتْ

مِسْـــكًا، وَفَاحَـــتْ بـــاِلَعِبيرِ مَســـاجِدُ[2]

يتحدث الشاعر عن أرض الرباط، وقد استخدم الشاعر الصورة الشمية حيث رائحة المسك والعبير التي تفوح من المساجد.

وقال في قصيدة أميرة الورد:

أَمِيْـــرَةَ الـــوَرْدِ إِنَّ الـــوَرْدَ أَشْـــقَانِي

فَسَـــامِرِيْنِي، تُمِيْتِـــي نِصْـــفَ أَحْزَانِـــي

وَالنِّصْـــفُ أُرْجِئُـــهُ يَوْمًـــا يُلَمْلِمُنِـــي

حَتَّـــى أُذِيْـــبَ عَلَـــى خَـــدَّيْكِ أَشْـــجانِي[3]

يطلب الشاعر من أميرة الورد أن تنشر الورد، مستخدمًا في هذه الصورة النباتات ذات الرائحة الطيبة (الورد، الريحان، السوسن)، لعل هذه الروائح تعكس شذاها على حزن الشاعر التي تملأ قلبه وإحساسه، فيستمد من عطرها دواء لحزنه.

وقال في قصيدة من أسفار العزة... لعيون الحبيبة:

---

(1) قلبي عليك حبيبتي، العتوم، ص 110.

(2) طيور القدس، العتوم، ص58.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم ، ص23.

(وَمَيْسُونُ) التي كَالصُّبْحِ تَطْلُعُ

بَيْنَ أَشْذاءِ الهَوىَ وَالِمسْكِ وَالعَنْبَرْ

(وَمَيْسُونُ) التي مِنْ أَجْلِ أنْ تَطَّهَّرَ الدُّنْيَا

بِهَا الرَّحْمَنَ قَدْ بَشَّرْ[1].

يصف الشاعر (ميسون) بالصبح، الذي يحمل معه تباشير الأمل، والحياة، الذي تتعطر نسائمه بالمسك والعنبر.

د- الصورة الذوقية:

فيه يعتمد الشاعر على ما يتذوقه، فيكون التذوق من الأسس التي يبني عليه الشاعر صوره الشعرية الذوقية[2] فهو عنصر من عناصر الصورة، فإن كان الطعم قليلًا ونادرًا في باب التصوير، إلا أنه يساعد على تذوق الصورة[3] ويطغي عليه جمالًا.

فقال في قصيدة **بعض العشق يشفي وبعضه يسقم:**

وَطَنِـــي وَبَعْـــضُ العِشْـــقِ حِـــيْنَ تَذُوقُـــه

يَشْـــفِي مُرِيْدِيْـــهِ، وَآخَـــرُ يُسْـــقِمُ

إِنّـــي أُعَـــذَّبُ فـــي هَـــواكَ، وَلَيْتَنِـــي

أُسْـــقَى رِضـــاكَ، وَتَسْـــتَرِيْحُ الأَعْظُـــمُ

إِنْ آلَـــمَ العُشَّـــاقَ حُـــبٌّ جـــامِحٌ

فَأَلَـــذُّ حُـــبٍّ فِـــي الحَشَـــا مَـــا يُـــؤْلِمُ[4]

يصور الشاعر هنا حب الوطن بالشراب الذي يتذوقه الإنسان، مرة يكون فيه الشفاء والراحة، ومرة أخرى يكون فيه السقم والتعب، في زمن أصبح فيه حب الوطن جريمة، فالشاعر معذب في هوى وطنه ويتمنى أن يكون دائمًا بسلام، وفي الشطر الأخير يلجأ الشاعر إلى صورة ذوقية، حيث ألذ حب يشعر به الإنسان هو المفعم بالألم، فقد شبه الحب مرة أخرى بالشراب اللذيذ.

---

(1) الزنابق، العتوم، ص52.

(2) الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس، كاوة، ص 116.

(3) الصورة الأدبية تاريخ ونقد، صبح، ص 167.

(4) بعضُ العِشق يَشفي وبعضُه يُسقِم ، مدونات الجزيرة (موقع إلكتروني)

وفي قصيدة **نحن من أوجاعنا لا نتألم** قال:

قَـــــدْ سَـــــقَوْنا المُـــــرَّ لَكِنَّـــــا فِـــــدَّى

سَـــوْفَ نَسْـــقِي الـــوَطَنَ الظَّـــامِئَ بِالَّـــدمْ[1]

يصور الشاعر العذاب التي تعرض له في السجن بشراب مذاقه مر، حيث الوحدة وبعده عن أهله، لكنه من أجل الوطن سوف يقدم كل غالٍ ونفيس، وروحه ودمه لكي يعيش بعزة وكرامة.

وكذلك قوله في قصيدة **مقبرة الأحياء**:

إِذَا تَنَهّـــــدْتُ دَعْنَـــــا فِـــــي تَنَهُّـــــدِنا

وَإِنْ بَكَيْـــــتَ فَقُـــــلْ لِلْمُقْلَـــــةِ انْسَـــــكِبِي

حَمَلْـــــتُ غُصَّـــــةَ عُمْـــــرِي وَهْـــــي يافِعَـــــةٌ

وَذُقْـــــتُ لَوْعَـــــةَ حُزْنِـــــي وَالفُـــــؤادُ صَـــــبِي[2]

يصور الشاعر حزنه الشديد على أيامه التي قضاها في السجن، وفي الشطر الأخير يصور الحزن الذي أصابه في السجن وهو في ريعان شبابه في صورة ذوقية، فصوره بأنه طعام له مذاق، وأي مذاق؟! وأقل ما يمكن أن يقال عنه هو الصبّار، حيث الأيام المريرة والبعد عن أهله وأصحابه.

وقال في قصيدة قيدي من الصمت:

عَـــدَتْ عَلَيْـــكَ عَـــوَادِي الـــذُّلِّ يَـــا بَلَـــدِي

وَأَشْـــرَبُوكَ كُـــؤُوسَ الزَّيْـــفِ وَالزَّبَـــدِ[3]

وفي القصيدة نفسها قال:

هَـــذِي بِـــلادِي عُرُوقِـــي بِـــالمُنَى نَبَضَـــتْ

وَخَـــاطِرِي، وَالهَـــوَى المَنْقُـــوشُ فـــي كَبِـــدِي

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 92.

(2) المرجع السابق، ص115.

(3) المرجع نفسه، ص97.

يَـــا سَـــائِقَ الإِبْـــلِ إِنْ تَشْـــرَبْ عَلَـــى ظَمَـــأٍ

مِـــنَ المَهَانَـــةِ، إِنَّ الإِبْـــلَ لَـــمْ تَـــرِدِ[1]

في هذين البيتين يصور الشاعر الذل والمهانة في صورة ذوقية، حيث في البيت الأول جعل الزيف والزبد بالشراب الذي أذاقوه المتخاذلون إلى الوطن، وفي البيت الثاني يشبه المهانة بالشراب أيضًا، لمن يرضى أن يعيش بالذل ولا يحرك ساكنًا.

وقال في قصيدة لا تَعْذُلِينِي:

طَعْـــمُ الْمَـــرَارَةِ سِـــكِّيْنٌ بِحُنْجَرَتِـــي

وَالحُـــزْنُ مِـــنْ قَسَـــمَاتِ الوَجْـــهِ يَنْتَقِـــبُ[2].

يصور الشاعر طعم الحزن والمرارة الذي ينتقب ويختفي في ملامح الوجه، كأنه سكين قد علق في جنجرته.

هـ- الصورة اللمسية:

في هذا النوع من الصور يعتمد الشاعر على أربعة إحساسات هي: الإحساس بلمس شيء ناعم أو خشن أو صلب، الإحساس بالألم من قساوة ورقة، الإحساس بالسخونة[3]، فيلجأ الشاعر إلى استخدام هذه الأحاسيس؛ لكي يعبر ويقرب إلى المتلقي ما يشعر به، فالإحساس هو الهدف الذي يسعى إليه الشعر عند المتلقي.

فقال في قصيدة **حمدان:**

أَطْفَالُـــكَ الجُـــوْعُ ... وَالأَمْـــراضُ نَاهِشَـــةٌ

كَوَاكِـــبٌ يَعْتَرِيهـــا فِـــي الـــدُّجَى الطَّفَـــلُ

مَـــا قَـــامَ مِـــنْهُمْ بِقَلْـــبِ اللَّيْـــلِ مُنْـــتَفِضٌ

مِـــنَ التَّجَمُّـــدِ، إِلاَّ وَهْـــوَ مُنْجَـــدِلُ

مَـــوْتٌ لَـــهُ المَـــوْتُ يَرْثِـــي، وَهْـــوَ يَحْضُـــنُهُ

فِـــي اللَّحْـــدِ مُعْتَـــذِراً أَنْ قَـــد دَنَـــا الأَجَـــلُ

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص99.

(2) الزنابق، العتوم، ص 77.

(3) الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس ، كاوة ، ص121، والصورة الفنية، عصفور، ص 310.

يَـــــرِقُّ قَلْـــــبٌ - إِذا أُوذِيْـــــتَ- مِـــــنْ حَجَـــــرٍ

وَحِـــيْنَ يَبْكِـــي؛ مِيـــاهُ العَـــيْنِ تَنْهَمِـــلُ[1]

يخاطب الشاعر هنا حمدان المواطن الضعيف الذي يؤمن بالشعارات القومية، ووعود الساسة الكاذبة، الذي يقع ضحيتها المواطن المغلوب على أمره، حيث وصف الجوع الأمراض بأنهما أطفال هذا المواطن (حمدان) ، يراعهما ولا يفارقنه، فهما كواكب في الظلام المعتم، فهنا استخدم الشاعر (كواكب) و (الدجى) ليدل على ما يعانيه هذا المواطن من ظلام وظلم في حياته، وفي البيت الثاني يتحدث عن الجوع والمرض وكذلك الشعور بالبرد الشديد واستخدم الشاعر (منجدل) ليدل على أنه لا يستطيع الحركة من شدة البرد، فكل هذا يمنع النوم عن هذا المواطن ، مشبه الليل بالإنسان الذي يملك قلبًا، وفي البيت الثالث يجعل الشاعر الموت إنسانًا يعتذر لحمدان ويحضنه؛ لأن الأجل قد اقترب، وفي البيت الأخير يوضح الشاعر حالة حمدان بأن من يملك قلبًا من حجر، يلين ويبكي على حالته.

وفي قصيدة تائه مثل جراحي قال:

آهِ يَا مَيْسُونُ لَوْ تَدْرِينَ أَنَّي

وَاقِفٌ وَالبَرْدُ يَغْتَالُ عِظَامِي[2]

يخاطب الشاعر هنا ميسون وهو عائد من العمرة، في الصحراء حيث البرد القارس فهنا يصور الشاعر شعوره بالبرد الشديد، ويشبه بالعدو الذي يغتال عظامه.

وفي القصيدة نفسها قال:

أَنْتِ يَا مَيْسُونُ مِنّي

خَفْقَةٌ فِي القَلْبِ حَيْرَى

دَمْعَةٌ فِي الخَدِّ حَرَّى[3]

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص86.

(2) الزنابق، العتوم، ص12-13.

(3) المرجع السابق، ص13.

حيث يصف هنا (ميسون) في مشهد جميل، فقد شبهها بخفقة قلب يحتار لأمرها، ومرة ثانية يشبهها بدمعة ساقطة على خدّيه، وهذه الدمعة حارة على خدّيه، فهي التي تتعبه ذكراها.

فقال في قصيدة **السراج الخابي:**

أَنَا يَا سَمَاءُ صَرِيْعِي

سَتَطْرُقُ قَلْبِي دُمُوعُكِ...

لَكِنَّنِي قَدْ ضَجِرْتُ مِنَ البَرْدِ دَوْمًا

وَمَا جَاءَ بَرْدٌ

وَلَكِنَّهُ الدِّفْءُ يُنذِرُنِي بِالصَّقِيْع

وَعُرْيِي، وَبُؤْسِي، وَجُوعِي

وَزِنْزَانَةٍ قَلَّبَتْنِي عَلَى كَفَنٍ مِنْ وُجُودِي المُرِيعِ [1].

يصور الشاعر هنا حالته وهو في السجن، ويقول بأنه دائمًا كان مضجرًا من البرد، ولكنه كان دفئًا بالنسبة للصقيع التي يشاهده في السجن، من عري، وحزن وبوس، وجوع، وزنزانة جعلت وجوده وعالمه محصورًا بين جدرانها.

فقال في قصيدة قانون الصوت الواحد:

مِنْ حُزْنِي يَتَفَجّرُ هَذا النّبْعُ الضّارِبُ فِي أَعْماقِي

وَعَلَى لَحْنِ الحُزْنِ الدَّافِئِ...

يَسْقُطُ ماءُ العَيْنِ البارِدِ...

تَنْتَفِضُ أحاسِيْسِي... [2].

يصور الشاعر حزنه الشديد الذي لا يفارقه، فهو كالنبع الذي لا ينضب، ويصور الحزن كأنه ألحان دافئة يعزفها السجن، الذي يُشعره بالوحدة، ويجعل عيونه شلالًا من الدمع البارد، وأحاسيسه منتفضة ومشتعلة بالشوق والحنين، والعذاب والأنين.

فقال في قصيدة أحقا أنكم عرب:

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 85.

(2) المرجع السابق، ص39

أَنَّنا فِي القَصْفِ لَمْ تَغْمَضْ لنا عَيْنُ

وَإِنْ شَبِعَتْ صِغارُكُمُ ...

بِأنّا مُنْذُ أَعوامٍ وَلَمْ تَشْبَعْ لَنَا بَطْنُ

وَلا تَنْسَوْا ... إِذا شَرِبُوا حَلِيبًا ...

وَارْتَوَى البَدَنُ

بِأَنَّ الأُمّهاتِ صُدورُها جَفّتْ ...

وأنّ عُروقَنا يَبِسَتْ

وَأَنَّ صِغارَنا انْطفأتْ

وَجَنْدَلَ رُوحَها الوَهْنُ[1].

يصور الشاعر هنا حال مدينة غزة عندما تعرضت للقصف والدمار، وحال الحصار التي تتعرض له في صورة لمسية جاءت في آخر الأبيات، حيث العروق قد جف منه الدم وأصبحت يابسة، وكذلك الروح أصبحت يابسة كالصخر تكاد تنعدم من الحركة، حيث الخوف والتدمير، فهذه المشاعر لا يتحملها إلا الإنسان المؤمن بالله وقدره، والواثق بوعده ونصره.

هكذا أبدع الشاعر في أنماط وأنواع الصورة الشعرية، باستخدام ألفاظ ومدلولات توحي على نوع الصورة ونمطها، وأساليب بلاغية مختلفة كتبادل المدركات والتشبيه، لينسج بها صوره الشعرية.

(1) طيور القدس، العتوم ، ص16.

الفصل الثاني
مصادر الصورة الشعرية عند العتوم

الفصل الثاني

مصادر الصورة الشعرية عند العتوم:

أولًا: مصادر الصورة الطبيعية:

إن الطبيعة بجمالها كما خلقها الله –تعالى– تؤثر في الإنسان ويتأثر بها، فالمكان وما فيه من مظاهر الطبيعة بألوانها وأشكالها، وأحيائها وجماداتها يعد من العوامل المؤثرة في الشاعر، فالشاعر إنسان يتأثر بل هو من أرق الناس إحساسًا، وأسرعهم تأثرًا[1]، حيث إن جمال الطبيعة وطيب الهواء، وحسن الموقع، والجو المعتدل، وخصوبة التربة وازدهار الرياض، والجبال والأنهار، والسماء بلونها الأزرق، كل هذا أعطى الشاعر دفعة من الأفكار والابتكارات، والأخيلة الطريفة، والتشبيهات البديعة التي لم يسبقه إليها غيره[2].

كذلك يجد القارئ من الصور التي استمدها الشاعر من البيئة الطبيعة جمال الطبيعة والحياة، إذ يجد ذاك الجمال مصورًا ومفسرًا، فهذا يدخل على النفس السرور، ويجد فيها مخرجًا من الهموم والكدر[3] فلهذا فإن الطبيعة بكل ما فيها هي المصدر الأساسي لمكونات الصورة عند الشاعر، فأي صورة شعرية ستجد في الغالب بأنها قطعة من الطبيعة حتى لو كانت قائمة على التناقض، وتغيير قوانين الطبيعة فهذا يدل على وجود صورة ذات دلالة خاصة[4].

تأثر العتوم بمظاهر طبيعية، حيث الورد والزهر، والسماء وما فيها، وغيرها من مظاهر الطبيعة، ومن النماذج الشعرية لديه التي استمد إبداعه وتصوريه من وحي وإلهام الطبيعة.

قوله في قصيدة أساس الملك:

تَّعْوِي كَالرِّيْحِ مَآسِيْنَا

وَتُسَافِرُ فِي بَحْرِ الأَوْجَاعِ مَآقِيْنَا

هَلْ تَجْرِي بِالهَمِّ الفُلْكْ؟!

يَا رَبِّ نَطُوفُ بِكَعْبَةِ بُؤْسٍ

---

(1) انظر: الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الغنيم، ص 40.

(2) انظر: الأدب العربي في الاندلس، عيسى، ص191.

(3) أصول النقد الادبي، الشايب، ص81.

(4) عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، غنيم، ص 207.

في لَيْلٍ لا يَطْلُعُ مِنْهُ الصُّبْحُ

فَخَلِّصْنَا مِنْ هَذَا الشِّرْكْ [1].

كتب الشاعر هذه القصيدة في مكان خالٍ من معالم الطبيعة، كتبها في سجن سواقة، بين الجدران، مستمدًا من نبع الطبيعة الخلاب، نسمات من التفاؤل، يمحو بها أوجاع قلبه، فقد استخدم من معالم الطبيعة (الريح، بحر، ليل، صبح، الفلك)، فقد شبه حال شعبه وأحزانه بأنها تتخبط بهم كالريح، وجاعلًا هذه الأوجاع لكثرتها وتوسعها بحرًا واسعًا، تسافر فيه الدموع، ومن الملاحظ وجود غرابة في الصورة بتصور الشاعر الدموع مع البحر، حيث إن هذه الدموع نقطة في هذا البحر الواسع، تائهة لا تعرف الطريق، فهذه الأحزان تجعل الشاعر وشعبه في البؤس الشديد والليل الذي لا يعقبه الصبح، طالما أن هناك قانون يدعي أنه على حق، وأن العدل أساس الملك فقط شعار، ففي هذه الأبيات يسقط الشاعر على الطبيعة حزنه الشديد على حال شعبه.

فقال في قصيدة حكاية الريح:

ما زِلْتُ وَحْدِي

في دُروبِ اللَّيْلِ

أَنْتَظِرُ النُّجُومَ تَحُفُّني بِنَشِيدِ أرْبابِ الغَرَامِ

فَلا أَرَى إلاّ الكِلابَ أَوِ النّباحْ[2].

يصور الشاعر وحدته، حيث إنه ينتظر النجوم بأن تنشد له نشيد الغرام وتنير ظلمة الليل، لكنه لم يسمع إلا نباح الكلاب، فليله موحش تملؤه الذكريات والشوق والحنين.

فقال في قصيدة **لعينيكِ:**

بِـــــلادِي ... بِـــــلادِي يَـــــا حَبِيْبَـــــةَ شَـــــاعِرٍ

تَحَامَـــــلَ حَتَّـــــى جَـــــاءَ حِضْـــــنَكِ مُثْخَنَـــــا

حَنَـــــا اللهُ إِذْ يَحْبُـــــو التُّـــــرابَ قَدَاسَـــــةً

وَلَـــوْ لَـــمْ تَكُـــونِي فِـــي هَـــوَاهُ لَمَـــا حَنَـــا

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 70.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 17.

لَقَـــدْ صَـــارَ جُرْحِـــي بَعْـــدَ عَيْنَيْـــكِ أَنْجُمًـــا

وَقَلْبِـــي عَلَـــى الحُـــزْنِ المُعَتَّـــقِ مُـــدْمِنَا

وَمَـــاذَا عَلَـــى مِثْلِـــي يُقَـــدِّسُ طِيْنَهَـــا

وَمِـــنْ زَهْرِهـــا فِـــي كُـــلِّ جَنْـــبٍ تَكَفَّـــنَ

تَـــؤُوْبُ طُيُـــورُ الحُـــبِّ مَهْمَـــا تَغَرَّبَـــتْ

وَتَـــأْوِي إِلَـــى الأَعْشَـــاشِ مُثْقَلَـــةَ الضَّـــنا

وَلَسْـــــــتُ أَرى إِلاَّ لَـــــــدَيْكِ كَرامَتِـــــــي

وَإِلاَّ عَلَـــى خَـــدِّ الفَرَاشَـــاتِ مَسْـــكَنَا[1]

يصف الشاعر هنا حبه لبلاده، مستلهمًا صوره من الطبيعة، حيث (التراب، أنجمًا، طينها، زهرها، طيور الحب، الأعشاش، خد الفراشات) فتراب البلاد المقدسة، يستعد الشاعر أن يتحمل العذابات والأوجاع في سبيل كرامتها وعزتها، حتى لو أن الهم والحزن لم يفارقوا الشاعر، وأصبح يعتاد على كل هذا، سيصبح الحزن بعد أن يرى جمال بلاده كالنجوم المضيئة في السماء، تنسيه هذه الهموم، فهو يقدس طينها، فالأزهار التي تزرع فيها ستكون كفنه من كل جانب، ومهما بعد الشاعر عنها، سيعود إليهان فطيور الحب لا بد أن تعود إلى أعشاشها وملاذها الأول، وفي النهاية يصور بلاده بالفراشة الجميلة التي لا ملجأ للشاعر إلا على خدها.

فقال في قصيدة قالت لها:

فَلَـــوْ تَرَاهَـــا زُهُـــورُ الـــرَّوْضِ لانْتَحَـــرَتْ

وَالشَّـــمْسُ لانْخَسَـــفَتْ، وَالبَـــدْرُ لانْكَسَـــفا

قَالَـــتْ لَهـــا السُّـــحْبُ وَالأَزْهَـــارُ: مَـــا صَـــنَعَتْ

بِـــكِ اللَّيَـــالِي؟ فَقَالَـــتْ: شَـــاعِرٌ خَرِفًـــا[2].

يصف الشاعر هنا جمال محبوبته، جاعلًا زهور الروض تنتحر عند رؤيتها لها غيرة من جمالها الذي لا يضاهيه جمال الأزهار والورد كما في نظر الشاعر، فالشمس تنخسف وكذلك القمر انكسف، ويكمل الشاعر بأن جعل السحب والأزهار تسألها عن ليلها وما فيه من حنين وشوق.

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص108- 109.

(2) المرجع السابق، ص 112-113

فقال في قصيدة يا وادي النيل:

يَـــا وَادِيَ النّيْـــلِ مَـــا أَخْبَـــارُ شَـــاطِئِهِ

وَمَـــا الّـــذي حَمَلَتْـــه عَنْـــكَ أَزْمـــانِي؟!

وَمـــا حَـــدِيْثُ شِـــفاهِ المـــاءِ جارِيَـــةً

تَصُـــوغُ أَعْـــذَبَ أَنْغَـــامٍ وَأَلْحـــانِ؟!

مـــا زِلْـــتُ رَغْـــمَ قَـــدِيمِ العَهْـــدِ أَذْكُرُهـــا

تَراقَصَـــتْ بَـــيْنَ أَضْـــواءٍ وَأَلْـــوانِ

كَـــمْ مَرْكَـــبٍ فِيْـــكَ مُنْســـابٍ يُداعِبُـــهُ

مَـــرُّ النَّسِـــيمِ عَلـــى وَجْنـــاتِ وَلْهـــانِ

قَـــدْ كُنْـــتُ طِفْـــلاً علـــى (جِسْـــرٍ) أُراقِبُـــهُ

وَمَـــا اسْـــتفاقَتْ بِقَلْبِـــي غَيْـــرُ أَشْـــجانِي[1]

في هذه الأبيات يخاطب الشاعر وادي النيل، حيث كتب هذا القصيدة وهو في السجن وحيدًا مع ذكرياته، حين زار وادي النيل، مصورًا مياهه بصورة مليئة بالحيوية والنشاط، فقد وصف هذه المياه بالكائن الحي يملك الشفاه، التي تتحرك بأعذب الألحان، فجمال صوت تضارب المياه كأنه اللحن الجميل الذي يُعزف، باعثًا السكنية والهدوء في قلب من شاهد منظر المياه وسمع صوت تلاطم الأمواج ، فالشاعر ما زال يذكر هذا الصوت في ذاكرته مع أنه زاره منذ زمن، يتذكر حين تراقصت هذه المياه بين الأضواء والألوان الجميلة، حيث في النهار لون السماء، وفي الليل الأضواء الجميلة التي تحيط بالمكان، وكذلك السفن التي تشق طريقها عبر هذا الوادي التي يحركها الرياح.

فقال في قصيدة دين العاشقين:

يَـــا أُمَّـــةً فِـــي جَبِـــيْنِ السُّـــحْبِ ضَـــارِبَةً

فِـــي الأُفْـــقِ، لَـــمْ تُخْلَقِـــي كَـــيْ تُصْـــبِحِي ذَنَبَـــا[2]

يخاطب الشاعر هنا الأمة العربية، حيث إنها لم تخلق كي تعيش في الذل وتكون شيئًا قليلًا، فهي يجب أن تكون في أعلى مراتب الفخر والعز والكرامة (الأفق)، مستلهمًا الشاعر

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 134.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص67.

صورته من الطبيعة، فشخّص السحب وجعل لها جبينًا يجب أن يكون دائمًا في الأفق، ولكن أصبح التفرق والانفصال في هذه الأمة هو سيد الموقف.

فقال الشاعر في قصيدة يا من لها تأوى الطيور:

أَمْضِـــــي، وَتَرْقُبُنِـــــي السَّـــــمَاءُ كَأَنَّمَـــــا
تُـــوحِي بِـــأَنَّ المَـــوْتَ مِنِّـــي أَسْـــرَعُ
مَـــاذَا أَرِيْـــدُ...؟! خَسِـــرْتُ عُمْـــرِي كُلَّـــهُ
وَرَبِحْـــتُ أَنِّـــي بِالتَّشَـــرُّدِ مُولَـــعُ
فَتَشَـــرَّدِي يَـــا رُوحُ سُـــكْنَاكِ المَـــدَى
وَالأُفْـــقُ بَيْتُـــكِ وَالكَوَاكِـــبُ مَهْيَـــعُ[1]

يصور الشاعر حالة الوحدة والتوجع التي أصابته وهو في السجن، حيث جعل السماء تراقبه، وتنذره بقدوم الأجل، حيث إن روحه مبعثرة ومشردة، وأن جميع النواحي بيتها، وأن الكواكب مكان واسع تحتوي روحه وأحزانه التي لا تفارقه.

فقال في قصيدة بعض العشق يشفي وبعضه يسقم:

إِنْ حِيْـــلَ بَـــيْنَ العاشِـــقِيْنَ، فَبَيْنَنَـــا
يـــا حُلْـــوَتِي وَعْـــدُ الكَـــرِيْمِ المُلْـــزِمُ
وَسَـــأَلْتَقِيْكِ عَلَـــى شَـــبابِيْكِ الهَـــوَى
وَالرَّكْـــبُ دُونِـــي فـــي الصَّـــحارَى هُـــوَّمُ
يَمْشِـــي الصَّـــباحُ فَتَفْتَحِـــيْنَ لَـــهُ الكُـــوَى
وَعَلَـــى شَـــواطِئِكِ الحِســـانِ يُخَـــيِّمُ
وَالشَّـــمْسُ تَطْبَـــعُ فَـــوْقَ خَـــدِّكِ قُبْلَـــةً
فَتَغـــارُ مِنْـــكِ النَّيِّـــراتُ الحُـــوَّمُ
وَالبَـــدْرُ يُرْسِـــلُ نُـــورَهُ بِأَصـــابِعٍ
تَتَهَجَّـــأُ اسْـــمَكِ فِـــي الرِّمـــالِ وَتَرْسُـــمُ
النَّصْـــرُ أَنْـــتِ، وَأَنْـــتِ مِـــنْ آياتِـــهِ

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 130.

وَلَقَـــــدْ قَرَأْناهـــــا وَرَبُّـــــكِ أَكْـــــرَمُ

وَالفَجْـــــرُ أَنْـــــتِ، فَـــــإِنْ طَلَعْـــــتِ أَمِيْـــــرَةً

احَـــــتْ خَفـــــافِيشُ الـــــدُّجَى تَتَقَـــــزَّمُ[1]

يتحدث الشاعر عن مدينة غزة، مستخدمًا من عناصر الطبيعة لتكون مساهمة في تقريب صورته، والتعبير عند مدى إعجابه بغزة، حيث (الترب، الصحاري، الصباح، شواطئك الحسان، والشمس، البدر، الرمال) فالشاعر يرجو أن يزور غزة، ويُقبّل تربها المعطر بمسك الشهداء، والطاهر الذي فيه حكايات المجد والعزة، مشبهًا الحب والهوى بالبيت الذي له شبابيك، والصباح بإنسان يمشي وغزة تستقبله و تفتح له فتحة واسعة، مؤكدة على أن الأمل لا يفارقها، وأن الحياة من حقها، وكذلك الشمس التي تقبل غزة وترسل لها نورها فتغار حرارتها منها، من بعد ليل طويل، فخيط الأمل مربوط بها، وكذلك القمر الذي يكتب بأصابعه اسمها، فكل هذا يؤكد أن النصر سيأتي في يوم من الأيام وهذا وعد الله، وستظهر غزة كأميرة بطلعتها البهية، لا يرى أحد مضاهيًا لجمالها، حتى الذين تحالفوا ضدها (خفافيش الدجى) بدأت تتراجع وتختفي أمام مجد غزة وعزتها.

وقال في قصيدة لحبيبتي وطن:

لِحَبِيْبَتِـــــي وَطَـــــنٌ يَمُـــــوتُ بِحُبِّهـــــا

سِـــــرّاً وَتَكْـــــتُمُ حُبَّـــــهُ الأَشْـــــجَارُ

وَتَظَـــــلَّ تَمْشِـــــي فَوْقَـــــهُ مُختالـــــةً

وَيَظَـــــلُّ يَطْلُـــــعُ خَلْفَهَـــــا النَّـــــوَّارُ

كَانَـــــتْ تَلُـــــمُّ مِـــــنَ الكَواكِـــــبِ عِقْـــــدَهَا

وَبِحِضْـــــــنِها تَتَـــــــرَاقَصُ الأَقْمـــــــارُ

وَتُرَتِّـــــبُ النَّجْمـــــاتِ بَـــــيْنَ أَصـــــابِعٍ

حَتَّـــــى يُرَصَّـــــعَ فِـــــي اليَـــــدَيْنِ سِـــــوارُ

كَـــــوْنٌ مِـــــنَ الأَحْـــــلامِ بَعْـــــدَكِ شِـــــلْتُهُ

وَرَسَـــــمْتُهُ فَـــــإِذا المَـــــدَى أَزْهَـــــارُ

مِـــــنْ أَيِّ خَـــــدٍّ فِـــــي الـــــوُرُودِ سَـــــأَنْتَقِي

---

(1) بعضُ العِشق يَشفي وبعضُه يُسقِم، مدونات الجزيرة، (موقع إلكتروني)

لَـــوْنِي ... فَخَـــدُّكِ رَوْضَـــةٌ مِعْطَـــارُ

يَـــا حُلْـــوَةَ الحَرَكـــاتِ ... كُـــلُّ خَمَـــائِلِي

صَـــارَتْ – لأَنَّـــكِ زُرْتِهِـــنَّ– تُـــزار[1]

يصور الشاعر المحبوبة واصًفا جمالها الذي يعكسه جمال الطبيعة من حوله، فهو مستعد أن يفديها بكل ما يملك وأن ينثر أضلعه في الكواكب ويجعلها منتشرة في السماء، ويصور الشاعر نفسه بأنه كوكب سيّار يحيط ببلاده، لا يفارقها مهما أحاط به التعب، ثم يستمر الشاعر في التغزل مستخدمًا خياله الجامح، فتخيلها تمشي فوق هذا الكوكب رافعة رأسها بتكبر، كأميرة تنثر النوار بعد كل خطوة، حتى العقد التي تتزين به تجمعه من الكواكب، وتضم الأقمار في حضنها تتراقص، والنجمات تجتمع بين أصابعها لتصنع أساور جميلة تضعها في يديها وبعد هذه الصور الجميلة التي تخيلها الشاعر، التي جعلته يحمل كونًا من الأحلام، فيرسم هذه الأحلام، التي جعلت جميع النواحي مليئة بالأزهار، ويجعل هذه الأزهار هي الألوان التي يلون بها أحلامه، فقد اختار من بين هذه الأزهار بلاده، التي سيلون ويحقق بها أحلامه.

فقال في قصيدة صرخة في الوادي المقدس:

بِـــيْ مِـــنْ دَمِـــي مـــا بِالشُّـــمُوسِ مِـــنَ اللَّظَـــى

وَبِمُهْجَتِـــي مـــا فِـــي نَحِيْـــبِ سَـــحَابِ[2].

يصور الشاعر أن دمه ثائر بمقدار ما في الشمس من حرارة، وبقلبه حزن بمقار ما في السماء نحيب، حيث جعل السماء بالإنسان الذي يبكي على ما يصيبه.

فقال الشاعر في قصيدة يا شام هذي مواقعها:

كَـــمْ وَرْدَةٍ وريِـــاضُ الشّـــامِ ضـــاحِكةً

كانَـــتْ مَنابِتَهـــا ... صـــارَتْ مَصـــارِعَها

لا الطّيـــرُ غنّـــى علـــى أَيْـــكٍ بِهـــا طَرَبًـــا

وَلا الحَمـــامُ غَـــدا فِـــي الـــدَّوْحِ ســـاجِعَها

قَـــدْ شَـــوَّهُوا وَجهَهـــا هـــذي الّتـــي ابْتـــدأَتْ

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 114– 115.

(2) المرجع السابق، ص 74.

بِهـــا الحَيـــاةُ، وســـامُوا الخَسْـــفَ رائِعَهـــا

الشّـــــــامُ ليســـــــتْ لِسَـــــــفَّاحٍ يُـــــــذَبّحُها

ولا لِنَـــــذْلٍ يُـــــذِيْقُ الـــــذُّلَّ وادِعَهـــــا[1]

يتحدث الشاعر عن سوريا، وما أحدثته الحرب فيها، حيث كانت الورود في البساتين والحدائق ضاحكة، كان لا يزرع فيها إلا الورد، فأصبحت الورود تنتظر أن تلقي مصرعها، حتى الطيور لم تعد تغني وتصدح بالمكان وتطرب الأسماع، ولا الحمام يسجع بأعذب الأصوات، ثم يشخص الشاعر سوريا ويشبهها بالفتاة التي شوهت الحرب وجهه، و اختفت فيها معالم الحياة والطبيعة الجميلة.

فقال في قصيدة قمصان الشعب:

لا تَشْـــكُ، مَـــا شَـــكَتِ الشَّـــوامِخُ وَالقِمَـــمْ

أَنْـــتَ السَّـــماءُ، وَأَنْـــتَ سَـــابِغَةُ الـــدِّيَمْ

فِيْـــكَ الْتَقَـــى النَّـــاجُونَ مِـــنْ أَوْجَـــاعِهِمْ

فَحَضَـــنْتَهُمْ، وَلَقَـــدْ يَلَـــذُّ لَـــكَ الأَلَـــمْ

حَلِّـــقْ، يَجُـــوبُ الصَّـــقْرُ فِـــي عَلْيائِـــهِ

سُـــحُبَ المَـــدَى وَتَمُـــوْتُ فِـــي القَـــاعِ الـــرِّمَمْ[2]

يخاطب الشاعر هنا أبناء الشعب لاستنهاض الهمم، مصورًا من الطبيعة ما يعكس حزنه (السماء، الديم) فهو شامخ ما دام على حق، ينصت لأوجاع شعبه ويكون لهم قلمًا يكتبوا من خلاله هذه الأوجاع ذات الطعم المر، ويستمر بوصف الإنسان المدافع (بالصقر) الذي يحلق في الأفق وفي السحب، إن ضيقوا عليه حريته.

ويستمر بوصف الذين يقفون في وجه الظلم بالبراكين، الذي تنفث حممها ونارها في وجه الظالمين فيقول في القصيدة نفسها:

أَنْـــتَ البـــراكِينُ الّتـــي لا تَنْتَهِـــي

---

(1) يا شامُ.. هَذِي مَواقِعُها، مدونات الجزيرة (موقع إلكتروني)

(2) قلبي عليكِ حبيبتي ، العتوم، ص49.

جَنَباتُهـــا، سَـــتَظلُّ تَقْـــذِفُ بِـــالحِمَمْ[1]

فقال في قصيدة قيدي من الصمت:

الشـــعْبُ أَكْبَـــرُ مِـــنْ كَلـــبٍ يُسَـــيِّرُهُ

وَالكَلْـــبُ يَخْشَـــى قَـــدِيْمَاً هَيْئَـــةَ الأَسَـــدِ

قِـــفْ فـــي وُجُـــوهِ الَّـــذِيْنَ اسْـــتَهْوَنُوا دَمَنَـــا

وَأَشـــعِلِ النَّـــارَ فـــي جَنْبَيْـــكَ وَاحْتَشِـــدِ

عَلِّـــــمْ طُغَاتَـــــكَ أَنَّ الأَرْضَ ثَـــــائِرَةٌ

وَأَنَّ شَـــعْبَاً عَـــنِ الثَّـــوْرَاتِ لَـــمْ يَحِـــدِ

وَفـــي النُّفُـــوسِ بَـــرَاكِيْنٌ مُؤَقَّتَـــةٌ

إِذَا هِـــيَ انْفَجَـــرَتْ لَـــمْ تُبْـــقِ مِـــنْ أَحَـــدِ[2]

لجأ الشاعر إلى مظاهر البيئة والطبيعة في هذه الأبيات حيث الحيوانات (الكلب) الذي يقصد به الذين باعوا الوطن، و(الأسد) وهو من يدافع عن الوطن، وكذلك لجأ إلى حوادث كونية (براكين) التي تكمن في نفوس أبناء الشعب الناهضين والحامين شعبهم، ففي داخلهم حب الوطن، والغيرة عليه، الذين يبثون غضبهم ونارهم في وجه من يبيع الوطن.

هكذا لجأ الشاعر إلى الطبيعة لتضيف إلى صوره جمالها، ليأخذ من القمر نورًا ينير له ظلامه وحزنه الشديد، ومن الشمس ضوء ودفئًا حين يلجأ إلى الغزل، ومن البراكين ما يدل على نيران حروفه ضد الظلم، فقد جعل الطبيعة تشاركه في التعبير عن حزنه، ومشاعره وأحاسيسه.

ثانيًا: الثقافة:

ذكرت سابقًا الدرجات العلمية التي حصل عليها الشاعر، والمؤثرات التي ساعدت في تكوين ثقافته سواء الدينية، أو العلمية، فثقافة الشاعر تجعل لصورته قيمة ومعنى، وتجعل للشاعر عند المتلقي ثقة ورفعة.

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي ، العتوم، ص50.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص100.

إن موهبة الأديب بشكل عام تبدو قاصرة إذا لم تخصبها الثقافة، والثقافة ليس فقط مجموعة من المعلومات المحفوظة في الذاكرة، بل هي التي تنحل في شخصية الأديب وتنصهر وتذوب فيه وتصبح جزءًا منها كما الطعام جزءًا من الجسد[1]

فالثقافة "هي مخزون الشاعر الذي يأخذ منه معارفه التي يعرضه للناس" [2] فالشاعر العتوم كانت صوره تنم عن ثقافته الدينية والأدبية والتاريخية، ففي قصيدة **دين العاشقين** يقول:

حَظِّـــي مِـــنَ العَـــيْشِ أَنِّـــي أَعْشَـــقُ العَرَبـــا

وَأَعْشَـــــقُ اللهَ وَالتَّـــــارِيْخَ وَالأَدَبـــــا[3]

فالثقافة تعطي الأديب ما أدركتها الإنسانية في عمرها الطويل، وما توفر له من تجارب غيره، وتجعله يكتشف الكل من ضمن الجزء[4]

فالتراث يعد المنبع الأول لثقافة الشاعر؛ لأنه يعطي الشاعر خبرة في تشكيل الصورة ويسهم في الإبداع فيها، ويقيم الشاعر من خلاله علاقات تقابل بين عناصر التراث، وعناصر الواقع الذي يعيشه، وهذا ما يسمى بالمفارقة التصويرية[5].

فقد يلجأ الشاعر إلى الموروث سواء الديني أو الأدبي أو التاريخي، ليعطي الصور جمالًا ودليلًا وبرهانًا، فهذا ما يسمى بخلفية الصورة، فهي جانب مهم لأنه يعلل الكثير من الجمال، فيها وفي النص معًا، أما في النقد الحديث فخلفية الصورة على أنها (تناص) فالنص هو الغائب وأن الصورة هي النص الحاضر، وعملية التأثير هي التناص، أما في النقد التنقيبي (الايركولوجي)[6] فسُميت خلفية الصورة بالمرجعية؛ لأن الصورة في بعض شعريتها داخلة فيه[7].

---

(1) نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، الحاوي، ص103.

(2) الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الغنيم، ص70.

(3) قلبي عليك حبيبتي، العتوم، ص66.

(4) انظر: نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، الحاوي، ص103.

(5) انظر: عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، غنيم، ص207.

(6) من نظريات النقد الأدبي التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة عام 1978م، في الولايات المتحدة وبريطانيا اهتموا أصحابها بمجموعة من المفاهيم الرئيسة كالثقافة والتأويل والاستعمار والتاريخ والتناص انظر: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، حمداني، ص296-298.

(7) انظر: الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية (الحداثة وتحليل النص)، الصائغ، ص317.

فقد كان أبو الطيب المتنبي يشبهها بالحافر اللاحق الواقع على الحافر السابق، أما الصورة فهي انطباق الحافر اللاحق على الحافر السابق، أما النابغة الذبياني فقد تناول هذا بمصطلح (توارد الخواطر)[1].

1 – الموروث الديني:

أ– القرآن الكريم:

كان اهتمام الشاعر بالموروث الديني والاقتباس من القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا، وحين سُئل الشاعر العتوم عن هذا الأمر فكانت إجابته: " إذا أخذت من النبع الخالد فأنت تريد الخلود لشعرك، وإذا أخذت النبع الساحر فأنت تريد السحر لكلماتك، وإذا أخذت من النبع المعجز فأنت تريد الإعجاز لكلماتك"[2] فالشاعر يريد أن يجذب المتلقي إليه.

فقد كان الموروث الديني مصدرًا سخيًا من مصادر صور الشعراء على مر العصور، فقد كان الكتاب المقدس مصدرًا للشعراء الغربيين، وتأثر عدد كبير منهم ببعض المصادر الدينية الإسلامية وخاصة القرآن الكريم، فقد استلهم الشاعر الإيطالي (دانتي) في ملحمته (الكوميديا الإلهية) قصة الإسراء والمعراج، والشاعر الألماني (جيته) استلهم من القرآن الكريم في ديوانه (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) وكذلك الشاعر الفرنسي (فيكتور هيجور) في ديوانه (المشرقيات) فلم يكن غريبًا أن يكون الموروث الديني مصدرًا أساسيًا عند الشعراء المعاصرين[3]

فقد اعتمد الشاعر في الاقتباس من قصص الأنبياء–عليهم السلام– فقال في قصيدة **نحن من أوجاعنا لا نتألم:**

كَلِمـــــاتي سَـــــوْفَ تُحْيـــــي ثَـــــوْرَةً
كُـــلُّ حَـــرْفٍ خَلْفَـــهُ جَـــيْشٌ عَرَمْـــرَمْ
هِـــــي لِلْمُـــــؤْمِنِ بَـــــرْدٌ وَسَـــــلامٌ
وَهْـــيَ لِلطَّـــاغِي وَلِلْبـــاغِي جَهَـــنَّمْ[4]

---

(1) الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية (الحداثة وتحليل النص)، الصائغ، ص318

(2) قناة دار الإيمان، سوريا، برنامج سهرة الدار، أيمن العتوم.

(3) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، زايد، ص75–76.

(4) نبوءات الجائعين، العتوم، ص93.

يفتخر الشاعر هنا بقصائده، التي من خلالها يحرك أبناء شعبه للنهوض والمطالبة بحقوقهم، فهي كالسيف، فكل حرف يكتبه ينهض الشعور بالدفاع عن الكرامة وعزة الوطن فقصائده برد وسلام على المؤمنين وعلى كل المظلومين، ويكتوي بنارها الظالمون، فقوله (هي للمؤمن برج وسلام) مقتبسة من قوله ﷻ : ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [1] حين علم قوم النبي إبراهيم عليه السلام بأنه هو من قام بتكسير الأصنام، واتفقوا أن يلقوه في النار.

وكذلك لجأ الشاعر إلى الاقتباس من هذه الآية في موضع آخر في قصيدة **زهرة في رياض المحبة:**

أَنَا العَنْدَلِيْبُ الحَزِيْنُ

وَهَذِي لُحونِي

وَبَيْنَ يَدَيَّ تَذُوبُ الأَغَارِيْدُ

بَرْدَاً عَلَى مَنْ سَيَسْمَعُهَا وَسَلامَا [2]

يصور الشاعر هنا كلماته وأشعارها الممزوجة بالأحزان والآلام، كأنها تغاريد الطيور التي يطرب الناس لسماعها، وتكون كالثلج تبرد قلوب من يسمعها.

فقال في قصيدة **ألا يا كعبة الرحمن** وهو يلمح إلى قصة إبراهيم وهاجر –عليهما السلام:

أَطُـــوفُ وَلِـــي "بِـــإِبْراهيمَ" قُرْبَـــى
وَشـــائِجُها مِـــنَ الـــدِّينِ اللُّبـــابِ
وَ"هَـــاجَرَ" إِذْ "لِإِسْـــماعِيْلَ" تَسْـــعى
لِتَأْتِيَـــهُ بِـــأَمْواهٍ عِـــذابِ
وَوَجْهِـــي طـــافِحٌ بِالبِشْـــرِ يَنْـــدَى
كَمَـــا ابْتَـــرَدَتْ كُـــؤُوسٌ مِـــنْ حَبَـــابِ
وَقَلْبِـــي يَرْتَـــوِي الأَشْـــذَاءَ نَفْحًـــا
وَيُسْـــقى مـــا يَلَـــذُّ مِـــنَ الطِّيـــابِ

(1) [الأنبياء:69]

(2) الزنابق، العتوم، ص 25–26.

هُنـــا صَـــلَّى النَّبِـــيُّ وَطـــافَ سَـــبْعًا

وَرَدَّدَ عَالِيًـــــــــــا آيَ الكِتـــــــــــابِ

هُنـــا جَـــيْشُ الفُتـــوحِ أَقـــامَ عَـــدْلاً

وَعَـــمَّ ضِـــياؤُهُ كُـــلَّ الرَّوابِـــي[1]

يصور الشاعر هنا مشاعره لزيارته لبيت الله الحرام، وحين كان يطوف حول الكعبة، في صورة إيمانية جميلة، حيث ربطها بقصة إبراهيم وزوجته هاجر –عليهما السلام، عندما تركها في وادٍ غير ذي زرع، وصارت تطوف وتسعى، من أجل الحصول على المياه، فالشاعر هنا يؤكد أنه على دين إبراهيم حنيفًا مسلمًا، يطوف كعبة الرحمن ووجه مبتسمًا، وكأن روحه أعيدت لها الحياة، كما الندي على حبات النبات فتعود له الحياة، وقلبه يرتوي بنفحات إيمانية، ويعود ليجمل الصورة بذكر المصطفى ﷺ وأنه طاف ورتل آيات الذكر الحكيم، والغزوات التي خاضها ﷺ ضد المشركين لتقام الدولة الإسلامية.

فقال في قصيدة ملحمة الأقصى:

لَقَـــدْ رَوِيَـــتْ أَرْضُ النَّبِيّـــيْنَ بِالـــدِّمَا

وَقَـــدْ سَـــكَنَتْ أَرْوَاحُهُـــمْ عِنْـــدَ بَابِـــهِ

فَفِـــي كُـــلِّ شِـــبْرٍ مِـــنْ ثَـــرَاهُ حِكَايَـــةٌ

أَصِـــخْ مُرْهَفَـــاً تَسْـــمَعْ لِصِـــدْقِ خِطابِـــهِ

لِأَحْـــزَانِ (يَعْقُـــوبٍ) وَأَوْبَـــةِ (يُـــوْنُسٍ)

وآلامِ (عِيْسَـــى) فِـــي عُهُـــودِ اغْتِرابِـــهِ[2].

يتحدث الشاعر هنا عن الأنبياء الذين زاروا المسجد الأقصى، فمنهم من أوصى أن يدفن قريبًا منه، ففي كل شبر من ثراه حكاية وحزن يُسمع، وقد ربط الشاعر حزن الأقصى بقصص الأنبياء (يعقوب– ويونس– وعيسى) –عليهم السلام– فقد نبي الله يعقوب عندما ألقى أبنائه أخوهم يُوسُف –عليه السلام– في البئر، فمن شدة حزنه الشديد ابيضت عينيه، حيث يقول الله –تعالى:

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص34.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص43.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [1]

ويذكر الشاعر توبة نبي الله يُونس –عليه السلام– عندما غضب من قومه لعدم استجابتهم للدعوة والإيمان بالله، حيث ذكر الله تعالى هذا في قوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [2] ﴾ .

وفي موضع آخر في قصيدة **غياب العودة** قال:

أَنَـــــا (الْمَسِـــــيحْ) بِـــــآلامٍ تُمَزِّقُنِـــــي

وَحُـــزْنُ (يَعْقُـــوبَ) حَتَّـــى يَنْطَفِـــي البَصَـــرُ [3]

وكذلك ذكر الشاعر قصة نبي الله عيسى عليه السلام وقصة اغترابه وظن بني إسرائيل أنها قتلته لكن الله –تعالى– يقول: ﴿قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا[4] ﴾

فبعد ذكر الشاعر لقصص الأنبياء يؤكد حزن الأقصى، الذي ما زال يهطل للمطر الغزير، وقليل الذين ينصتون لهذا المطر، ولكن كما أعاد الله البصر لنبيه يعقوب، ونجا نبيه يونس –عليهما السلام– سيعيد للأقصى نصره وعزته.

لجأ الشاعر للتعبير عن مدى الحزن الذي يحيط به إلى الاقتباس من قصص الأنبياء– عليهم السلام– حيث قال في قصيدة **مكانكِ تُحْمدي:**

مَنْ تَقْرَأُ الأَيّامَ في كَفّي...

وَمَنْ تَبْكِي عَلَى قَلْبِي...

وَتَبْتَدِئُ الصَّلاةَ عَلَى ضَرِيْحِي

لَوْ يَقْرَأُ العُشَّاقُ أَحْزَانِي لَهَانَ عَلَيْهِمُ

---

(1) [يوسف: 84]

(2) [الأنبياء: 87]

(3) الزنابق، العتوم، ص98.

(4) [النساء: 157]

أَسْقَامُ " أَيُّوبِ" وَآلامُ " المَسِيحِ"[1]

وصف الشاعر حزنه بالكتاب الذي يُقرأ، وقد قارن هذا الحزن بقصة نبي الله أيوب الذي أصابه المرض وصبر حتى شفاه الله منه، وأصبح –عليه السلام– مثال للمؤمن الصَّبور المطمئن لقضاء الله، فقد جاء هذا في قوله تعالى : ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[2] فقد ربط الشاعر هذا بحزنه ليؤكد صبره على ما يجده، وكذلك ربطه بقصة المسيح عيسى –عليه السلام– ومع هذا فإن الشاعر قد بالغ بحزنه الشديد الذي أعدّه أكبر مما أُصيب به الأنبياء عليهم السلام.

وقد ذكر قصة نبي الله يونس في قصيدة **شظايا** حيث قال:

تَـــنَفَّسَ الحُـــزْنُ مِـــنْ رُوحِـــي وَمِـــنْ رِئَتِـــي
وَلَـــمْ تَـــزَلْ أَحْرُفِـــي بِالـــدَّمْعِ تَعْتَصِـــفُ
فَـــلا تَخـــافِي إِذَا مَـــا البَحْـــرُ هَـــاجَمَنِي
وَبِـــي (كَيُـــونُسَ) بَطْـــنَ الحُـــوتِ قَـــدْ قَـــذَفُوا
فِـــي بَطْنِـــهِ، فِـــي الزَّوَايـــا السُّـــودِ قَـــدْ لَمَعَـــتْ
عَيْنَـــاكِ نُـــورًا، فَمَاتَـــتْ دُونَهَـــا السُّـــدَفُ[3]

يصور الشاعر حزنه بأنه كائن حي يتنفس معه، فهو لا يفارقه ما دام على قيد الحياة، وفي البيت الثاني يخاطب الشاعر ميسون، ويطلب منها أن لا تجزع إذا هجم عليه بحر الأعداء، وألقوه في بطن الحوت، كما يُونس– عليه السلام– عندما كان في بطن الحوت، فإن عينيها نور يُنير بها الظلام وهو في بطن الحوت.

ولم يكتفِ الشاعر بقصص الأنبياء، فقد لجأ أيضًا إلى الكتب السماوية فقال في قصيدة **ملحمة الأقصى** عن المسجد الأقصى:

إِنَّهُ القُرْآنُ فِيْ وَجْهِ أَسَاطِيْرَ تُؤَلَّفْ
إِنَّهُ مُصْحَفُنَا فِي وَجْهِ (تَوْرَاةٍ) مُحَرَّفْ

---

(1) الزنابق، العتوم، ص9.
(2) [الأنبياء: 83]
(3) الزنابق، العتوم، ص94–95.

وَأَحَادِيْثُ النَّبِيَّ المُصْطَفَى فِيْ وَجْهِ (تَلْمُوْدٍ) (وَمِشْنَاهٍ)[1]

(ومِكْرَاهٍ) مُزَيَّفْ

إِنَّه الأَقْصَى أَمَامَ الهَيْكَلِ

إِنْهَا الحُرْمَةُ لِلْجُمْعَةِ فِي وَجْهِ خِيَانَاتٍ لِسَبْتٍ مُخْجِلِ

إِنَّها طُهْرٌ وَإِيْمَانٌ وَصَبْرٌ وَتَعَفُّفْ

فَهْيَ آياتُ الكِتَابِ المُنْزَلِ

وَهْيَ (مُوْسَى) وَهْيَ (عِيْسَى) وَهْيَ (أَحْمَدْ)

وَهْيَ صِدْقٌ... وَهْيَ عَهْدٌ... وَهْيَ وَعْدٌ يَتَأَكَّدْ[2].

فقد لجأ الشاعر هنا إلى حشد هذه الأبيات بالموروث الديني، حيث ذكر المقدسات والكتب الدينية سواء الإسلامية أو اليهودية (توراة، تلمود، مشناه، ومكراه) وذكر الأنبياء (موسى، وعيسى، وأحمد) –عليهم أفضل الصلاة والسلام– وكذلك بالصفات التي حث عليها ديننا الإسلامي (طهر، إيمان، صبر، تعفف، صدق، عهد، ووعد).

يقول الشاعر إن القرآن الكريم، لا يقارن مع غيره من الكتب الدينية الأخرى، فقد شبه الكتب المحرفة بالأساطير والخرفات التي تُؤلف، وكذلك يوم الجمعة الفضيل لا يضاهيه سبتهم الذي يمارس فيه الفحشاء، فجعل السبت كالإنسان الذي يخون ويرتكب الفحشاء ويأتي بالشيء المخجل، ويستمر الشاعر بالتأكيد بأن الأقصى المبارك حق للمسلمين، وباطل على اليهود الظالمين.

وقال في قصيدة الابتداء والانتهاء:

آهِ يَا (مَيْسُونُ) ... قُولِي...

أَيُّ تَارِيْخٍ أَنَا...

أَمْ أَيُّ أَقْوَامٍ تُرَى...

---

(1) المشنا: كلمة مشتقة من الفعل (كرر) في اللغة العبرية، ولكن بفضل اللغة الآرامية صار معناه (درس) ثم أصبحت تشير بشكل محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، فهي عبارة عن مجموعة كبيرة من الشروح تضم مجموعة من الشرائع اليهودية (وفا، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني) (موقع إلكتروني)

(2) خذني على المسجد الأقصى، العتوم، ص46–47

أَمْ أَيُّ دَوْلَةْ؟!

أَهْوَ(دَاوُودُ) جِبَالٌ سَبَّحَتْ وَالطَّيْرُ مَعْهُ

أَمْ (سُلَيْمَانُ) الذِي خَاطَبَ نَمْلَةْ؟!!

إِنَّنِي أَخْتَصِرُ التَّارِيْخَ فِي سَطْرَيْنِ كُلَّهْ:

(لَمْ يُخَلَّدْ أَيَّ جَبَّارٍ وَمَنْ أُوْتِيَ مُلْكًا

إِنَّمَا خَلَّدَ لِلشَّاعِرِ قَوْلَهْ)[1].

يتساءل الشاعر عن أي شيء يخلده التاريخ حيث، شبه نفسه بالتاريخ الذي ستقرؤه الأجيال القادمة، فهو لا يملك غير حروفه وكلماته التي يوصلها للناس، فهو ليس نبيًا يملك المعجزات كما داود، وسليمان –عليهما السلام– فذكر الشاعر لمعجزتهما فقال الله –تعالى– في نبيه داود: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾** [2]

وكذلك نبي الله سلميان الذي كان يسمع النمل فيقول الله –تعالى: **﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾** [3]

وقال في قصيدة شظايا:

ماتَـــتْ خَلايـــايَ، مَـــاتَ المُنتَهـــى ... وَأَنَـــا

شُـــروقُ شَمْسِـــي، وَشَـــمْسُ الـــذّاتِ تَنْكَسِـــفُ

لقـــــدْ رَجَعْـــــتُ وكـــــانَ العِجـــــلُ رَبَّهُـــــمُ

فَكُنتَنـــي مِثـــلَ مُوسَـــى اغْتـــالَنِي الأَسَـــفُ

جَـــــرَرْتُ لِحْيَـــــةَ (هـــــارونٍ) أُســـــائِلُهُ

لِمَـــنْ ضَـــعُفْتَ إِذا هُـــمْ كُلُّهُـــمْ ضَـــعُفُوا[4]

---

(1) الزنابق، العتوم، ص64–65.

(2) [سبأ: 10]

(3) [النمل: 18]

(4) الزنابق، العتوم، ص91–92.

يصور الشاعر حالة الحزن التي يمر بها، حتى كاد يصل إلى كل شيء في حياته، وأصبحت حياته يختفي فيها ضياء الشمس، فما زال يتحسر على شعبه الذي يرضى بالذل والباطل، كما موسى عليه السلام حينما رجع إلى قومه فوجدهم يعبدون العجل فقد حزن عليهم حزنًا شديدًا وجاء هذا في قوله -تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظالمين ولما سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي**﴾ [1]

فحزن الشاعر على حال شعبه، وخضوعه للباطل، وكأنّ هذا الحزن عدو قد تمكن منه، فيغتاله ويقتله.

وقال في قصيدة أحرفي مخنوقة:

يَـــا أَصْـــدِقاءَ السِّـــجْنِ (يُوسُـــفُ) لَـــمْ يَعُـــدْ
مُتَحَيِّـــــرًا فِـــــي فِتْنَـــــةِ الأَجْســـــادِ
لَـــــمْ يُسْـــــقَ رَبُّ الأرضِ خَمْـــــرًا، إِنَّمـــــا
حَمَلَـــــتْ رُؤُوسُـــــكُمُ فُتـــــاتَ الـــــزَّادِ
فَلْنَتْـــــرُكِ الجُبَنَـــــاءِ يَسْـــــقُوا رَبَّهُـــــمْ
خَمْـــــرًا، وَيَصْـــــلِبُنا عَلَـــــى الأَعْـــــوادِ
حَسْـــــبُ الطُّيـــــورِ إِذَا غَـــــذَتْ مِـــــنْ رَأْسِـــــنَا
أَنْ تَمْـــــلأَ الآفـــــاقَ بِـــــالتَّغْرادِ[2].

يخاطب الشاعر هنا أصدقاء السجن، بأنه ما زال يدافع عن قول الحق، وكل ما يقدم له من أجل أن يخفض صوته أصبح لا يعنيه، أما الجبناء سيقدم لهم فتات الزاد فهم رضوا بالذل، مقتبسًا هذا من قصة يُوسُف عليه السلام حين دخل السجن، وفسر الرؤيا لصاحبيه في السجن، حيث قال الله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ [3]

---

(1) الأعراف: [148-150]

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص60-61.

(3) [يوسف: 41]

فكما دخل يوسُف ﷺ السجن، ظلمًا وبهتانًا، كذلك ظلم الشاعر، فربما هذا السبب الذي جعله يربط قصته بقصة يوسف ﷺ فهو إن صلب وعذت الطير من رأسه ستملأ الكون تغريدًا، وعزًا وكرامة.

ويستمر الشاعر في الاقتباس من قصة يوسُف- عليه السلام- حيث قال في قصيدة **هل أرى وطني...؟!:**

لَيْـــلُ العِـــرَاقِ طَوِيْـــلٌ يَـــا لَوَحْشَـــتِهِ

وَفِـــي مَسَـــاحَتِهِ الأَحْـــزانُ تَجْتَمِـــعُ

لِمَـــنْ سَتَشْـــكُو إِذَا مَـــا كُنْـــتَ (يُوسُـــفَنَا)

وَلا (أَبٌ) لَـــكَ قَـــدْ يُـــودِي بِـــهِ الجَـــزَعُ

كِـــدْنا لَـــكَ المَـــوْتَ إِنْ تَسْـــلَمْ (فَلامْـــرَأَةٍ)

تَقْضِـــي بِسَـــبْعٍ عِجَـــافٍ حِـــيْنَ (لا تَقَـــعُ)

جُـــــوعٌ، وَبَـــــرْدٌ، وَآلامٌ مُحاصِـــــرَةٌ

وَأَنْـــتَ بِالصَّـــبْرِ والإِيْمـــانِ تَـــدَّرِعُ

يـــاَ نَخْلَـــةً فِـــي عِـــراقِ اللهِ صَـــامِدةً

وَلَـــمْ تَـــزَلْ فِـــي سَـــمَاءِ المَجْـــدِ تَرْتَفِـــعُ[1]

يتحدث الشاعر عن العراق وما فعلته به أمريكا، حيث جعلت الأحزان مجتمعة فيه، لا أحد يسانده، ويحزن لحزنه، كما حزن يعقوب على يُوسُف -عليهما السلام- فأصبح العراق في سنوات عجاف بما يعانيه من جوع، وبرد، وأوجاع تحاصره لا تفارقه أبدًا، ومع هذا ظل كالنخلة ثابت لا يهزه وجعًا، فقد لجأ الشاعر في صورته إلى قصة يعقوب ويُوسُف -عليهما السلام- وكذلك حين فسر يوسُف ﷺ رؤية الملك حيث قال تعالى: **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[2] .

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 90.

(2) [يوسف: 46]

وفي قصيدة لعينيك قال:

وَكُـــلُّ دُمُـــوْعِ الـــرُّوْحِ حِـــيْنَ نَزَفْتُهـــا

تُخَبِّـــرُهُمْ أَنَّ الهَـــوَى قَـــدْ تَمَكَّنَـــا

وَلَكِـــنَّ حُزْنـــاً لا يَـــزَالُ يَهُزُّنِـــي

كَحُزْنِـــكَ يَـــا يَعْقُـــوبُ لَـــيْسَ تَحَزُّنَـــا[1].

يعود الشاعر هنا إلى التلميح عن قصة يعقوب عليه السلام وحزنه على فقد يوسف عليه السلام فيبين الشاعر مدى تمسكه بوطنه، وأن حبه قد تمكن من روحه، مشبهًا روحه بالإنسان الذي يبكي، وأن هذه الدموع كالدماء التي تنزف أسفًا على وطنه، وأن هذا الأسف والحزن كالزلزال الذي لا يهدأ في وجدان الشاعر، كما حزن يعقوب عليه السلام وابيضت عيناه، ولم يرَ النور إلا بقميص يُوسُف عليه السلام.

وقال في قصيدة **قالوا حجابك...!!**

وَلَهَـــا صَـــبَاحٌ لَـــوْ يَغِيْـــبُ صَـــبَاحُنَا

لأَظَلَّنَـــا نُـــوراً كَـــأَلْفِ شِـــهَابِ

وَلَهَـــا " كَيُوسُـــفَ " عَـــرْشُ حُسْـــنٍ سَـــافِرٍ

سَـــجَدَتْ لَـــهُ الأَنْـــوَارُ فـــي المِحْـــرَابِ[2]

ربط الشاعر بين صاحبة الحجاب حين رؤيتها، وبين قصة يُوسف- عليه السلام- حين أصبح عزيز مصر، وحين ألتقى بإخوته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [3] فالذي يجمع بين الموقفين مشاعر إنسانية يملأها الاستسلام أمام الجمال، وأمام الحكم والملك.

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 109.

(2) المرجع السابق، ص19.

(3) [يوسف: 100]

وقال في قصيدة قانون الصوت الواحد:

أَشْهَدُ أنَّ النُوَّابَ يظنّونّ الشّعبَ رَعاعًا

يَضَعُون عَلى الأَعْناقِ مَفاتيحَ الجَنّةِ كَقَلائِدْ

بِالأَمْسِ لَقَد قالُوا:

(يا مُوْسى إنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَدًا ما دامُوا فيها

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ...)

فَاتّفِقا [1].

يصور الشاعر حال النواب المتخاذلين، والذين يضعون تعاليم الدين الإسلامي مثل القلائد يتزينون بها أمام الناس، لكن يخفون في قلوبهم دمار البلاد، وقد ربط قول النواب حين يدعوهم للنظر في حال البلد أو الدفاع عنه، بقول بني إسرائيل، حيث قال الله –تعالى– على لسانهم﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَاۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [2]

وقال في قصيدة سلام على:

سلامٌ على كلّ روحٍ.. على كلّ نفْسٍ..

على كلّ قلبٍ سأَلْقاهُ في رَبَضاتِ الجِنانِ نَدِيًّا

سلامٌ عَلَيَّا

سلامٌ عَليّ بِيَوْمِ وُلِدْتُ..

وَيَوْمَ أَمُوْتُ..

وَيَوْمَ سَأُبْعَثُ حَيّا [3].

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص42–43.

(2) [المائدة: 42]

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص28–29.

يلقي الشاعر التحية على كل شخص وكل نفس، وحتى القلوب الطيبة النّدية التي سيلقاها في الجنة، ويقتبس من قول –تعالى– على لسان يحيى عليه السلام: **﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾** [1].

فقد ذكر الشاعر الأنبياء جمعيهم من غير تحديد في قوله في قصيدة **يا من لها تأوي الطيور:**

الأَنْبِيَـــــاءُ جَمِـــــيْعُهُمْ شُـــــعَرَاءُ فـــــي
إِحْسَاسِـــــهِمْ، فَـــــالحِسُّ قَلْـــــبٌ يَخْشَـــــعُ
طُبِعُـــوا عَلَـــى حُـــبِّ الفَضِـــيْلَةِ وَالهُـــدَى
مَـــنْ ذَا يَـــرَى أَنَّ الطِّبَـــاعَ تَطَبُّـــعُ[2].

يصور الشاعر الأنبياء عليهم –الصلاة والسلام– بقلوبهم المطبوعة على فطرة الإسلام وخشية الله تعالى، وهداية الناس إلى دين الهدى والحق، وقد صور إحساسهم كأنه قلب يخشع وينبض بحب الله تعالى.

وقال في قصيدة سلام عليها:

(لِمَيْسُونَ) قَدْ عَطِشَ القَلْبُ قُرْبَا
دَعَاهُ مِنَ الخَافِيَاتِ ...
نِدَاءُ الغَرِيْبِ المُعَنّى... فَلَبَّي
(لِمَيْسُونَ) فِي القَلْبِ فَاكِهَةٌ ثُمَّ أَبَّا[3].

يصور هنا الشاعر مدى اشتياقه لميسون، وأن قلبه عطشان لا يرتوي إلا حين يلتقي بها، فقد اقتبس الشاعر قوله (فاكهة ثم أبا) من قول تعالى: **﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** [4] **﴾**

---

(1) [مريم: 15]
(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 131.
(3) الزنابق، العتوم، ص73.
(4) [عبس: 31]

وقال في قصيدة لكِ الذكرى:

كَـــــأَنّ فُـــــؤَادِي وَاحَـــــةٌ مُسْـــــتَظَلَّةٌ

وَأَصْـــبَحَ مِـــنْ هُجْرَانِنَـــا مَاؤُهَـــا غَـــوْرَ [1]

يصور الشاعر نفسه بواحة، ماؤها في القاع لا تتناوله الأيدي، وذلك لبعد ميسون عنه، فأصبحت حياته جافة، لا يسكنها إلا ذكرياتها، وقد توافق هذا مع قوله تعالى: ﴿**أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**﴾ [2] .

وفي قصيدة عاشقان قال:

ما أَسْهَلُ الأَشْياءِ ؟ قالتْ نَسْمَةٌ

أَنْ تَبْلَعَ المَاضِي وَتَرْكَنَ لِلْهَوانْ ...

مَا أَجْمَلُ الأَشْياءِ ؟

أَنْ تَفْنَى لِتَحْيا ...

كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ فانْ

فَبِأَيِّ آلاءِ البِلادِ تُكَذِّبانْ ؟!! [3]

جعل الشاعر هنا النسمة بالإنسان الذي ينطق ويتكلم، وأن الماضي بأحزانه كأنه طعام مر يهضمه لكي يستطيع أن يجد للمستقبل متسعًا، ويؤكد الشاعر أن الروح وإن جاء أجلها وخسرت كل شيء فهذا من أجل حياة العز والكرامة، وأن كل من على هذه الأرض له موعد للرحيل، حتى الذين باعوا الوطن من أجل أهوائهم وملذات الدنيا الفانية، مقتبسًا هذا من قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [4]

قال في قصيدة ملحمة الأقصى مخاطبًا المسجد الأقصى:

إِنَّكَ الغَائِبُ وَالحَاضِرُ... وَالمَبْكِيُّ وَالبَاكِي

---

(1) الزنابق، العتوم، ص86.

(2) [الكهف: 41]

(3) طيور القدس، العتوم، ص24.

(4) [الرحمن: 26-28]

وَأَنْتَ الشَّاهِدُ المَشْهُوْدُ... وَالمَزْرُوْعُ فِي طُهْرِ الصَّلاةْ

إِنَّكَ الرَّاسِخُ فِي الأَنْفُسِ... وَالسَّاخِرُ مِنْ كُلِّ العُتَاةْ

إِنّكَ القَائِلُ فِيْكَ اللهُ ... جَلَّ اللهُ فِي آيٍ هُدَاهْ

قَالَ: (سُبْحَانَ الّذي أَّسْرَى) بِهِ

وَتَجَلَّتْ آيَةُ الرَّحْمَنِ فِي أَسْرَابِهِ

إِنَّكَ البَيْتُ المُقَدَّسْ[1]

يخاطب الشاعر المسجد الأقصى، مبينًا مدى قداسته، شخصه بأنه إنسان يغيب ويحضر، فغائب لأنه في أيدي المحتلين يتحكمون بمن يزوره، وحاضر في قلوب المسلمين والذي يبكي المسلمين على حاله، ويبكي على تخاذل العرب عنه، ويشهد على جرائم المحتل وتخاذل العرب، وعلى المرابطين الذي ضحوا بدمائهم من أجل ترابه، وكذلك صوره بالنبات المزروع في الصلاة، حيث الدعاء بكل صلاة بأن يخلصه الله من دنس المحتل، وأنه راسخ في نفوس المسلمين، وأن يسخر من المحتل لأن النصر لدين الله تعالى، ثم يقتبس الشاعر من قصة الإسراء والمعراج كما قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَاتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [2] .

ويكمل الشاعر صورته عن الأقصى فقال:

إِنَّكَ الإِيْمَانُ...

وَالإِيْمَانُ آمَالٌ بِنَصْرِ اللهِ

وَالكُفْرُ بِأَنْ تَأْسَى وَتَيْأَسْ

إِنّكَ الصُّبْحُ إِذاَ مَا قَدْ تَنَفَّسْ

فَلَنَا شَمْسٌ ... لَنَا حَقٌّ وَإِنَّ الحَقَّ أَبْلَجْ

وَلَهُمْ لَيْلٌ شَدِيْدٌ حَالِكُ الظُّلْمَةِ عَسْعَسْ[3]

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 47-48.

(2) [الإسراء: 1]

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، ص 49-49.

يصور الشاعر هنا المسجد الأقصى بأنه الإيمان بنصر الله، وأنه الصبح بنوره إذا ظهر وانبثق، وقد اقتبس الشاعر قوله (الصبح إذا ما قد تنفس) و(ليل شديد حالك الظلمة عسعس) من قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [1].

فقال الشاعر للقدس غنيت الحروف:

دَعْ عَنْـــكَ أَرْضًـــا بِالسَّـــماءِ تَعلّقـــتْ
لِلحـــامِلينَ لِـــواءَ كُـــلِّ سِـــنانِ
للنّـــاقِمينَ عَلَـــى اليَهُـــودِ وَرِجْســـهِمْ
مِـــنْ كُـــلِّ طِفْـــلٍ ثَـــارَ كَالبُرْكـــانِ
هُـــوَ حَـــافِظٌ: (ضُـــرِبَتْ علـــيهم ذِلَّـــةٌ)
وَتَبَـــوَّؤُوا غَضَـــباً مِـــنَ الـــرَّحْمَنِ
متفـــرِّدٌ بالبـــأسِ مُلْهِـــبِ عَزْمِـــهِ
كَاللَّيْـــثِ، يَحْمِـــلُ رايَـــةَ القُـــرآنِ
هُـــوَ لـــيسَ يَخْشَـــى غَيْـــرَ رَبِّ واحـــدِ
لا حُكْـــمَ أَمْرِيكـــا، وَلا الرُّوْمَـــانِ[2]

يصف الشاعر هنا أطفال القدس، الذين تركوا الطفولة جانبًا وحملوا السلاح، فقد تربوا على حب القدس، ونسوا ما تعلموا إلا كرههم لليهود، فهم يحفظون قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [3] فقد وصف الشاعر الأطفال المقدسين بالبراكين التي تنفجر منها حبهم للقدس، وكالأُسود في مواجهة المحتل، متيقنين بأن كل حكام العالم لا تخيفهم، وإنما يخيفهم حكم الله سبحانه وتعالى.

وما زال الشاعر يقتبس بما جاء في القرآن في بني إسرائيل فقال في قصيدة **نزّه تراب القدس:**

زَرَعَ اليهـــــودُ بأرضِـــــنا أنْيـــــابَهم

---

(1) [التكوير: 17-18]

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، ص 62-63.

(3) [آل عمران: 112]

وتَمَكَّـــــــن الشُّـــــــذَّاذُ والخُبَثَـــــــاءُ

ومصـــــيبةُ الشَّـــــعْبِ الضَّـــــعيفِ بِبُعْـــــدِهِ

عَـــــنْ مَـــــنْهَجِ الـــــرَّحْمَنِ وَهْـــــوَ دَوَاءُ

يـــــا قـــــومُ إنَّ الله جـــــل جلالـــــهُ

قـــد قـــالَ: (لـــن ترضـــى) ولـــيسَ رِضـــاءُ

حتـــــى نكـــــونَ كمـــــثلهم فـــــي ديـــــنهم

أَفَـــــلا اتّعَظْـــــتُمْ أيهـــــا الجُهَـــــلاءُ[1].

يقول الشاعر بأن اليهود استوطنت في البلاد العربية، وصارت تحكمها، وتنزع ممن تريد حريته، فقد شبه اليهود وأنيابهم بالنبات الذي يُزرع، مقتبسًا من قوله تعالى في خطابه للرسول –ﷺ **﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾** [2].

وقد لجأ الشاعر إلى كلمات دينية، اقتباسًا غير المباشر من القرآن الكريم، وقصص الأنبياء فقال في قصيدة **دفاتر الحب:**

عَلَـــى العَهْـــدِ فَـــأقْرَأْ سُـــوْرَةَ العَهْـــدِ لِلْـــوَرَى

لَعَـــــلَّ فُـــــؤَادًا تَـــــاهَ أَنْ يَتَـــــذَكَّرَا

يَسِـــيْرُونَ بِـــي لِلْحَتْـــفِ وَاللَّيْـــلُ مُطْبِـــقٌ

وَكَيْـــفَ يَعُـــودُ المَيْـــتُ أَوْ يَنْطِـــقُ الثَّـــرَى[3]

يوضح الشاعر هنا مدى أهمية الالتزام بالعهد، فقد حث عليه ديننا الإسلامي، فقد اقترن العهد مع كلمة دينية (سورة)؛ ليؤكد الشاعر أنه أمر من الله منزل من عنده، حيث قال الله – تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [4]

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص108.

(2) [البقرة: 120]

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم ، ص 118.

(4) [النحل: 91]

فيشخص الشاعر القلب بإنسان ينسى ويحتاج إلى أحد يذكره، ثم يذكر بالموت، النهاية المحتومة لكل إنسان فلا مجال لرجعة.

وقد سمى الشاعر قصيدة له مطابقة لسورة قرآنية وهو سورة الضحى، فقال في القصيدة:

(والضّحى ...)

يتلو النهارُ ضياءَه فيكونُ ليلُ الحُزنِ منه قَدِ امّحَى

والقلبُ مِنْ شَجَنٍ شَفِيْفٍ قَدْ صَحَا

الله ... بَدَّدَ عَتْمَ خَاطِرِهِ الشَّجِيّ فَأَصْبَحَا

(والليل إذا سجى ...)

والقلبِ يَحْرِقُهُ البِعَادُ إِذَا تَوَحَّشَ أَوْ إِذَا خَابَ الرَّجَا

مَنْ يَحْرُسُ الفَرَحَ المُؤَجَّلَ إِنْ تَلَهَّبَ وَالفُؤَادَ تَأَجَّجَا ؟

الله ... أَنْقَذَ فيهِ آخِرَ رُوْحِهِ ... فَنَجَا

كَذَبَتْ نُبُوْءَتُهَا: (قَلاكَ ...) وَمَا قَلَى

أَنْتَ الذي صَاغَ المَحَبَّةَ سُوْرَةً تُتْلَى ... فَقُلْ لي كَيْفَ تُقلَى؟! (1).

يوضح الشاعر أن دائمًا بعد الشدة والحزن يتبعه إشراقة صبح، فالليل يعقبه ضياء الصبح الذي يمحو آثار الحزن التي تركها الليل، فقد شخص الشاعر القلب وجعله ينام ويصحو، فلطف الله يغمره بأن جعل القلب يصحو وينتعش بعد كل هذه الأحزان والهموم، فحين يُقبل الليل بظلامه يُقبل معه الحنين إلى من باعدت بينهم المسافات، فقد جعل الشاعر هذا الفراق كأنه نار يحرق القلب، ففي هذه الأبيات اقتبس الشاعر اقتباسًا مباشرًا من قوله تعالى: ﴿ **وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ (2)

وقال في القصيدة نفسها:

وَالقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَنْبُوْعاً مِنَ النّورِ المُصَفَّى

وَمَلائِكُ الرَّحْمَنِ دُوْنَكَ قَدْ تَغَشَّاهُنَّ نُورُكَ ... ثمّ جِئْنَ إليكَ صَفَّا

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص 61.

(2) [الضحى:1-2]

(وَالمُرْسَلاتِ عُرْفًا)

(فَالعَاصِفَاتِ عَصْفًا)

أَنْتَ الغَمَامُ وَأَنْتَ مِنْ قَطْرِ النَّدَى أَنْدَى وَأَصْفَى[1]

يصف الشاعر الرسول ﷺ القلب العامر بالإيمان وحب الله تعالى وكأنه نور خالص لا تشوبه شائبة، كانت ملائكة الله تحفه وتحفظه حتى الرياح والعواصف تأتي إليه صفًا، وقد اقتبس من قوله تعالى: ﴿**الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفا**﴾ [2] ثم يصف الشاعر الرسول ﷺ بالغمام، الذي يحل بالمكان فتحل البركة، وبأنه أصفى من الندى.

ب-الحديث الشريف:

وقد اقتبس الشاعر من كلام رسول الله -ﷺ- ففي قصيدة **يا غزة العز** قال:

يَا أَهْلَ غَزّةَ صَبْرًا إِنّ مَوْعِدَكُمْ

جِنانُ خُلْدٍ لَكُمْ تَهْفُو وَتَعْتَنِقُ

مَا دَمَّرُوا ... مَا عَلَى أَجْسادِنا هَدَمُوا

ما قَتَّلُوا ... حَرَّقُوا ... ما عَظْمَنَا سَحَقُوا

فَلَنْ نَهُونَ وَلَنْ نَرْضَى بِذِلَّتِهِمْ

ما دامَ يَشْهَقُ في أَرْواحِنَا رَمَقُ [3]

يصور الشاعر هنا حال مدينة غزة، فيحثها على الصبر، لأن النصر موعدهم، والجنان التي تنتظر الذين استشهدوا على ثراها، والذين عذبوا من أجلها ودافعوا عنهَا، مقتبسًا قول الرسول ﷺ حين كان يمر بعمار بن ياسر وأمه، وهما تحت العذاب في رمضاء مكة فقال ﷺ : " صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة"[4] .

وقال في قصيدة حبيبي يا رسول الله:

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص 62.

(2) [المرسلات: 1-2]

(3) طيور القدس، العتوم، ص69.

(4) السيرة النبوية، ابن اسحاق، تحقيق: أحمد المزيدي، ص 229.

أَنْشَـــأْتَ بِالحُـــبِّ أَجْيَـــالاً، وَقُمْـــتَ لَهَـــا

بِـــالخَيْرِ وَالعَـــدْلِ وَالحُسْـــنَى تُؤَاخِيْهَـــا

(لا يُـــؤْمِنَنْ أَحَـــدٌ حَتَّـــى يَكُـــوْنَ لَـــهُ

مِـــنْ نَفْسِـــهِ لأَخِيْـــهِ مَـــا يُكَافِيْهَـــا)

أَلَّفْـــتَ بَـــيْنَ قُلُـــوْبِ المُـــؤْمِنِيْنَ بِمَـــا

وَجَّهْـــتَهُمْ لِهُـــدَى الـــرَّحْمَنِ تَوْجِيْهَـــا[1] .

يتحدث الشاعر عن رسول الله ﷺ وكيفية تعامله مع المسلمين، وكيفية بنائه الدولة الإسلامية، فقد جعل الحب والعدل والحسنى الأساس التي تُبنى عليه النفس المؤمنة بالله تعالى، وقد اقتبس الشاعر هذا من قول رسول الله ﷺ إذ قال: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه" [2].

وقال في القصيدة نفسها:

وَيَـــا رَسُـــوْلَ الهُـــدَى شَـــاقَتْكَ عَادِيَـــةٌ

إِنَّ الفَـــوَارِسَ نَادَتْهَـــا مَـــذَاكِيْها

نَامَـــتْ بِأَغْمَادِهَـــا هَـــذِي السُّـــيُوْفُ فَمَـــنْ

سَيَنْتَضِـــي لِعَـــدُوِّ اللهِ مَاضِـــيْهَا

مَـــا ذَلَّ قَـــوْمٌ عَلَـــوْا صَـــهْوَاتِ خَـــيْلِهِمُ

فَالخَيْـــلُ بِـــالخَيْرِ مَعْقُـــوْدٌ نَوَاصِـــيْهَا[3] .

يخاطب الشاعر هنا الرسول ﷺ شاكيًا إليه حال العرب، وأنه القليل منهم من يحمل السيف ويقاتل في وجه أعداء الله، فأصبحت السيوف نائمة لا أحد يخرجها من غمدها، فهذا السيوف التي فيها عزة الحرب، والخيول التي كانت تقود المسلمين إلى عزتهم لم تعد موجودة، مقتبسًا اقتباسًا من قول الرسول ﷺ كما جاء في صحيح البخاري: حدثنا حفص بن عمر حدثنا

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، ص14.

(2) صحيح مسلم، النيسابوري، كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، ج1/ص67: رقم الحديث 71.

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص18.

شُعبة عن حصين وابن أبي السَّفَر عن الشّعبي عن عروة بن الجعد عن النبي ﷺ قال: " الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[1].

وقبل الانتهاء من الموروث الديني تلاحظ الباحثة أيضًا تأثر الشاعر بالصوفية من ناحية السُكْر والصحو[2] فمثلًا **قال في قصيدة تائه مثل جراحي:**

سَوْفَ أَفْدِيكِ بِشْعِرِي وَبِلَحْنِي

أَعْصِرُ القَلْبَ لأَجْلِ البَسْمَةِ السَّكْرَى

كَمَا يُعْصَرُ جَوْفُ البُرْتَقَالْ[3].

فالشاعر يخاطب (ميسون) موضحًا أنه سيفديها بكل ما يملك، جاعلًا القلب وكأنه شيء مملوس أو كأنه برتقال يعصر جوفه، وبسمة (ميسون) كأنها شراب مُسْكِر، فقد كان الشاعر هنا متأثرًا في الصوفية في درجة الحب عندهم.

وفي قصيدة **يا من لها تأوي الطيور:**

سَـــكِرَتْ بِـــيَ الأَوْجَـــاعُ حَتَّـــى شَـــفَّنِي

وَجَـــعٌ بِنَـــارِ مَشَـــاعِرِي يَتَوَجَّـــعُ

مَـــا اخْتَـــرْتُ أَقْـــدَارِي وَلا سَـــاءَلْتُهَا

فَأَنَـــا بِغَيْـــرِ نِهَايَـــةِ لا أَطْمَـــعُ

يَـــا مَـــنْ يُعَـــاتِبُنِي لِبُـــؤْسِ مَشَـــاعِرِي

أَنَـــا لَسْـــتُ طِيْنَـــا لا يَـــرَى أَوْ يَسْـــمَعُ

أَهْتَـــزُّ كَالمَـــذْبُوحِ مِـــنْ سُـــكْرِ الهَـــوَى

وَأَمُـــوتُ مِـــنْ بُعْـــدِ الحَبِيْـــبِ وَأَجْـــزَعُ[4].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ج2/ص704: رقم الحديث 2849.

(2) السّكْر هو: غيبة شديدة تتفاوت قوتها بين القوة والضعف، والفرق بين الغيبة والسكر يرجع إلى قوة الوراد فإذا كان قويا كانت الغيبة سكْرًا، والوارد هو ما يرد على القلب من معاني من غير تعمل العبد (التصوف السني حالة الفناء بين الجنيد والغزالي، إبراهيم، ص53.

(3) الزنابق، العتوم، ص14.

(4) نبوءات الجائعين، العتوم، ص ص130-131.

يتحدث الشاعر عن الآلام التي أصابته بسبب حبه لوطنه، حتى أنه جعل الوجع من شدته يتوجع، الذي شعر به لمجرد أنه رفض أن يكون جسدًا بلا روح، وأنه لا يرى ولا يسمع، وأن يقبل الذل، ولأنه أحب وطنه أصبح في السجن يعاني الوحدة.

هكذا لجأ الشاعر إلى الاقتباس من قصص الأنبياء وشخصياتهم حلة يزين بها صوره ويعطيها روحًا إيمانية يعبق شذاها بسير الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– ولم يركن إلى هذا فقط فلجأ إلى الاقتباس من بعض آيات القرآن الكريم وبعض الكلمات الروحانية، لتشد المتلقي إلى حروفه؛ ولتعبر مدى تمسكه بكتاب الله تعالى.

4– الموروث الأدبي:

إن من الطبيعي أن تكون قصائد الشعراء القدماء لها تأثير على الشعراء المعاصرين؛ فهي الأعمق في نفوسهم ووجدانهم؛ لأنها عاشت التجربة وكانت صوت عصرها، فأصبح لها القدرة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر، فلا عجب أن تكون شخصيات الشعراء التي ارتبطت بقضايا معينة سواء سياسية أو اجتماعية من أكثر الشخصيات شيوعًا في الشعر المعاصر[1].

فقد تأثر بالشعر الجاهلي **فقال في قصيدة حمدان:**

حَمْـــدَانُ يَـــا أَيُّهـــا الغَـــافِي عَلَـــى حُلُـــمٍ

مِـــنَ العُرُوبَـــةِ، (إِنَّ الرَّكْـــبَ مُرْتَحِـــلُ)

(قَـــدْ أَوْقَعُـــوكَ بِفَـــخٍّ مَـــا فَطِنْـــتَ لَـــهُ

فَانْفُـــذْ بِرِيْشِـــكَ إِنَّـــا كُلُّنَـــا هَمَـــلُ)[2]

يخاطب الشاعر حمدان المواطن العربي الصامت عن حقه، الواثق بالعهود السياسية، معتقدًا أنها تصب في صالحه، إلا أنها تقص من ريشه وتحد من حريته وكرامته، وقد اقتبس قوله (إن الركب مرتحل) من قول الأعشى في معلقته حين خاطب أبي ثابت الشيباني فقال:

ودع هُرَيـــــرة إن الرَّكـــــبَ مرتحـــــلٌ

وهـــل تطيـــق وداعـــاً أيهـــا الرجـــلُ[3].

---

(1) انظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، زايد، ص 138.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 88.

(3) ديوان الأعشى، الأعشى، ص17.

كذلك تأثر الشاعر بالوقوف على الأطلال عند الشعراء الجاهليين حيث **قال في قصيدة غياب العودة:**

يَـــا دَارُ عُـــدْتُ مِـــنَ القُضْـــبَانِ مُنْتَشِـــيًا

فَـــلا الزَّوَارِيْـــبُ لاقَتْنِـــي وَلا الْجُـــدُرُ

وَكُنْـــتُ حِـــيْنَ أُغَادِيْهَـــا تُقَبِّلُنِـــي

كَمَـــا يُقَبِّـــلُ خَـــدَّ الْـــوَرْدَةِ القَمَـــرُ

تَغَيَّـــرَتْ ... أَيَّ شَـــيْءٍ كَـــانَ غَيَّرَهَـــا؟!

فَيَـــا لَقَسْـــوَةِ مَـــا قَـــدْ خَبَّـــأَ القَـــدَرُ

أُسَـــائِلُ الحَجَـــرَ الْمَلْقِـــيَّ فِـــي خَجَـــلٍ:

بِـــاللهِ ، مَـــا حَـــالُ أَحْبَـــابِي؟ وَأَنْتَظِـــرُ

أَظَـــلُّ أَنْـــزِفُ كَالْمَـــذْبُوحِ أَسْـــئِلَتِي

وَلا جَـــوَابَ، وَلا حِـــسٌّ وَلا خَبَـــرُ[1]

يقف الشاعر هنا على الديار التي كان يجمع فيها ذكرياتها قبل دخوله السجن، موضحًا أنها لم تعد على حالها السابق كذلك الناس والأحباب قد تغيرت وأصبحوا في القبور وهم أحياء تحكمهم قرارات ظالمة، فقد شخص الشاعر هذه الديار فكانت حين يزورها تلاقيه بالبِشر وتضمه كما تضم الأم الحنون ولدها، ولكن شاءت الأقدار أن يفترقا، ويعود إليها من جديد ، فقد شخص الشاعر الحجر وسأله عن الأحباب، فاستخدام الشاعر (الحجر) ليدل على أن المكان أصبح مقفرًا بعدها، متأثرا بالشعراء الجاهليين، فستمر الشاعر في طرح الأسئلة كأنه جريح لا يتوقف عن النزيف، وفي النهاية لم يلقَ جوابًا ولا حس ولا خبر.

ومن الشخصيات الأدبية التي كانت الأكثر شيوعًا والتي كانت تمثل قضية سياسية قضية المتنبي، فوصل هذا إلى أن الشاعر المعاصر (خليل الخوري) كتب ديوانًا كاملًا عن شخصية المتنبي باسم (رسائل إلى أبي الطيب)[2] لجأ العتوم أيضًا إلى شخصية المتنبي في صوره حيث قال في قصيدة **سلام على...:**

سَلامٌ عَلَى "المُتَنَبّي"..

تَمَنَّى يَعِيْشَ قَلِيلاً بِعَصْرٍ كَعَصْرِي

---

(1) الزنابق، العتوم، ص97.

(2) انظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، زايد، ص138.

لأُسْمِعَهُ بَعْضَ أَلْحانِ شِعْرِي

وَمَاتَ..

وَلَمْ تَعْرِفِ الخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ

سِرّاً لَدَيْهِ..

فَجَاءَتْ لِتَعْرِفَ سِرَّاً لَدَيّا! [1].

يتمنى الشاعر أن يقابل المتنبي، و يشاركه عصره، لكي يسمعه ألحان وأنغام شعره، حيث إن الخيل والليل والبيداء لم يستطيعوا معرفة السر وراء نبوغه في الشعر، والكلمات التي يخطيها قلمه، وشجاعته في الحروب.

اقتبس الشاعر هنا من بيت المتنبي القائل:

الخَيْـــلُ وَاللّيْـــلُ وَالبَيْـــداءُ تَعرِفُنـــي

وَالسّـــيفُ وَالـــرّمحُ والقرْطـــاسُ وَالقَلَـــمُ[2].

وقال في القصيدة نفسها:

سلامٌ عَلَيْهِ "عَلِيّ بْنِ حَمْدَانَ"

قَالَ لَهُ المُتَنَبِّئُ عَنِّي كَلاماً غَرِيباً

فَجَاءَ ابْنُ حَمْدانَ يَطْلُبُنِي

وَيُقَرِّبُنِي مِنْ هَوَاه نَجِيًّا[3] .

يستخدم هنا الشاعر خياله الواسع، بأن سيف الدول الحمداني جاء يطلب قربه، وحبه، إعجابًا بشعره.

ولم يعتمد الشاعر على المتنبي فقط، حيث لجأ إلى غيره من الشعراء، **فقال في القصيدة نفسها:**

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص26.

(2) ديوان المتنبي، المتنبي، ص332.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 28.

سَلامٌ عَلَى ظُلُماتِ "المَعَرّي"

سَلامٌ عَلَيْهِ تَمَنَّى لِيَ العَيْشَ

قَبْلَ "امْرِئِ القَيْسِ"

حَتَّى أَحُوزَ "بِغُفْرانِهِ" جَنَّةً وَمَكاناً عَلِيّا

سَلامٌ عَلَى قَيْسِ لُبْنَى.. كُثيِّرِ عَزَّة.. أَبْناءِ عُذْرَةَ [1]

مَجْنُونِ لَيْلَى.. جَمِيْلِ بُثَيْنَةَ

عَنْتَرِ عَبْلَةَ.. تَوْبَةِ لَيْلَى.. [2] وعُرْوَةَ..

وَالآخَرُونَ..

تَمَنَّوْا يَرَوْنِي أُذِيْبُ حُرُوفَ الغَرَامِ عَلَى شَفَتَيَّا

وَأَسْقِيْهُمُ خَمْرَةَ الحُبِّ –تَسْبِي الجَوَى–

مِنْ يَدَيَّا

وَمَاتُوا جَمِيعًا..

وَلَمْ تَتَحَقَّقْ أَمَانِيْهُمُ

فَانْثَنَوْا يَنْحِبُونَ عَلَيّا

سَلامٌ عَلى دَمْعَةٍ فِي عُيُونِ "ابْنِ عَبَّادَ"

سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ

وَهْوَ يَهْمِسُ فِي أُذُنَيّا:

بَحَقِّ أَبِيكَ أَذِبْنِي بِأَحْزانِ شِعْرِكَ

---

(1) هي إحدى قبائل العرب الشهيرة في التاريخ العربي، كانت ما قبل الإسلام إلى اليوم ، فهي تمتد في شمال الحجاز والأردن وفلسطين وسوريا ومصر والسودان، ينتسب إليها جميل بثينة (المعرفة) (موقع إلكتروني)

(2) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل ابن الرحالة بن شداد، بن كعب بن معاوية بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أما قصتها مع توبة يُظن أنه خطبها من أبيهاأ فرفضه، فزوجها لأحد أبناء الأذيع، فقد كان توبة يكثر من زيارتها. انظر: ديوان ليلى الاخيلية، تحقيق: خليل وجليل عطية، ص21.

أَنْسَى مُصَابِي وَأَحْيَا رَضِيًّا

سَلامٌ عَلَى "الأُمَوِيّينَ"

أَنْشَدَهُمْ ذَاتَ بَوْحٍ "جَرِيْرٌ" قَصَائِدَ شِعْرِي

وَأَبْلَغَهُمْ أَنَّنِي قَدْ سَرَقْتُ لَهُ لَحْنَهُ العَبْقَرِيَّا

فَتَاقُوا إِلَيَّ زَمَاناً، وَتَاقُوا إِلَيَّ مَكاناً..

وَتَاقُوا إِلَيّا[1] .

يصور الشاعر مجموعة من الشعراء ينتسبون لعصور أدبية مختلفة، (المعري ورسالة الغفران، امرئ القيس، وقيس لبنى، وكُثيِّر عزة، مجنون ليلى، جميل بثينة، عنترة عبلة، توبة ليلى، وعروة)

فهؤلاء جميعًا يلقي عليهم تحية حبٍ لما تركوه من إرث للأمم التي تليهم، فقد شبه شعر أبي العلاء المعرى بالظلمات، لما فيه من سواد وتشاؤم، فيتمنى المعري أن يعيش الشاعر قبل عصر امرئ القيس ليكتب عنه في رسالة الغفران، فهذا يعبر عن اعتزاز الشاعر بنفسه، ثم ذكر مجموعة من الشعراء الذين اشتهروا بقصص الحب، مثل قيس بن ذريح ولبنى بنت الحباب، قيس وليلى ، وعبلة وعنترة، وليلى الأخيلية وتوبة، فقد جعلهم يتمنون له أن يذيب حروف الغرام على شفتيه، وأن يسلك طريقهم، فقد شبه الشاعر الحروف بالشيء المادي الملموس الذي يُذاب، ثم يصور الحب بالخمر؛ لكي يخفف من ألام الشوق والحزن، لكن لم تتحقق أمانيهم، ثم يلجأ إلى ذكر المعتمد بن العباد الخليفة الذي جعله يبكي ويهمس في أُذنيه متوسلًا إليه أن يسمعه من شعره، ويذيبه بأحزانه لكي يخفف عنه مصابه، مؤكدًا الشاعر افتخاره واعتزازه بنفسه، وفي النهاية يذكر الشاعر جرير، فقد لجأ إلى الأخذ منه أشعاره العبقرية.

ويستمر الشاعر في اللجوء إلى الشعراء السابقين مستمدًا من كلماتهم وأشعارهم نورًا لشعره فقال **في قصيدة مكانك تحمدي:**

أَحَبِيبَتِي...

سَأَمُرُّ فَانْتَظِرِي المَسَاءَ

فَقَدْ أَجِيْءُ إِلَيْكِ بالقَلْبِ الجَمُوحِ

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 27-28.

لِتُخَلِّصِيني مِنْ جُنُوحِي

وَعَلَى جِدَارِ الصَّمْتِ تَبْتَدِئِينَ أُغْنِيَتِي

"مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيْحِي"[1]

اقتبس الشاعر قوله (مَكَانَكِ تُحْمَدي أوْ تَستَرِيحي) من قول عمرو بن الإطنابة الخزرجي حين قال:

وَقَـــوْلِي كُلّمـــا جَأَشَـــتْ وجَاشَـــتْ

مَكَانَـــكِ تُحْمَـــدي أوْ تَســـتَرِيحي[2]

يخاطب الشاعر هنا نفسه وعفته، ويوصيها بالصبر عند الحرب على كل مكروه وعدم الخوف، أما الشاعر العتوم فيخاطب (ميسون) التي ستخلصه من أحزانه، وشبه الصمت بمكان له جدار، وتمنح الشاعر الشعور بالفرح، فيطلب منها أن تبقى ثابتة وصامتة لتزيد جمالًا.

وقد تأثر الشاعر أيضًا في شعر نزار قبابي في صوره الغزلية حيث قال في ميسون **في قصيدة كتبت فوق جدار السجن:**

يَـــا حُلْـــوَةَ القَلْـــبِ يَـــا أَنْـــداءَ عـــاطِفَتِي

يـــا لَثْغَـــةَ اللَّفْـــظِ، يَـــا أَشْـــذاءَ نَجْـــواكِ

يَـــا أَصْـــلَ حُـــزْنٍ وَأَحـــلامٍ مُجَنَّحَـــةٍ

بَرِيْئَـــةٌ مِـــنْ خَيـــالٍ أَنْـــتِ أَفَّـــاكِ

قُـــوْلِي، وقُـــوْلِي، وقُـــوْلِي، دُوْنَ أَنْ تَقِفِـــي

فَمـــا أَرَى الشَّـــهْدَ إلاَّ نَبْعُـــهُ فَـــاكِ

قَـــوْلِي كَرِهْتُـــكَ، أَوْ قُـــوْلِي أُحِبُّـــكَ، أَوْ

قُـــوْلِي جَهِـــدْتُكَ عَـــنْ نَفْسِـــي وَإِدْراكِـــي[3]

---

(1) الزنابق، العتوم، ص10-11.

(2) الحماسة، البحتري، تحقيق: محمد حور وأحمد عبيد، ص39.

(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 17.

يخاطب الشاعر هنا (ميسون) ويطلب منها أن تتلفظ بأي قول، وأن تستمر بالقول ولا تتوقف، مستخدمًا صورة جميلة، حيث شبه كل لفظ تتلفظ به بأنه شهد، وقد توافق هذا مع الشاعر نزار قباني حين قال في أبيات غزلية:

قولي أحبكَ كي تصيرَ أصابعي

ذهبًا...وتصبحَ جبهتي قنديلاً

قولي أحبكَ كي يتم تحولي

فأصير قمحاً.. أو أصيرَ نخيلاً[1].

وفي قصيدة أنا الشوق قال:

لا يَـــــا سَـــــيِّدَ الثَّقَلَـــــيْنِ رُوحـــــي

قَـــــدِ اسْـــــتَبَقَتْ لِرُؤيَتِـــــكَ اسْـــــتِباقا

أَقُـــــولُ لَهـــــا: رُوَيْـــــدَكِ كُـــــلُّ صَـــــبٍّ

قَرِيبـــــاً مِـــــنْ هَـــــوَى المَحْبُـــــوبِ ذَاقـــــا

فَتَغْلُـــــونِي بِسَـــــوْطٍ مِـــــنْ عِتـــــابٍ

وَتَحْـــــدُو نَحْـــــوَ قُبَّتِـــــكَ النِّياقـــــا

وَأَعْـــــيُنُ كُـــــلِّ زَوْرٍ فِيـــــكَ عَيْنِـــــي

يُجِلْـــــنَ الطَّـــــرْفَ فِـــــي الحِلَـــــقِ اسْـــــتِراقا

فِـــــداؤُك مـــــا حَيِيْـــــتُ أبـــــي وأمّـــــي

إذا فَـــــدْوايَ تُبْلِغُنِـــــي اللَّحَاقـــــا[2].

يصور الشاعر هنا مشاعره وهو في الحج، وبالقرب من قبر الرسول ﷺ حيث جعل روحه تتسابق وتهفو لتنعم برؤية قبره ﷺ وجعل روحه إنسانًا يخاطبه بأن تتمهل فسوف ترتوي الراحة والسكينة، وتهدى من نار شوقها للرسول ﷺ حيث وصف الرسول بسيد الثقلين مقتبسًا هذا من بردة البوصيري حين قال:

---

(1) أشهد أن لا امرأة إلا أنتِ، قباني، ص15.

(2) طيور القدس، العتوم، ص 32.

مُحَمَّـــــدٌ سَـــــيِّدُ الكَـــــوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـــــيْنِ

وِالفَـــرِيقَيْنِ مِـــنْ عُـــرْبٍ وَمِـــنْ عَجَـــمِ[1].

فقال في قصيدة نحن من أوجاعنا لا نتألم:

طَلّـــــقِ الـــــذُّلِّ وَلا تَـــــرْضَ سِـــــوى

عِيْشَـــــةٍ فِـــــي عِـــــزَّةٍ وَالمَـــــوْتُ أَسْـــــلَمْ

كِبريـــــاءً قَـــــدْ سَـــــمَوْنَا فَـــــوْقَ أَنَـــــا

نَطْلُـــبَ العَفْـــوَ مِـــنَ الخَصْـــمِ وَنُـــرْحَمْ[2].

يخاطب الشاعر هنا كل إنسان عربي ويدعوه بأن ينفصل عن الذل، لأن الحياة هي كرامة وبدونها لا تسمى حياة، مستمدًا هذا من قول عبد الرحيم محمود حيث قال:

أَحْمِـــــلُ رُوحـــــي علـــــى راحَتـــــي

وأُلقـــــي بِهـــــا فـــــي مَهـــــاوي الـــــرَّدى

فإمّـــــا حَيـــــاةٌ تَسُـــــرُّ الصَّـــــديقَ

وإمّـــــا ممـــــاتٌ يُغـــــيظُ العِـــــدى[3]

فالشاعران يحثان على حياة العز، التي يدفع ثمنها غاليًا جدًا، وإلا الموت بكرامة.

وقد تأثر الشاعر بشعر عبد الرحيم محمود في موضع آخر حين يقول:

لا أُرْدُنِيُّونَ انْتَهَوْا

سَقَطَتْ عَباءاتُ العَشِيْرَةِ

وَانْتَهَى شَعْبٌ تَمَرَّسَ فِي النِّضالِ لَهُمْ وَوَاجَهَ مَصْرَعَهْ[4]

وهذا يتفق مع قول عبد الرحيم محمود:

شـــــعب تَمـــــرّس بالصـــــعاب

وَلَـــــمْ تنـــــلْ منـــــه الصّـــــعابُ

---

(1) بردة المديح، البوصيري، ص9.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص92.

(3) ديوان ساحمل روحي على راحتي، عبد الرحيم محمود، تحقيق: حنا أبو الحنا، ص101.

(4) نبوءات الجائعين، العتوم، ص20.

لـــــــو هَمَّـــــــه انتـــــــابَ الهضـــــــابَ

لَدُكـــــــــدْكَت منـــــــــه الصـــــــــعاب[1].

إن الشاعر لم يكن مطلعًا على الأدب العربي فقط، فالأدبي الغربي كذلك كان له حظ عنده فيقول في قصيدة وهل **يرحل الحزن عني:**

أُحَيْبَابَ قَلْبِي ..

لَكُمْ في الفُؤَادِ الحَكَايَا

التي لَمْ تَرِدْ في خَيَالِ (بَدِيْعِ الزَّمَانِ) ..

ولا في سُطُورِ (ابْنِ حَزْمٍ) ..

ولا في أَسَاطِيْرِ (قَيْسٍ) ..

ولا بَيْنَ (آلامِ فَارْتَرْ) (لِجُوْتِهْ) ..

وَلا (البُؤَسَاءِ) (لِفِيْكُتورِ هِيْجُو) ..

وَلا في الزَّمَانِ البَعِيْدِ وَلا في القَرِيْبْ

هُوَ الحُبُّ أَسْبَلْتُ جَفْنِي عَلَيْهِ

وَعَبَّأْتُهُ في حُرُوفِي ..

وَأَسْكَنْتُهُ في القُلُوبْ

هُوَ الحُبُّ يَقْتُلُنِي .. آهِ كَمْ أَنَا أَهْوَاكُمُ ..

فَخُذُوني بَقَايَا الرَّبِيْعِ الخَصِيْبِ

قُبَيْلَ يُهَاجِمُنِي الإِبْتِعَادُ الجَدِيْبْ

خُذُونِي .. [2] .

يخاطب الشاعر هنا أصدقاؤه الذين يساندونه في محنته، ولم يتركوه تائهًا يواجه عواصف الحياة، فهو يكن لهم كل الحب والاحترام، ففي قلبه منبت من الحكايات والآلام وحكايا حبه لهم، التي لم تذكر في كتب السابقين، لم ترد في مقامات (بديع الزمان الهمذاني) ولا في

(1) ديوان سأحمل روحي على راحتي، عبد الرحيم محمود، ص107.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص103.

كلمات (ابن حزم) ولا حتي في أساطير (قيس وليلى) ولا حتى في رواية جوته المسماة (آلام فارتر) ولا في كتاب (البؤساء (لفيكتور هيجو) ففي كل هذه الكتب ما فيها من قصص لم تعبر عن مدى حب الشاعر لأصدقائه، فقد جعل الشاعر هذا الحب بالمادي الذي يحشد به كلماته وشعره، وجعل له مسكنًا في قلبه، حتى إنه يصل إلى تدمير الشاعر وقتله، وفي النهاية يطلب الشاعر من أصدقائه أن يقتربوا منه قبل أن تباعد بينهم الأيام، مصورًا هذا الابتعاد بالأرض الجدبة، التي سيعيش فيها إن طالهم البعد.

وقال في قصيدة **بلادي سر مأساتي:**

أَفِـــرُّ مِـــنَ المَمَـــاتِ إِلـــى المَمَـــاتِ

وَأَعْلَـــمُ أَنَّ حَتْفِـــي فـــي حَيَـــاتِي

وَأَحْفِـــرُ مِـــنْ تُـــرَابِ الحَـــرْفِ قَبْـــرِي

وَأَحْمِـــلُ بَـــيْنَ أَفْكَـــارِي رُفَـــاتِي[1]

يقول الشاعر أن موته بكرامة، دون ذل، فيه حياة يهرب إليه ليحيا بكرامة، فهو يحمل أفكاره الذي جعلها كالشيء المادي الذي يحمل، بين عظامه البالية، فكل شيء ينتهي إلا أفكاره التي تحملها هذه العظام البالية، وقد توافق في ذلك مع الحلاج في قوله:

أقتلـــــــونني يـــــــا ثقـــــــاتي

إنّ فـــــــي قتلـــــــي حيـــــــاتي

وممـــــــاتي فـــــــي حيـــــــاتي

وحيـــــــاتي فـــــــي ممـــــــاتي[2].

أما البيت الثاني توافق مع قول الحلاج حين قال:

ثـــــــم مـــــــروا برفـــــــاتي

فـــــــي القبـــــــور الدارســـــــات

تجـــــــدوا ســـــــر حبيبـــــــي

فـــــــي طوايـــــــا الباقيـــــــات[3]

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص73.

(2) الحلاج الأعمال الكاملة، عباس، ص 294.

(3) المرجع السابق، ص294.

ويقول في قصيدة سراج الأقصى:

قُـــلْ يَـــا ظَـــلامَ السِّـــجْنِ أَقْبِـــلْ إِنّنـــا

نَهَـــوَى الظَّـــلامَ، فَمَـــا الظَّـــلامُ مُخلَّـــدَا

إِنْ كـــانَ فِـــي حُـــبَّ الإِلَـــه سَـــيَغْتَدِي

نُـــورَا لَنـــا يَـــوْمَ القِيامَـــةِ سَـــرْمَدَا[1]

يخاطب الشاعر هنا كل إنسان عربي، ويحث الهمم من أجل الدفاع عن الأقصى المبارك، مخاطبًا السجن وظلمه وظالمه بأنه يعشق هذا الظلام والأذى بما أنه في سبيل دين الله، وحماية المسجد الأقصى، ولأنه يجب جزاء الله المنتظر، الذي سيكون هذا الظلام يوم القيامة وكأنه نور، وهذا يوافق مع قول نجيب الريس في قصيدته إننا نهوى الظلام والتي أصبحت فيما بعد نشيد تُسمع ألحانه على ألسنة الكثير حيث قال:

يـــــا ظـــــلامَ السّـــــجن خَـــــيّم

إنّنـــــــا نَهْـــــــوى الظلامـــــــاَ

لـــــــيس بعـــــــدَ الليـــــــل إلا

فجـــــــر مجـــــــدٍ يتَســـــــامى[2]

كذلك الأمثال الشعبية كان لها حظ عند الشاعر، **فقال في قصيدة أنا الشوق:**

فَيَـــا ... يـــا ... يـــا حَبِيـــبَ اللهِ عُـــذرًا

إِذا قَـــــوْمِي تَنكَّبَـــــتِ الوِفاقَـــــا

لَقَـــدْ ظَنُّـــوا سَـــرَابَ الخُلْـــفِ مَـــاءً

يُعِيـــــدُ إِلـــــى تَفَرُّقِنـــــا اتِّفاقَـــــا

وَمَـــا قَطَـــعَ الحُســـامُ بِغَيْـــرِ ضَـــرْبٍ

وإِنْ كانَـــــتْ مَضـــــارِبُهُ رِقَاقـــــا

ولا فَـــلَّ الحَديـــدَ سِـــوى حَدِيـــدٍ

يَصُـــبُّ عَلَـــى اللَّظَـــى لَهَبًـــا مُرَاقـــا[3].

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص104.

(2) يا ظلام السجن خيّم، مدونات الجزيرة (موقع إلكتروني).

(3) طيور القدس، العتوم، ص33.

يتحدث الشاعر عن البطولة، وأن مواجهة الأعداء بالسيف، وبكل القوة، حتى أن كانت هذه القوة لا تعادل قوة الأعداء، فيجب أن يكونوا أقوياء في مواجهة الأعداء، لكي يستطيعوا مواجهتهم، وأن يكونوا كالنار في مواجهة بركانهم، وقسوتهم، فقد اقتبس الشاعر هذا من المثل القائل (الحديد بالحديد يِفْلَحْ)[1].

وقال في قصيدة **حبيبي يا رسول الله:**

لَـــوْ كَـــانَ فـــي العُـــرْبِ وَالإِسْـــلامِ (مُعْتَصِـــمٌ)
أَوِ (الرَّشِـــيْدُ) لَكَـــانَ السَّـــيْفُ مُخْزِيْهَـــا
لَكِنَّنَـــــا مِـــــزَقٌ عَاشَـــــتْ مُمَزَّقَـــــةً
وَأُمَّـــــةٌ تَرَكَـــــتْ آثَـــــارَ هَادِيْهَـــــا
وَأُمَّـــــةٌ أَطْلَقَـــــتْ حُكَّامُهَـــــا يَـــــدَها
فـــي أَرْضِـــهَا فَهْـــيَ: (حَامِيْهَـــا حَرَامِيْهَـــا)[2]

يصور الشاعر هنا حال الأمة الإسلامية والعربية بعد عهد الرسول –ﷺ– فيشخص الأمة بالفتاة التي تكبل يديها قوانين أمريكا التي تدّعي أنها عصفور سلام ، فترتدي هذه الأمة ثوبًا مثقوبًا فكل قطعة من هذا الثوب في مكان مختلف يحتاج إلى من يعيد حياكته، وأعادته كما كان، ولكن هذا لم يحصل طالما أنها ابتعدت عن أخلاق رسول الله –ﷺ– مستعينًا هنا في المثل القائل: (حاميها حراميها) الذي يُقال لمن توضع فيه الثقة، لكنه يخون هذه الثقة فيتصرف كما تتطلب مصلحته[3]

هكذا كان العتوم غارفًا من بحر الأدب، ما يجود به قلمه، ويزين به كلماته، من عصور مختلفة وأغراض مختلفة، فقد لجأ إلى قصص الحب عند الشعراء المشهورة كعنترة وعبلة وقيس وليلى وغيرهم، ولجأ إلى الشعراء الذين نذروا أشعارهم في خدمة وطنهم؛ لتكون سيفًا في وجه الطاغي كالشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود، ولجأ إلى الذين مدحوا الرسول– ﷺ– مثل البوصيري، وهكذا يؤكد مدى اطلاع الشاعر وحبه للغة العربية وآدابها سواء شعر أو أساطير أو حتى الأمثال الشعبية.

---

(1) مجمع الأمثال العربية، لوباني، ص299.
(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص17.
(3) موسوعة الأمثال الشعبية، زيادنة، ص 142.

3 -الموروث التاريخي:

إن الشعر كما قيل ديوان العرب، ينقل من خلاله الشاعر أحداثًا تاريخية، موثقة في صورة شعرية جميلة، أو يذكر المتلقي بشخصيات تاريخية وبما قامت به من بطولات وأمجاد.

إن الموروث التاريخي يأتي أساسًا يعتمد عليه الشاعر بعد الموروث الديني، حتى وإن كانت هناك صعوبة في الفصل بين الموروثين، وهو كل ما يتعلق بالشخصيات التراثية والأحداث التاريخية[1] فالتاريخ بأحداثه وشخصياته ليست مجرد ظاهرة كونية لها وقت محدد وتنتهي، فإن لها دلالة قابلة للتجديد، فهناك شخصيات قيادية بقيت خالدة وإن توفي هذا القائد، فتظهر هذه الشخصيات خلال مواقف وأحداث جديدة، يستعملها الشاعر المعاصر للتعبير عن بعض من جوانب تجربته، ليضيف على هذه التجربة بعدًا تاريخيًا، يعطي الصورة عراقة وأصالة، فيختار الشاعر من هذه الشخصيات ما يوافق الذي يريد أن ينقله إلى المتلقي[2].

فالعتوم يعدُّ شاعرًا من الذين كان لهم صوت سياسي يرفض به كل سياسيات الذل التي تتعرض لها البلاد العربية، فقد لجأ إلى ذكر البلاد التي خضعت للحروب، مسجلًا آثار هذه الحروب، فقد تحدث عن فلسطين والقدس والمسجد الأقصى وغزة، وتحدث عن مصر وثوراتها، والعراق، ولبنان، وسوريا، وفيما يلي نماذج شعرية تؤكد هذا.

ويقول عن العراق في قصيدة **العراق الحر**:

آهِ يَـــا بَغْـــدَادُ مَـــا السِّـــرُّ الـــذي
يَجْعَـــلُ الأَرْضَ مِـــنَ الطَّـــاغُوْتِ أَكْبَـــرْ؟!
كُلَّمـــا هُـــمْ حَرَّقُوهـــا بِالصَّـــوَارِيْخِ
وَبِـــالنِّيْرَانِ وَ(النَّـــابُلْمِ) تَخْضَـــرْ[3]
يَـــا بِـــلادَ الحُـــزْنِ وَالجُـــوْعِ
وَقَامَـــاتِ المَآسِـــي وَالفَجِيعِـــيّ (المُفَلْتَـــرْ)

مـــا الـــذي حَقَّـــاً تَبَقّـــى؟ مَـــنْ سَيَشْـــقَى...

(1) انظر: البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر (دراسة فنية موضوعية) الأغا، ص45.
(2) انظر: زيد العشري، ص120.
(3) نوع من القنابل الحارقة، مصنوعة من مادة النابلم المصنوعة من وقود تم اختراعه في جامعة هارفرد في عام 1942، (النابلم، القاتل الحارق، منتدى الجيش العربي)

مَــنْ سَــيَبْقَى... مَــنْ سَــيَرْقَى... مَــنْ يُــؤَمَّرْ؟!

كَـــــرْبَلاءُ اليَـــــوْمَ لَيْسَـــــتْ وَحْـــــدَهَا

كُـــلُّ شِـــبْرٍ فـــي بِـــلادِي صَـــارَ يُنْحَـــرْ

قُـــلْ لِمَـــنْ بَـــاعَ بِـــلادِيْ فـــي مـــزادٍ

قُـــلْ لِمَـــنْ سُـــيِّدَ فيهـــا وَتَنَمَّـــرْ

(التَّمَاثِيْـــــلُ) التـــــي تَصْـــــنَعُهَا

كَـــفُّ (أَمْرِيْكَـــا) عَلَيْهَـــا سَـــتُدَمَّر

وَالبُطُـــــولاتُ لَهَـــــا أَفْـــــذَاذُهَا

وَالشَّـــــهَاداتُ لِشَـــــعْبٍ لَـــــمْ يُـــــزَوَّرْ

لَـــمْ يَبِـــعْ قُدْسِـــيَّةَ الجُـــرْحَ الحُسَـــيْنِيّ

وَيَوْمَـــــاً لِعَلِـــــيٍّ مَـــــا تَنَكَّـــــرْ

إِنَّهُـــــمْ فَجْـــــرُ الكَرَامَـــــاتِ وَنُـــــوْرٌ

فـــي دَيَـــاجِي البُـــؤْسِ وَالأَحْـــزَانِ نَـــوَّرْ[1]

يخاطب الشاعر هنا مدينة بغداد، متعجبًا رغم الأوضاع التي مرت بها في الحرب حيث الصواريخ و النابلم إلا إنها بقيت حديقة خضراء، محتفظة بجمالها فهي أكبر من كل ظالم وبالرغم من إنها بلاد الحزن والجوع والألم، وقد بلغت المآسي قاماتها فيها إلا أنها صامدة، ثم انتقل الشاعر إلى مدينة عراقية أخري (كربلاء) مصورًا كل شبر فيها بكبش يُنحر، ويدل هذا على فجاعة هذه الحرب والعدوان الأمريكي، ومشبهًا الذين تحالفوا على العراق والذين خضعوا لأمريكا بالتماثيل، التي سيأتي يوم من الأيام وتدمرها بيدها التي صنعتها بها، وأن المدافعين عن البلاد أصحاب البطولات التي شبهها الشاعر بالأم، وفي النهاية يذكر الشاعر شخصيات تاريخية، حين قال إن العراق لم تتخلَّ عن أصالتها ولن تنسى مقتل وجرح الحسين، الذي شبهه الشاعر بالشيء المادي الذي يُباع، ولم تنسَ علي بن أبي طالب، فالعراقيون هم فجر الكرامات والنور حين ينتشر ظلام الحزن.

وقال في القصيدة نفسها:

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 71-72.

وَطَنِـــــي يَـــــا مِزَعَـــــاً مَنْهُوْبَـــــةَ

وَأَبَـــــارِيْقَ مِـــــنَ الفُخّـــــارِ تُكْسَـــــرُ

ذِيْ فِلَسْـــــطِيْنُ اسْـــــتُبِيْحَتْ وَعِرَاقِـــــيْ

يَشْـــــرَبُ المَـــــوْتَ الصَّـــــلِيْبِيَّ المُـــــدَبَّرْ

سَـــــلَّمَتْ (لِيْبْيَـــــا) وَأَرْخَـــــتْ مُقْلَتَيْهَـــــا

وَتَمَنَّـــــتْ لَـــــوْ مِـــــنَ البَـــــاغِيْنَ تُعْـــــذَرْ

ضَـــــيَّعَتْ تَارِيْخَهَـــــا مِـــــنْ يَـــــوْمِ جَـــــاءَتْ

(بِكِتَـــــابٍ) لَـــــمْ يَكُـــــنْ يَوْمَـــــاً (بَأَخْضَـــــرْ)

(عُمَـــــرُ المُخْتَـــــارُ) يَبْكِـــــيْ سَـــــيْفَهُ

حِيْنَمَـــــا أَصْـــــبَحَ فـــــي كَـــــفِّ (مُعَمَّـــــرِ)

وَلِسُـــــوْرِيَّا وَلُبْنَـــــانِي وَسُـــــوْدَانِي

لِكُـــــلِّ العُـــــرْبِ تَوْقِيْـــــتٌ مُـــــدُوْرْ

يُنْهَـــــبُ الـــــزَّرْعُ إِذاَ لَـــــمْ تَحْمِـــــهِ

وَهْـــوَ سَـــهْلٌ حَطْمُـــهُ إِنْ لَـــمْ يُسَـــوَّرْ [1]

يصور الشاعر حال الوطن العربي بأجمع، وسيطرة أمريكا على حكامه، فأصبح الوطن وكأنه قطع ممزوعة، وأباريق فخارية كسرتها سطوة المحتل، ونوم الحكام، فيرجع الشاعر إلى احتلال فلسطين الذي ما زال إلى اليوم، والعراق الذي ما زال يذوق الموت، فقد شبه الشاعر الموت والعذاب الذي يذوقه الشعب العراقي بالشراب المر، المخطط والمدبر من قبل أمريكا، وكذلك ليبيا والقوانين التي وضعها الرئيس الليبي معمر القذافي، جعلت عمر الخطاب يبكي سيفه على ما أصابه، وفي النهاية يشبه الشاعر البلاد العربية كلها بالزرع إذا لم يسور سوف يستولي عليه الأعداء.

فقال مخاطبًا الرئيس الأمريكي السابق (بوش):

حَرْبُـــــكَ الشَّـــــعْوَاءُ لَيْسَـــــتْ بِجَدِيْـــــدٍ

إِنَّهَـــــا حَـــــرْبُ الصَّـــــلِيْبِيِّيْنَ فَـــــاجْهَرْ

إِنَّهَـــــا حَـــــرْبٌ ضَـــــرُوْسٌ وَبِـــــلادِي

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم ص74

لَحْمُهَـــا فـــي سُـــوْقِ نَخَّاسِـــيْكَ يُنْشَـــرْ

فَـــــانْهَشِ اللَّحْـــــمَ وَمَزِّقْـــــهُ وَجَهِّـــــزْهُ

لِجَـــيْشٍ يَشْـــتَهِي اللَّحْـــمَ (المُبَسْـــتَرْ)

وَانْهَـــبِ الأَوْطَـــانَ وَاسْـــتَعْمِرْ وَدَمِّـــرْ

وَتَجَـــوَّلْ فـــي بِـــلادِي وَتَبَخْتَـــرْ

إِنَّمَـــا أَنْـــتَ إِلَـــهٌ عِنْـــدَ قَـــوْمٍ

عَبَـــدُوا (بُسْـــطَارَ) أَمْرِيْكَـــا المُجَنْـــزَرْ

قَصْـــفُكَ الـــدَّامِي تَعَوَّدْنَـــا عَلَيْـــهِ

وَاتَّفَقْنَـــا أَنَّـــهُ أَمْـــرٌ مُبَـــرَّرْ!!

وَأَلِفْنَـــاهُ كَمَـــا لَـــوْ كَـــانَ (فِلْمَـــاً)

مَشْـــهَداً فـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ يَتَكَـــرَّرْ[1].

يذكر الشاعر أحداثًا تاريخية سابقة (حرب الصليبين) التي قارنها بحرب الرئيس الأمريكي (بوش) مع الشعب العراقي، فهي حرب طاحنة بأسنانها كل ما تجد أمامها، حيث يقتل وينهش من لحم الشعب العراقي، واصفًا الذل والهوان، وسيطرة أمريكا وكأنها إله عند المتخاذلين يعبدونه، ملتزمين بأوامره، وقصف الطائرات الذي شبهه بالفيلم المرعب الذي اعتاد على مشاهدته يوميًا.

وقال في قصيدة افدي بلاءك:

مَـــنْ لِـــي (بِعَمْـــرٍ) وَالكثيـــبُ يَضُـــمُّهُ

(والغَـــافِقِيَّ) و(طـــارِقِ بْـــنِ زيـــادِ)؟!

(وَابْـــنِ الوَلِيـــدِ) عَلَـــى ثَـــرَى صَـــحْرَائِنَا

وَكَذَاكَ(مُعْتَصِـــمٌ) عَلَـــى بَغْـــدَادِ

وَ(أَبـــي عَبَيْـــدَةَ) فـــي الشَّـــامِ يَهُـــزُّهُ

رُمْحَـــاً يُقَـــوِّضُ دُوْلَـــةَ الفُسَّـــادِ

(1) خذني إلى المسجد الاقصى، العتوم، ص 75-76.

وَنِـــــدَاءِ (سَـــــعْدٍ) فـــــي العِـــــراقِ وَجُنْـــــدُهُ

حتـــــفٌ يُجيـــــبُ الحَتْـــــفَ حِـــــينَ يُنـــــادي

نَقَشُـــــوا عَلَـــــى صَـــــدْرِ الزَّمـــــانِ خُلُـــــودَهُمْ

وَدِمَـــــاؤُهُمْ كَانَـــــتْ سُـــــيُولَ مِـــــدادِ[1].

يذكر الشاعر هنا مجموعة من الشخصيات التاريخية والقادة الأبطال الذين بذلوا دماؤهم وأرواحهم في الحروب، فذكر من قادة الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز) ثامن خلفاء الدولة الأموية الذي صور الشاعر التراب بالأم التي تضم روحه، وعبد الرحمن الغافقي، وطارق بن زياد، ويستمر الشاعر في ذكر الأبطال مثل (أبو عبيدة) الذي صور الشاعر رمحه بهزة أرضية تحركه لكي يلقيه في وجه الفساد، (سعد بن أبي وقاص) حين ينادي جنده، فشخص الموت وجعله إنسانًا ينادي بصوته لكي يقبل الجنود إليه بكل شجاعة، وجعل الموت يجيب ويرد على نفسه، فكل هذه الشخصيات العظيمة التي نقشت عزتها وكرامتها على صدر الزمن، وكانت دماؤهم كالسيول التي لا تتوقف.

ويستمر الشاعر في ذكر شخصيات تاريخية فقال في **العراق الحر**:

آهِ يَـــا (حَـــارِثُ) يَـــا (ضَـــارِيْ) وَيَـــا

(مُسْـــعِرَ الحَـــرْبِ)[2] وَيَـــا رَايَـــةَ جَعْفَـــرْ

اغْسِـــلُوْنَا مِـــنْ دُمَـــى الـــذُّلِّ جَمِيْعَـــاً

وَاقْبَلُوْنَـــا كَجُنُـــوْدٍ فـــي المُعَسْـــكَرْ

سَـــوْفَ تَحْكِـــي صَـــفْحَةُ التَّـــارِيْخِ عَـــنْكُمْ

حِيْنَمَـــا فـــي قَابِـــلِ الأَيَّـــامِ تُنْشَـــرْ

وَسَـــتَرْوِي : مَـــنْ تُـــرَى بَـــاعَ، وَمَـــنْ

خَـــانَ، وَمَـــنْ هَـــانَ، وَمَـــنْ لِلـــدَّمِ أَجَّـــرْ؟!

مَـــنْ عَلَـــى أَوْصَـــالِهِ شَـــدَّ وَمَـــنْ

---

(1) المرجع السابق، ص91.

(2) هو عُتبة بن أسيد بن جارية الثقفي (أبو بصير) رجل من قريش، (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي، ابن عبد البر، ج/3، 1035) عندما أسلم وخرج من قريش إلى الرسول ﷺ فبعثت قريش رجلين إلى الرسول تطلبه، إلتزامًا بصلح الحديبية، فرده الرسول معهما ، فقتل أحدهما بسيفه، وعاد إلى الرسول ﷺ فاطلق عليه الرسول لقب مُسعر الحرب (انظر: السيرة النبوية، ابن كثير، ج335/3.

لَحْمُـــــهُ فـــــي تُـــــرَبِ الأَرْضِ تَعَفَّـــــرْ

النِّهَايَـــــــــاتُ لِمَـــــــــنْ يَمْلِكُهَـــــــــا

وَالعِـــــرَاقُ الحُـــــرُّ لِلشَّـــــعْبِ المُحَـــــرَّرْ[1]

يخاطب الشاعر كل من يتصف بالشجاعة وينزع حقّه المسلوب بالقوة حتى لو سلّ سيفه من غمده، مستشهدًا ببعض الشخصيات التاريخية التي لها تاريخ مكتوب، فذكر مسعر الحرب وجعفر بن أبي طالب وغيرهم من الأبطال، فشجاعتهم التي ما زال التاريخ ينطق بها، وتتنشر قصصهم في كتاب التاريخ للأمم السابقة، وأبانوا من الذين باعوا وطنهم، ومن الذين اشتروا الوطن.

أما عن مصر فقال في قصيدة **صرخة في الوادي المقدس:**

يَـــا مِصْـــرُ يَـــا وَطَـــنَ التَّوَجُّـــعِ وَالتَّوَحُّـــدِ

وَالمُنْـــــــــى، وَالحُـــــــــبِّ، وَالأَحْبـــــــــابِ

إِنِّـــــي ادَّخَرْتُـــــكِ لِلعُرُوبَـــــةِ تَنْتَشِـــــي

بِـــــــــاللهِ وَالتَّـــــــــارِيْخِ وَالأَنْســـــــــابِ

مَـــــا شُـــــرِّفَتْ بِـــــكِ دُونَ (عَمْـــــرٍ) بُقْعَـــــةٌ

أَبَـــــداً، وَمَـــــا افْتَخَـــــرَتْ بِغَيْـــــرِ (كِتـــــابِ)

وَجُيُـــــوشُ فَـــــتْحٍ فَـــــوْقَ هَامَـــــاتِ العُـــــلا

نَزَعَـــــتْ مِـــــنَ الآفـــــاقِ كُـــــلَّ شِـــــهابِ[2].

يتحدث الشاعر عن فتح مصر عندما أرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، واصفًا هذه الجيوش بأنها قد اعتلت مشارف العلا، وانتزعت من المدى الشهب والأنوار، بما تحدثه من انتصار.

أما عن سوريا فيقول في قصيدة يا شام هذي مواقعها:

سُوريَّةَ المَجْدِ يا أُمّاهُ لا تَهِني

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص78-79.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 75-76.

ولا تُرِي لِقَطِيْعِ الحُكْمِ دامِعَها

قِفِي (مُعاوِيَةً) يَبْنِي بِها أَلَقًا

حَضارَةَ العِزِّ يَسْتَجْلِي بدائِعَه

وصافِحِي (خالِدًا) والسَّيْفُ في يَدِهِ

يَهْوِي عَلى رأسِ مَنْ باعُوا مَرابِعَها

وَرَكِّزِي (لِصلاحِ الدِّينِ) رايَتَهُ

وَهَيِّئِي لِخُيُولِ النَّصْرِ جامِعَها [1].

يخاطب الشاعر هنا سوريا، وكأنها أمه ويطلب منها أن تقف لكي تبني لمعاوية مجدًا وعزًا، حيث شبه الألق بالبناء الذي يُبنى، ويستمر بذكر شخصيات تاريخية قائدة في المعارك مثل خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي، الذي حرر القدس من أيدي الصليبين.

ثالثًا: مصادر الصورة الاجتماعية والإنسانية:

إن الشاعر صاحب الإحساس الرهيف، والخيال الساطع، هو ابن المجتمع، يتفاعل مع قضاياه، ويجب أن يعبر بحروفه الصاخبة عن همومه ومشاكله، يفجرها في وجه الظلم، ويجعلها شهدًا مذابًا إذا تحقق العدل. وتشكل الحياة الاجتماعية مصدرًا مهمًا من مصادر الصورة الشعرية عند الشعراء، فالشعر وثيقة اجتماعية وتاريخية، فالشاعر دائمًا يتفاعل مع ما يسود في قومه من قيم وأفكار[2].

فالشاعر العتوم كان يرفض الذل، وكانت كلماته شوكة في حلق الظلم، كان دائمًا يحث شعبه على النهوض والدفاع عن حقه، إذا وجده في غفلة من أمره، ولكنه ما كان إلا أن سُجن بسبب هذه الكلمات كما ذُكر في بداية هذه الدراسة، وسيكون هنا عرض لنماذج شعرية عن تجربته وإحساسه في السجن، ورفضه للظلم.

في إحساسه بهموم مجتمعه ووطنه فقال في قصيدة **أمر شخصي:**

وَطَنِي الأَكْبَرُ يَشْكُو لِي مِنْ شِدَّةِ مَغْصِ

(1) يا شامُ.. هَذِي مَواقِعُها، مدونات الجزيرة (موقع إلكتروني)

(2) مصادر الصورة الشعرية عند شعراء المدينة (قيس بن الخطيم نموذجًا) قندوز، ص217.

فَحَمَلْتُ الوَطَنَ عَلَى قَلْبِي

لأُعالِجَهُ فِي مَشْفَى التَّارِيْخِ

وَبَعْدَ الفَحْصِ

جَاءَ التَّقْرِيرُ الطِّبِّيُّ يَقُولُ...

بَأَنَّ الوَطَنَ يُعانِي مِنْ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ غَبِيًا[1].

فقد جعل هنا الوطن بما فيه من فساد إنسانًا يتألم ويشعر بالمغص لما يتناول من طعام فاسد، وجعل التاريخ مكان يعالج فيه من هذا المغص، ولكن هذا المشفى تغير ولم يعد أطباؤه أصحاب مهارة، ليعيدوا للوطن سلامته ما دامت الدول العربية تتصف بالغباء.

وقال في قصيدة بلادي سر مأساتي:

بِـــــلادِي سِـــــرُّ مَأْسَـــــاتِي وَشَـــــعْبِي

لَهِيْـــــبٌ مِـــــنْ جِرَاحِـــــي النَّازِفَـــــاتِ

وَلَـــــوْ أَفْـــــرَاحُ هَـــــذَا الكَـــــوْنِ صُـــــبَّتْ

عَلَـــــى قَلْبِـــــي لَمَـــــا بَرِئَـــــتْ أَسَـــــاتِي

أَنَـــــا جُـــــرْحُ المَلايِـــــيْنِ اسْـــــتَفَاقَتْ

لِتَخْـــــرُجَ مِـــــنْ شَـــــتَاتٍ فـــــي شَـــــتَاتِ[2].

يصور الشاعر هنا بلاده وشعبه هو سر حزنه، وجرحه وشعبه هو سبب هذا اللهيب والحزن، فهو لو اجتمعت جميع الأفراح لتدخل قلب الشاعر، لا يسمح لها بالدخول وفي شعبه مأساة وظلم، فهو يُحمل نفسه أحزان شعبه المشتت، فلأنه حمل هذا الجرح قد سجن، ويبين سبب سجنه قوله قصيدة **مشاعر في هوى الأردن:**

أَتَعْـــــرِفِيْنَ لِمَـــــاذَا صَـــــادَرُوا قَلَمِـــــي

مِـــــنْ غِمْـــــدِهِ وَاسْـــــتَبَاحُوا قَـــــصَّ جُنْحَـــــانِي؟!

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص71.

(2) المرجع السابق، ص74.

وَأَلْهَبُـــوا النَّـــارَ فـــي صَـــدْرِي فَصَـــيَّرَنِي

أَفِـــرُّ مِـــنْ بَـــرْدِ نِيْـــرَانٍ لِنِيْـــرَانِ

لأَنَّنِـــي عِشْـــتُ لا أَرْضَـــى بِطَاغِيَـــةٍ

وَلا أَذِلُّ لِسِمْسَـــــــــارٍ وَخَـــــــــوَّانِ

وَلَسْـــتُ أَقْبَـــلُ صَـــمْتَاً سَـــوْفَ يُنْقِـــذُنِي

مِـــنْ بَطْـــشِ مُنْـــتَقِمٍ، أَوْ ظُلْـــمِ سَـــجَّانِ[1].

يؤكد الشاعر هنا عن سبب سجنه؛ لأنه لا يرضى أن يباع الوطن، ويوقع على ذله ولأنه لا يقبل الصمت عن الحق، فلهذا صادروا سيفه (قلمه) وسلبوا حريته، ومنعوه من أن يطير في سماء الحرية.

وقال في قصيدة مقبرة الأحياء:

خَطِيْئَتِـــــي أَنَّ أَشْـــــعَارِي تُحـــــارِبُنِي

وَأَنَّ مِحْبَرَتِـــي بَحْـــرٌ مِـــنَ اللّهَـــبِ

وَأَنَّ مَجْـــرَى عُروقِـــي السُّـــمُّ يَمْلَؤُهـــا

وَلا تَمُـــرُّ بِغَيْـــرِ النّـــازِفِ السّـــرِبِ

وَأَنَّ تَحْـــتَ حُرُوفِـــي النَّـــارَ مُوقَـــدَةٌ

وَالَمْـــوتُ يَقْبـــعُ كَـــالمجْنُونِ فـــي أَدَبِـــي[2]

يؤكد الشاعر أيضًا سبب سجنه والخطيئة التي ارتكبها، هي محبرته التي تحرق بنارها وبالكلمات التي تُكتب بها كل طاغية، وأن حروفه تحتها نار موقدة، وأن الموت كالمجنون لا يفارق أدبه، فمهما كان شعره يعرضه للخطر، إلا أنه لا يرفض هذا الخطر.

فقد كان الشاعر رافضًا لما يحدث في شعبه وسياسة القرارات الظالمة، حيث قال في قصيدة **نبوءات الجائعين:**

سَتَمُرُّ أَعْوَامٌ كَأَعْوَامِ الرَّمَادَةِ في بِلادي

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص45.

(2) المرجع السابق، ص114.

لا شَيْءَ غَيْرَ الجُوعِ ... وَالفَحْشَاءِ ...

وَالأَحْزَابِ ... وَالفِرَقِ العَدِيْدَةْ

سَيَمُرُّ مَنْ أَكَلُوا التُّرَابَ عَلَى البَيَادِرِ

ثُمَّ يَبْتَدِئُونَ أُغْنِيَةَ الحَصِيْدَةْ:

نَحْنُ العَجِيْنَةُ لِلْحُكُومَاتِ الرَّشِيْدَةْ

وَسَيَهْتِفُونَ بِرُوحِ قَائِدِهِمْ وَأَيْدِيْهِ المَدِيْدَةْ

وَسَيَجْلِسُونَ عَلَى الحَدِيْدَةْ

وَسَيَهْتِفُونَ... وَيَهْتِفُونَ...

فَمَا أَجَادُوا غَيْرَ تَصْفِيْقٍ لأَصْحَابِ السَّعَادَاتِ السَّعِيْدَةْ

وَسَيَشْرَبُونَ دِمَاءَ عِزَّتِهِمْ

وَيَقْتَتِلُونَ مِنْ أَجْلِ الكَرَامَاتِ الفَقِيْدَةْ

وَتَنِزُّ مِنْ جُرْحِي عَلَى جُرْحِي إِلى جُرْحِي القَصِيْدَةْ

مِنْ أَيْنَ تَبْدَأُ في بِلادِ الخَوْفِ سَابِقَةٌ حَمِيْدَةْ

يا ثَوْرَةَ الجُوعِ المَجِيدَةْ

يا ثَوْرَةَ الشُّرَفاءِ لا... لا أَصْفِياءَ هُنا...

تَفَرَّقَ بَيْنَنَا لَحْمُ القَبائِلِ [1].

يتنبأ الشاعر هنا بحال بلاده وشعبه، والجوع والذل، والتفرق بين أبناء الشعب الواحد، نتيجة صمته، مصورًا الشعب وكأنه محصول زراعي في يد المتخاذلين، وكالعجينة يشكلونها حسب رغبتهم، إلا أن الشعب لم يجد غير التعبير عن الرضا، ويهتفون لأصحاب المقامات العالية، فعزتهم جرحت ونزفت ويشربون من دمائها، ويستمر الشاعر في محاولة استنهاض الهمم، والدفاع عن عزتهم وكرامتهم، وحقن دماء عزتهم المهدورة.

(1) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص 20-21.

هكذا كانت التجربة الانسانية أي تجربة السجن، والظروف السياسية التي تمر بها بلاده عاملًا أسهم في تكوين الصورة الشعرية لديه.

الفصل الثالث:

مظاهر رسم الصورة الشعرية عند العتوم

الفصل الثالث:
مظاهر رسم الصورة الشعرية عند العتوم

أولًا: حركية الصورة:

يسعى الشاعر إلى أن تكون صوره مليئة بالحيوية ، وأن يضيف لها روح التجديد، ويحقق هذا باستخدام عنصر الحركة في النص، فهو من العناصر المهمة في التصوير عند الشاعر، فيظهر عبقريته في إبراز النشاط الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة[1] فكذلك يكون لها أثر كبير على المتلقي التي تجعله مندمجًا ومتابعًا للنص الشعري[2]، وتترك للشاعر آثارًا مشعة في تعبيره وصوره؛ لأنها تقوم على الحياة النامية العضوية وعلاقاتها العديدة المتشابكة[3] وتعطي الموصوف الحياة[4] فالحركة تضيف للنص جمالًا، بأن يجعل الشاعر الأشياء الجامدة متحركة ليقرب للمتلقي ما يريد، وتجعل النص غير جامد، وتقتل الملل والسكون.

إن أبرز الوسائل التي يستخدمها الشاعر لإبراز عنصر الحركة هي ألفاظ الأفعال ونحوها[5] فالصورة الحركية تشمل المشي والركوب، والأكل والكتابة، والأشياء التي تحتاج إلى المقاومة كالقبض والجلوس والوقوف [6].

أما عن نماذجها عند العتوم فقال في قصيدة أيا أمي:

أَيَا أُمّي ....

هُنا كانَتْ حَكاياكِ الّتي قَدْ ذَوَّبَتْ قَلْبِي بِما فِيْهِ

هُنا طَيْفٌ مِنَ الأَحْلامِ، رُغْمَ البُعْدِ يا أُمّي

أُناجِيْهِ

---

(1) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، خضر، ص 188–189.

(2) التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، صيام، ص164.

(3) الصورة الشعرية عند المعتمد بن العباد، أقدح، ص56.

(4) الصورة في العربي المعاصر في اليمن 1980–1995، ص 81.

(5) الصورة البصرية في شعر العميان دراسة نقدية في الخيال والإبداع، الفيفي، ص18.

(6) انظر: في النقد الحديث، عبد الرحمن، ص 67.

كأنَّ الرُّوحَ ما زالتْ هُنا في البَيْتِ طَائِرَةً

تُخَفِّفُ ما أُلاقِيهِ

فَكَمْ قَلَّبْتُ في أَشواقِها عَيْنِي

وَكَمْ قَتَّلْتُ في أَفْراحِها حُزْني

وَكَمْ قَدْ قَاسَمَتْنِي ما أُعانِيْهِ

أَيا أُمِّي ...

أَيَكْفِي الدَّمْعُ أَنْ يَجْرِي ؟!

وماذا تُخْبِرُ الدَّمْعاتُ عَنْ حِسِّي ...

وماذا تَحْمِلُ اللَّوْعاتُ مِنْ بُؤسِي ...

وَهَلْ تُبقِي عَذاباتي على نَفْسِي؟[1].

يصور الشاعر هنا مدى شوقه لأمه، معبرًا عن هذا ما يثير الحركة في الجمادات، فقد جعل الحكايات والقصص التي كانت تقصها له قد ذوبت قلبه، فيدل على حنينه لأيام الطفولة، ثم المناجاة بينه وبين الأحلام، فجعل روح أمه التي لا تفارقه كأنها طائر يرفرف حوله ويخفف عنه ما يعانيه، ثم يستمر الشاعر في ذكر ذكرياته مع أمه، بأن جعل الأشواق كالشيء المادي الذي يمكن تحريكه، وجعل الحزن مقتولًا، ثم يتحسر الشاعر على فقده لأمه والحزن الذي حلّ عليه، فقد جعل الدمع يجري، والدمعات تنطق بمشاعره وشوقه لأمه، وتحمل حنينه لذكرياته معها، وتحمل حزنه الشديد على فراقها.

هكذا استخدم الشاعر هنا في تعبيره عن حنينه لأمه بعض الكلمات التي تدل على الحركة مثل (ذوبت، أناجيه، قبلت، قتلت، قاسمتني، يجري، يخبر، تحمل) فحنينه لأمه لا يقبل السكون، لذلك فمشاعره المتحركة جعلته يستخدم ألفاظًا تدل على الحركة، **فقال في قصيدة نصفان:.**

وماذا تُرَجِّي...؟!!

تَمُوتُ وَحِيدًا...

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 38-39.

وتَقْتُلُ نَفْسَكَ فِي اليَومِ تِسعينَ مَرّةْ

تدوسُ على جَرْحِكَ الذَّهَبِيّ

وَتَشْرَبُ مُرَّةْ

وتدعو لهُ بِالفناءِ... وَكالبُرْعُمِ الأزليّ

يُقاوِمُ... يَصْحُو... وَيَنْمُو...

ويكبُرُ مليونَ طَعْنَةِ زَهْرَةْ

تُقاتِلُهُ ثُمَّ تَبكِي عَلَيْهِ... وَتَرْثِيه...

نَفْسَكَ تَرْثِي...؟!!

وَبَعْضُكَ يَحْفِرُ قَبْرَهْ

وَمَنْ سَيُقِيْمُ مَراسِيْمَ دَفْنِكَ...؟!غَيْرُكَ

مّنْ سيغنّي حروفكَ بَعدَكَ...غيرُكَ[1]

يصور الشاعر نفسه المليئة بالحزن الذي جعله ينقسم إلى قسمين، قسم بجسده الذي ما زال يوحي بالحياة، وقسم بنفسه وروحه وهو القسم الداخلي الذي لا ينبض بالحياة، فكأنه قابع في القبر، فالأحزان التي يعيشها تجعله يموت بدون أن يشعر به أحد، ثم يجعل هذه الأحزان والجراح كأنها شيء ملموس يدوس عليه لكي يستطيع البقاء، مشبهًا هذا الجرح بالشيء الغالي الذي لا يمكن أن يُستغل بسهولة، فقد وصفه بالذهبي، بالرغم من وصفه له بالشراب المر أيضًا ووصفه كذلك بالبرعم الذي لا يزال ينمو، ثم يشخص الشاعر هذا الجرج ويجعله إنسانًا يقاتله ويقاومه فيبكي عليه، ويجعل الشاعر بعضه القوي الخارجي يدفن بعضه الآخر الداخلي الذي يتظاهر بالقوة، في الوقت الذي لا أحد مما حوله يشعر بموته الداخلي ويدفنه.

فقد لجأ الشاعر إلى استخدام الأفعال المضارعة (تموت، تقتل، تدوس، تشرب، تدعو، يقاوم، يصحو، ينمو، يكبر، تقاتله، تبكي، ترثيه، ترثي، يحفر، سيقيم، سيغني) ليدل على أن هذه الجرح الذي ولد كالبرعم ما زال مستمرًا ينمو ويكبر. وفي القصيدة نفسها يقول:

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص6-7.

وَيَسْمَعُ نِصْفِي نِصْفَهْ

وَأُغْلِقُ بَعْدَهُما

أُذُنَيَّ

أُمَزّقُ أوتارَ قَلْبي... وَأُطْعِمه لِلحَنينِ...

وَأَشْرَبُ خَوْفَهْ

وَأَرْكُلُهُ في التُّرابِ...!!!

يَدايَ مِنَ البُؤسِ تَرْتَجِفَانِ... (1)

يكمل الشاعر هنا ويخاطب نصفه الآخر الداخلي الذي دُفن، فحين الدفن يسمعه ولا يرد عليه، فقد قطع من قلبه كل الحنين، حتى الخوف أصبح شرابًا يشربه، ثم يقذف نصفه في التراب بدون مبالاة، فيستمر الشاعر في استخدام الأفعال المضارعة (يسمع، أغلق، أمزق، أطعمه، أركله، ترتجفان).

فقال في قصيدة أنا الغريب:

أُحـــارِبُ الحُـــزْنَ وَحْـــدِي جَـــاعِلاً أَلَمِـــي

شَـــهْدًا، وَنـــارَ صَـــباباتِي كَأَنْســـامِ!

فَكَيْـــفَ يَسْـــكُبُ شِـــعْرِي فَـــيْضَ عَـــاطِفَتِي

وَكَيْـــفَ تَرْسُـــمُ جُـــرْحَ القَلْـــبِ أَقْلامِـــي؟!

غَرِيْبَـــةٌ كُـــلُّ أَفكـــارِي، وَلا أَحَـــدٌ

مِـــنْهُمْ يَـــرَى الشِّـــعْرَ غَيْـــرِي بَعْـــضَ آثـــامِي

تَسَـــلَّلَ الغَيْـــبُ فِـــي عُمْقِـــي فبَعْثَرَنـــي

إِلـــى شَـــظايا، وَأَصْـــداءٍ، وَأَنْغـــامِ

كَأَنَّمـــا الحَـــرْفُ مَنقُـــوشٌ عَلَـــى كَفَنِـــي

ورابِـــضٌ عِنْـــدَ بـــابِ المَـــوْتِ قُـــدَّامِي

وَكُـــلُّ جُـــرْحٍ بِقَلْبـــي رُحـــتُ أُنْشِـــدُهُ

كَعَـــازِفٍ فِـــي صَـــحَارَى اللَّيْـــلِ هَـــوَّامِ

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص8.

فَكَيْـــــفَ أَقْتُـــــلُ يَأْسِـــــي أَوْ أُرَاوِغُـــــهُ

مَـــا دَامَ يَسْـــكُنُ فـــي رُوْحِـــي وَأَحْلامِـــي؟![1]

يستمر الشاعر هنا في تصوير حالة الحزن التي أصبحت كخياله لا يفارقه، حيث جعله كالعدو الذي يواجهه ويحاربه، حتى يجعله كالشهد، ثم يتعجب الشاعر من الشعر الذي يكتبه كيف يولد العاطفة لديه، فجعل جرح القلب كأنه لوحة فنية ترسمها الأقلام، وترسمها الكلمات التي تُعبر عما بداخله، التي يرى البعض أنها إثم كبير يرتكبه، ثم يبين الشاعر أن الخوف من المستقبل والأشياء التي تنتظره، والتي تتسلل إلى نفسه كاللص تبعثره وتجعله متشتتًا، فهو رغم الأذى الذي يتعرض له بسبب شعره إلا أنه سيجعل الحرف منقوشًا على كفنه، يواجه الموت ويقف على بابه، وسيجعل هذا الجرح نشيدًا ينشده مهما كانت الظروف.

فَمِنْ الدوال التي استخدمها والتي أعطت هذه الأبيات مزيدًا من الحيوية، مثل الأفعال المضارعة (أحارب، يسكب، يرى، تسلل، أنشده، أقتل، أراوغه، يسكن) والفعل الماضي (بعثرني) والمشتقات مثل (رابض، كعازف، هوّام).

فقال في قصيدة أحرفي مخنوقة:

وُلِـــــدَ الهَـــــوَى فِيْنَـــــا بِـــــلا ميْعـــــاد

هَـــــلْ يُبْعَـــــثُ المِيْعـــــادُ فِـــــي المِـــــيْلادِ؟!

يَـــــا أَصْـــــدِقاءَ السّـــــجْنِ يَـــــا قَلْبِـــــي إذا

أَنْشَـــــدْتُ طَـــــارَ القَلْـــــبُ مِـــــنْ إنْشـــــادِي

نُكِئَـــــتْ جِراحِـــــي فَاسْـــــتَفَاضَ نَزِيْفُهـــــا

وَلَقَـــــدْ يَظَـــــلُّ الجُـــــرْحُ دُوْنَ ضِـــــمادِ

فَتَرَفَّقُـــــوا بِمُعَـــــذَّبٍ فِـــــيْكُمْ فَقَـــــدْ

أَعْطَيْـــــتُكُمْ مَـــــا سَـــــالَ مِـــــنْ أَوْرَادِي[2].

يخاطب الشاعر هنا أصدقاء السجن، مصورًا حالة الحزن التي لا تفارقه، فحبه لهم الذي ولد بدون ميعاد، مستخدمًا الأفعال لتعطي الصورة حركة وتجعل الجماد يتحرك، ففي قوله (إذا أنشدت طار القلب) حيث جعل قلبه طائرًا له جناحان يطير بهما، فقد استخدم (طار) مع

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص11.

(2) المرجع السابق، ص 56.

(السجن) ليدل على شوقه لكي يصبح حرًا، لكن حزنه وآلامه تظهر بين الحين والآخر، فهو لا يُشفى منها، فاستخدامه الأفعال الماضية (نكئت جراحي، واستفاض نزيفها) يدل على أن السجن والوحدة نبشت الجراحات الماضية التي لا ضماد لها، ومما يدل على الحركة كذلك قوله (أعطيتكم ما سال من أورادي) ليدل على حبه لأصدقاء السجن وأنه يقدم كل شيء من أجلهم.

فقال في قصيدة روحي لأجلك:

أَنَـــا يَـــا بِـــلادِي مَـــا ابْتَـــدَا شِـــعْرِي وَلَـــمْ
أَنْفُـــضْ غُبَـــارَ الصَّـــمْتِ عَـــنْ أَجْفَـــانِي
سَـــــأُفَجّرُ الكَلِمَـــــاتِ حَتَّـــــى تَغْتَـــــدِي
لُغْمًـــــا يُمَـــــزّقُ دَوْلَـــــةَ الإِذْعَـــــانِ
أَنَـــا يَـــا بِـــلادِي مِنْـــكِ نَـــبْضُ خَوَافِـــقٍ
وَمَشَـــــاعِرٌ هَـــــزَّتْ جُنُـــــونَ كِيَـــــانِي
فَـــإِذَا وَقَفْـــتُ دَمِـــي عَلَيْـــكِ فَلَـــمْ أَجِـــدْ
إِلاَّ الحُـــــرُوفَ أَلُوكُهَـــــا بِلِسَـــــانِي
فَتَعَـــــذَّرِي عَنِّـــــي فَلَـــــيْس يَسُـــــرُّنِي
أَنْ تَفْتَـــــدِيْكِ وَحِيْـــــدَةً أَوْزَانِـــــي
رُوْحِـــــي لأَجْلِـــــكِ. وَالمُنَـــــى أَنْ تَقْبَلِـــــي
فِـــــي طُهْـــــرِ تُرْبِـــــكِ مَـــــرَّةً أَكْفَـــــانِي[1]

يصور الشاعر هنا مدى ارتباطه ببلاده، وأنه كله فداء من أجلها، حتى كتابته للشعر وحروفه وأوزانه لأجلها، فقد استخدم الشاعر الأفعال التي تدل على الحركة (سأفجر الكلمات، لغمًا يمزق، مشاعر هزت، إلا الحروف ألوكها، تفتديك وحيدة أوزاني) وكذلك (نبض خوافق) وبما فيها من مشاعر نابضة بحبه لبلاده، وسلاحه الوحيد ضد من باعوا الوطن هو الشعر وحروفه التي يكتبها من أجل الوطن، فقد جعل هذه الحروف الشيء المعنوي بالطعام الذي يمضغه ليسهل هضمه.

فقال في قصيدة لا تعذليني:

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 95.

أَبْكِـــي وَحِيْـــدًا إِذَا أَبْكِـــي عَلَـــى ثِقَـــةٍ

أَلاَّ تُشَـــارِكَنِي فـــي دَمْعَتِـــي السُّـــحُبُ

يَشْـــكُو لِـــيَ الشِّـــعْرُ فِـــي أَحْشَـــائِهِ وَجَعًـــا

وَكَـــمْ بِأَوْجَاعِـــه يَحْلُـــو لِـــيَ اللَّعِـــبُ[1]

يستمر الشاعر في حالة الحزن التي لا تفارقه، مستخدمًا الأفعال المضارعة التي تفيد الاستمرارية، (أبكي وحيدًا، ألا تشاركني، يشكو لي الشعر، يحلو لي اللعب) فقد جعل السحب تشاركه الدمع، وشخص الشعر وكأنه إنسان موجوع، لا ينطق إلا بالوجع والحزن، فقد أصبح بارعًا في التعبير عن هذا الحزن والوحدة.

فقال في قصيدة دفاتر الحب:

أَيَـــا زَمَنًـــا لَـــوْ أَنَّـــه عَـــادَ مَـــا انْقَضَـــى

وَيَـــا خَافِقًـــا لَـــوْ زَارَنِـــي مَـــا تَحَيَّـــرَا

مَـــلْأتُ بِـــأَغْلَى الحُـــبِّ أَحْلَـــى دَفـــاتِرِي

إِلَـــى أَنْ جَعَلْـــتُ القَلْـــبَ لِلْحُـــبِّ دَفْتَـــرَا

وَمَزَّقْتُهـــا بَعْـــدَ الفِـــراقِ جَمِيْعَهَـــا

وَقَلْبِـــي مِـــنَ العِشْـــقِ الفَظِيْـــعِ تَفَطَّـــرَا

أُلَمِلِـــمُ أَشْـــلائِي وَأَجْمَـــعُ أَضْـــلُعِي

وَمـــا مِـــنْ زُجـــاجٍ صَـــالحًا إِنْ تَكَسَّـــرَا

يَقُولُـــونَ لِـــي يَـــا مَـــنْ تَغَيَّـــرْتَ بَعْـــدَها

وَأَعْجَـــبُ هَـــلْ فِيْنَـــا الَّـــذِي مَـــا تَغَيّـــرَا

وَلَسْـــتُ عَلَـــى مَـــا كَـــانَ فِـــي القَلْـــبِ نَادِمًـــا

وَلَكِنَّنِـــي أَوْرَدْتُـــهُ المَـــوْتَ مُبْصِـــرَا

وَأَصْـــدَقُ مَـــا فِـــي الحُـــبِّ مَـــاذ كَـــانَ خَافِيًـــا

وَأَعْذَبُـــهُ مَـــا بِالسَّـــرِيْرَةِ أُظْهِـــرا

وَأَمْشِـــي عَلَـــى جَمْـــرِ الأَحِبَّـــةِ صَـــابِرًا

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 78.

وَلَـــوْ أَنَّـــهُ فِـــي غَيْـــرِهِمْ مَـــا تَصَـــبَّرَا

أيـــا وَطَنِـــي مَـــا ضِـــقْتُ ذَرْعـــاً بِقـــاتِلِي

ولا بِعْـــتُ أَحْبـــابِي لَمِـــنْ بـــاعَ وَاشْـــتَرَى

أَتُنْكِـــرُ مَـــنْ يَقْضِـــي بِحُبّـــكَ وَاضِـــحًا

وَتَعْـــرِفُ مَـــنْ قَـــدْ لِلجَمِيْـــلِ تَنَكَّـــرًا[1].

يستخدم الشاعر هنا الأفعال الماضية (لو عاد ما انقضى، لو زاني ما تحيرا، ملأت بأغلى الحب، جعلت القلب المحب دفترًا، مزقتها بعد الفراق، قلبي تقطرًا، أوردته الموت، ما ضقت ذرعاً، ولا بعت أحبابي) وكذلك الأفعال المضارعة ليدل على أنه ما زال يحصد عذابه عند فراق الأحباب (ألمم أشلائي، أجمع أضلعي، يقولون لي، أمشي على جمر الأحبة، أتنكر من يقضي، وتعرف من للجميل تنكرًا) فقد جعل الشاعر قلبه المفعم بالحب دفترًا يكتب فيه أجمل الذكريات، ويمزق هذا الدفتر عند الفراق، ثم يتصدع قلبه وينشق من هذا الفراق، ولكنه يجمع ما تبعثر منه، مشبهًا نفسه بالزجاج الصالح الذي لا ينكسر بسهولة، ثم يسقي قلبه المعذب الموت وهو واعيًا، ويصبر على عذاب الفراق، الذي جعله جمرًا يمشي عليه فلو كان هذا العذاب من غيرهم لما كان صبورًا عليه.

هكذا يوضح الشاعر فراق الأحبة بصور حركية، ما بين الأفعال الماضية والمضارعة، فإن وجود الفعل في الصورة يعطيها الحركة التي تبث الحياة فيها[2]

فقال في قصيدة يا ليلة العيد:

يـــا لَيْلَـــةَ العيْـــدِ، لا صُـــبْحٌ بِأُغْنِيَـــةٍ

قَـــدْ أَسْـــفَرَ الطَّيْـــرُ فِيـــهِ عَـــنْ مُوافـــاتِي

مُشَـــتَّتٌ فِـــي مَهـــاوي الـــرِّيْحِ تَنْثُرُنـــي

فَمَـــنْ تُلَمْلِـــمُ بَعْـــدِ الـــرّيحِ أَشْـــتاتِي؟!

أَبَعْـــدَ أُمّـــي –وَلَـــمْ أَسْـــعَدْ بِرُؤْيتِهـــا

مُنْـــذُ اعْتقِلْـــتُ– أُرانِـــي بِابْتســـاماتِي

أُحِبّهـــا وَهْـــي تَـــدْري كَـــمْ أُقَدّسُـــها

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 119–120.

(2) الصورة الشعرية عند خليل حاوى، بيطار، ص 125.

وَكَـــــمْ تُعـــــانِي مـــــن مُعانِـــــاتي

بَـــذَلْتُ عُمْـــرِي لَهـــا فَـــدْوَى لَمِوْطِئِهـــا

إنْ كـــانَ يَغْفِـــرُ هـــذا بَعْـــضَ زَلاّتِـــي[1].

يخاطب الشاعر هنا ليلة العيد، التي جعلها كإنسان يتحدث معه، فالصبح والسعادة لا مساحة لهما في قلبه وهو في السجن، فالطير قد أظهر ما يجول في خاطره من أحزان، فهو متشتت ومتبعثر في الوحدة والشوق لأمه وللحرية، فلا يجد أحدًا يخفف عنه هذا الحيرة إلا أمّه، الذي بذل عمره من أجلها، فمن الكلمات التي تدل على الحركة في هذا الأبيات، التي تدل على آلامه وهو في السجن (مشتت، تنثرني، تلملم).

فقال في قصيدة أنْفقْتُ عُمْري فِي هواكِ:

يـــا مـــوطني... يـــا مـــوطني.. يـــا مـــوطني

شَـــجَنٌ علـــى شَـــجَنٍ علـــى أَشْـــجّانِ

(إنّـــــي أُحِبّـــــكَ) كلّمـــــا ردّدْتُهـــــا

جَـــرَتِ الحـــروفُ نَدِيّـــةً بِلِسَـــاني

قبّلْـــتُ وجهـــكَ يـــا طهـــورَ ترابِـــهِ

وَضَـــمَمْتُه كالعاشـــق الولهـــانِ

وَفَـــدّيْتُ أُرْدُنَّ الهـــوى وَهَوَيْتُـــهُ

حَتّـــى هَـــوَى الأُرْدُنّ قَـــدْ أَرْدَانِـــي[2].

يعبر الشاعر هنا عن حبّه لوطنه، فقد جعل الحروف حين يقول (إني أحبك) تجرى بسهولة وكأنها شيء رطب، لا يتعذب الشاعر بنطقها مهما كانت الظروف، فهو ينطقها في كل مكان وزمان، ثم يشخص الشاعر الوطن، ويُقبل وجهه ويضمه إذا جارَ عليه الأعداء، ويفديه بكل ما يملك.

فقال في قصيدة **غياب العودة:**

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص108-109.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص98-99.

قَـــــدْ كَـــــانَ حُزْنِـــــيَ أَطْفَـــــالاً أُدَلِّلُهَـــــا

وَاليَـــــوْمَ صَـــــارَ عَجُـــــوزًا هَـــــدَّهُ الكِبَـــــرُ

إِنِّـــــي ذُبِحْـــــتُ عَلَـــــى سِـــــكِّيْنِ عَـــــاطِفَتِي

فَسَـــــمِّنِي أَنَّنِـــــي بِـــــالْحُزنِ أَنتَحِـــــرُ

مَـــا عُـــدْتُ لا،لا... وَهَـــلْ قَـــدْ عَـــادَ مُبْتَـــئِسٌ

مِـــنْ سِـــجْنِهِ ، لِيَـــرَى شَـــعْبًا بِـــهِ قُبِـــرُوا؟!

سِـــــجْنٌ لِسِـــــجْنٍ إِلـــــى سِـــــجْنٍ وَمَحْكَمَـــــةٌ

لَمِحْكَمَـــــاتٍ عَلَـــــى الأَرْبَـــــاضِ تَنْتَشِـــــرُ

فَلَيْتَنِـــــي لَـــــمْ أَكُـــــنْ، أَوْ لَـــــمْ أَعُـــــدْ أَبَـــــدًا

وَلَيْتَنِـــــي مِـــــتُّ مَعْـــــدُومًا بِـــــيَ الأَثَـــــرُ[1].

يصور الشاعر هنا أن حزنه الذي كان صغيرًا كأنه طفل مدلل، أصبح مع مرور الزمن كالعجوز، تظهر عليه علامات الكبر، وأن عاطفة الشاعر المتوهجة بالحزن كأنها سكين يُذبح بها، فقد قضي الشاعر مدة في السجن، وهو يتمنى أنه لم يخرج منه، لكي لا يرى الذل وهو مرسوم على وجه شعبه.

فاستخدم الشاعر الأفعال هنا سواء المضارعة (أدللها، أنتحر، ليرى، تنتشر، أكن، أعد) والأفعال الماضية (كان، صار، هدّه، ذُبحت، عدت، قُبروا). هكذا كانت الأبيات مليئة بعنصر الحركة.

وقال في قصيدة **حكاية الريح:**

لا شَيْءَ بَعْدَ اللَّيْلِ غَيْرِي

زَائِغَ النَّظَرَاتِ...

مَقْرُوحَ الجُفُونِ...

مُرَوَّعَ الأَعْماقِ...

مَقْتُولَ الجَوَابْ...

لا شَيْءَ غَيْرَ مَشاعِرٍ

---

(1) الزنابق، العتوم، ص98.

طُعِنَتْ بِأَنيابِ الذِّئاب

لا شَيْءَ غَيْرِي

ذَاهِلَ الكَلِماتِ في الجوْفِ اليَبابْ

والحُزْنُ يَنْخَرُ أَعْظُمِي نَخْرَ الأَسِنَّةِ والحِرابْ

يا رَبّ...

هَلْ أَلقى بِقُرْبٍ مِنْ رِحابِكَ

كُلَّما بَعُدَ الصِّحابْ؟!! [1].

يؤكد الشاعر على شدة حزنه باستخدام المشتقات (زائغ، مقروح، مروع، مقتول، زاهل) التي توحي بحالة التشتت والضياع حتى أنه لا أحد يساعده ويرد له جوابه، وكذلك استخدم الأفعال مثل الفعل المبني للمجهول (طُعنت) فقد جعل المشاعر كإنسان مقتول (بأنياب الذئاب) والتي هي كناية عن الأصدقاء الذين يتصفون بالغدر، وقد جاءت كلمة (الذئاب) مناسبة لما أراده الشاعر لما لهذا الحيوان من صفة الغدر، وغير هذا استخدم الفعل (ينخر) فقد شبه الحزن بالرصاص التي يخترق الجسد ويمزقه، لكن بعد هذا الحزن الشديد، لا ينسى الشاعر اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: دلالة الألوان:

يستخدم الشاعر عنصر اللون في صوره الشعرية ليزينها، سواء كان اللون للدلالة على حقيقة الشيء، أو لتقريب الصورة إلى المتلقي باستخدام دلالات لونية يقصد بها غرضًا آخر.

اللون هو:" طاقة مشعة لها طول موجي يختلف في تردده وتذبذبه من لون إلى آخر، وتقوم المستقبلات الضوئية إلى ألوان" [2] فيظهر اللون من خلال أشعة الضوء الأبيض الصادرة عن الشمس على شكل موجات متنوعة في الطول التي تستقبلها شبكية العين، وتحتوي على الألوان، فالضوء هو مصدر الألوان[3]، التي تتيح للنص الشعري جملة من الإيحاءات والرموز،

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 19-20.

(2) اللون ودلاته في القرآن الكريم، المرازقة، ص 11-12.

(3) طالو، اللون علمًا وعملًا ، طالو، ص5.

فتخرج دلالة اللون عما وضع له إلى دلالات أوسع، بتضمينها معاني ورؤى أعم من المعنى الوضعي[1].

كذلك اللون يثير للشاعر الذكريات مما يقوده إلى ابتكار رمز موائم لدلالات تلك الذكريات المتوهجة من اللون، فأصبح عضوًا فعالًا في وحدة النص وخاصة إذا شارك اللون عنصري الصوت والحركة[2].

فلكل لون دلالته الخاصة به، ولا تفهم هذه الدلالة بمنعزل عن فهم دلالة اللفظ على المعنى بالمطابقة وهي أن يكون اللفظ موضوعًا لذلك المعنى، أو التضمين بأن يكون المعنى جزءًا من المعنى الذي يطابقه اللفظ، أو الاستتباع أن يكون اللفظ دالًا بالمطابقة على المعنى وتابعًا له[3].

كذلك اللون فإنه يبهر النظر، ويوقظ إحساس الشاعر، فإما أن يكون مثيرًا للعاطفة أو مهدئًا للنفس[4].

أما عن مصادر اللون يكتسبها الشاعر من الطبيعة، فمن السماء والبحار، والصخور والرمال، والنباتات والطيور، والنجوم الكواكب[5] ، فيعكس الشاعر جمال ما يراه ويؤثر في تحريك إحساسه، ويساهم في زيادة ثورته الإبداعية، كذلك من الملاحظ أن تكون الظروف المحيطة بالشاعر وحالته النفسية لها دور كبير في استخدامه لعنصر اللون في النص الشعري

مما يجعله يرى اللون الأبيض ممزوجًا باللون الأسود، واللون الأخضر كأنه أصفر شاحب.

1- اللون الأحمر:

إن اللون الأحمر يدل على الثورة والتمرد والحياة الصاخبة[6]، والخطر، ويدل بعض الوقت على الجمال والخجل، لم يرد في القرآن الكريم إلا بمعناه الحقيقي، وفي الحديث ما يزيد

---

(1) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص16.

(2) المرجع السابق، ص27

(3) المرجع نفسه، ص15.

(4) اللون علمًا وعملًا، طالو، ص5.

(5) المرجع السابق، ص31.

(6) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص32)

عن خمسين مرة[1] فقد جاء هذا عند الشاعر، فهو غاضب متمرد على نوم الأمة العربية، وثائر على حكم ظالم يولد الذل.

قال في قصيدة نبوءات الجائعين:

هُمْ بَيَّعُوا أَوْطانَهُ وَمَرابِعَهْ

وَيُوَقِّعُونَ عَلَى انْتِهَاءِ المَوْقِعَهْ

وَسَيَقْرَعُونَ لِنَخْبِهِمْ حُمْرَ الكُؤُوسِ المُتْرَعَهْ

هُمْ ضِدَّهُ أَبَدَاً ...

وَأَكْثَرُ مَا يُعَذِّبُ أَنَّهُمْ حُسِبُوا مَعَهْ[2].

يصور الشاعر حال المتخاذلين والذين يبيعون الوطن لمصالحهم الشخصية، ويوقعون قرارات من أجل مصلحة أمريكا، الذين يتحالفون معها، فقد جعل الدماء التي تراق من أجل الوطن كأنها شراب في كؤوسهم، وهذا الشراب مصنوع من حقوق الشعب المسلوبة، وقد اختار الشاعر هنا اللون الأحمر كناية عن الدم وروح المواطن العربي الذي يخضع للذل، وكناية عن الروح النضالية والتمرد عند الشاعر على الظلم، وقد جاء استخدام الشاعر هنا لكلمة (المرتعة) فيها تحقيرًا لهؤلاء المتخاذلين وكأنهم ماشية ترتع.

وفي قصيدة قيدي من الصمت يقول:

وَفـــي فُـــؤَادِيَ جُـــرْحٌ مُنْـــذُ أَنْ نُكِئَـــتْ

عُرُوقُـــهُ الحُمْـــرُ فَيّـــاضٌ إِلـــى الأَبَـــدِ[3]

فقد شبه الشاعر هنا الجرح وكأنه شجر، وعروقه ذات اللون الأحمر على ليدل الغضب والنفير الدائم عند الشاعر، فالحزن عنده متنامي لا يتوقف عن حد.

قال في قصيدة يا ليلة العيد:

أَلَـــمْ يَـــزَلْ دامِيًـــا جُرْحِـــي بِأَنْـــدَلُسِ

وَلَـــمْ تَـــزَلْ فِـــي الصّـــحارَي الحُمْـــرِ ثَـــوْراتِي[1]

---

(1) الصورة البصرية في شعر العميان، الفيفي، ص 15.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص20-21.

(3) المرجع السابق، ص 97.

جاء هنا استخدام الشاعر اللون الأحمر مع الصحراء، مع أن اللون الذي يناسب الصحراء هو اللون الأصفر للجدب والقحط، فهو ما دام ثائرًا لذلك جاء استخدامه للون الأحمر ليدل على الغضب والتمرد.

قال في قصيدة زهرة في رياض المحبة:

سآتِيْكَ أَمْسَحُ عَنْ جَفْنِيَ المُتَقَرِّحِ

حُمْرَ دُمُوعِ

وَأُبْدِلُها فَرْحَةً وَابْتِسَامَا [2].

هذا الخطاب موجه إلى الشاعر في رسالة جاءته من المحبوبة، فقد استخدم هنا لونًا للدموع وهو اللون الأحمر، ليدل على الحزن الشديد، ولكنه استبدل هذه الأحزان إلى أفراح، والدموع إلى ابتسامات.

وقال كذلك في قصيدة لكِ الذكري:

وَكَـــمْ حَمَلَتْنِـــي نَحْـــوَ رُوحِـــكِ آهَـــةٌ

شَـــرِبْتُ بِهَـــا رَغْـــمَ الرَّجَـــا أَدْمُعًـــا حُمْـــرَا[3]

فقد شخص الشاعر هنا الآهات، فجعلها تحمل الشاعر وتوجهه إلى روح المحبوبة، وجعل الدموع شرابًا ذات اللون الأحمر، مصنوعًا من الأحزان والآلام.

وقال في قصيدة غياب العودة:

وَتَسْـــــبِقُ الدَّمْعَـــــةُ الْحَمْـــــرَاءُ مُرْجِعَتِـــــي

إِلَـــى الصِّـــبَا، وَيَظَـــلُّ الـــدَّمْعُ يَنْحَـــدِرُ[4]

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص110

(2) الزنابق، العتوم، ص 27.

(3) المرجع السابق، ص 84.

(4) الزنابق، العتوم، ص98.

ما زال هنا يصف الشاعر الدموع باللون الأحمر ليدل على غضبه وتمرده وحزنه، فجعل الدموع تسبقه حين يتذكر أيام البراءة، وقد جعل هذه الدموع وكأنها شلال يستمر انحدار الماء منه.

ويبقى الشاعر يصف الدمع وكأنه الغضب والثورة الداخلية، فقال في **قصيدة للقدس غنيت الحروف:**

ســـــأظلّ أَرْوِي قِصّـــــةَ المَجـــــدِ التّـــــي
صَـــــارَتْ إِلـــــى الإِهْمـــــال والنّســـــيانِ
بالصّـــــانِعينَ مِـــــنَ الهَزيمـــــةِ نَصْـــــرنا
والسَّـــــائِرينَ علـــــى هُـــــدى العُمْيـــــانِ
والغَارِســـــــينَ حِـــــــرابَهُمْ بِعُيونِنـــــــا
والشَّـــــاربينَ كُـــــؤوسَ دمـــــعٍ قـــــانِ
والرَّاقِصـــــينَ عَلـــــى الجِـــــراحِ وسَـــــمْعُهُمْ
أنغـــــامُ راقصَـــــةٍ وعَـــــزْفُ قِيـــــانِ
أنـــــا لســـــتُ أَنسَـــــى كيـــــفَ يُوصَـــــمُ ذُلُّنـــــا
عِـــــزّاً، وكـــــلُّ مقاتِـــــلٍ بِجَبَـــــانِ
الباصِـــــمِينَ لبَيْـــــعِ طُهْـــــرِ بِلادِنـــــا
فِـــــي الحَانَـــــةِ الحَمْـــــرَاءِ لليُهْـــــدانِ[1].

يصور الشاعر هنا البائعين للقدس الشريف، والذين كما وصفهم الشاعر بأنهم يوجهون ظلمهم نحو أبناء القدس، وينعمون بالعذاب والظلم الواقع على القدس، فقد شبه هذا الظلم ودماء الشهداء وكأنه الشراب التي يرتون به، ومرة أخرى يصوره وكأنه أنغام موسيقية يتراقصون عليها، فقد باع المتخاذلين ووقعوا على بيع القدس في الحانة المكان الذي لا يليق إلا بهم، وقد وصف هذا المكان وأضاف عليه عنصر اللون، وهو اللون الأحمر، الذي يمكن القول أنه يوحي بالخطر الذي يهدد القدس الشريف، ودماء أهل القدس الطاهرة، التي سوف تراق وتستباح.

(1) خذنا إلى المسجد الأقصى، ص60.

2- اللون الأسود:

إن للون الأسود دلالة تختلف حسب المكان والزمان، فاللون الأسود كان عند الفراعنة يوحي بالغدر، والريح السوداء عند مفسري الأحلام توحي بالهم والحزن، وفي جانب آخر تكون البقرة السوداء سنة مخصبة، ويكون السواد مع البياض رمزا للشباب والشيخوخة[1]، ومع هذا فيكون اللون الأسود بمعناه العام يدل على الحزن والظلام والخطيئة[2]، فقد أحب العرب هذا اللون ووصفوا به اليوم الشديد والقلب والوجد والحظ والدنيا، ورد في القرآن سبع مرات، وفي الحديث تجاوز وروده مائة مرة،[3]، وعلى الرغم من هذا فإن اللون الأسود أحيانًا يوحي بالجمال عند البعض فسواد الليل يوحي بالهدوء عندهم.

ومن نماذج هذا اللون عند الشاعر **فقال في قصيدة نبوءات الجائعين:**

يَا أَيُّهَا الجُلَسَاءُ في قَاعَاتِ قُرْطُبَةٍ وَرُومَا وَالخَلِيْجِ

وَدُوْرِ آخِرِ سَاعَةٍ في اللَّيْلِ

قَبْلَ الصّفْرِ مِنْ هَدْمِ القِلاعْ

سَأَقُولُ: لا تَقِفُوا اسْتَمِرُّوا في النّقَاشَاتِ المُفِيْدَةِ

وَاسْتَعِدُّوا لِلْقَنَابِلِ في بَيَانَاتٍ أُعِدَّتْ

قَبْلَ تَوْزِيْعِ النُّصُوصِ وَقَبْلَ تَفْرِيْخِ الخِدَاعْ

إِنَّا مَلَلْنَا الزَّيْتَ في كَاسَاتِكُمْ ...

وَالزَّيْفَ في أَفْوَاهِكُمْ ...

وَالأَسْوَدَ المَسْمُومَ في الوَرَقِ المُذَاعْ[4].

يخاطب الشاعر الوزراء والرؤساء الذين يعقدون الاجتماعات، ويوقعون القرارات فقط لهدم القلاع، وتفريخ الخداع الذي جعله كحيوان يهتمون به لكي ينمو ويتكاثر، وقد جعل الشاعر

---

(1) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص28.

(2) المرجع السابق، ص 32.

(3) المرجع نفسه: 31.

(4) نبوءات الجائعين، العتوم، ص26.

كذلك الزيف والذي يقصد به الكلام المزيف والوعود الكاذبة بالشيء المرئي أو الطعام في الفم، وقد شبه الشاعر الحبر الأسود الذي يوقعوا به قرارتهم الظالمة وكأنه سمٌّ بطيء يتجرعه المواطن العربي، وقد اختار الشاعر اللون الأسود ليدل على الغدر والظلم.

وقال في القصيدة نفسها:

لا تَلْتَفِتْ أَبَداً لِخَلْفٍ

ضُمَّ مَوْطِنَكَ الكَبِيْرَ عَلَى الصُّدُورِ وَجَهِّزِ الرَّشَّاشَ ...

أَحْرِقْ بِالرَّصَاصِ الآنَ وَجْهَ الرَّاجِعِيْنَ إِلى الوَرَاءِ

وَمُدَّ مَوْتَاً مِنْ ذِرَاعْ

هِيَ أَرْضُكَ السَّمْرَاءُ... إِمَّا أَنْ تَمُوتَ لأَجْلِهَا

أَوْ لا تَمُوتَ... كِلاكُمَا لِلْمَوْتِ...

لَكِنْ أَنْتَ لَنْ تُشْرَى وَأَرْضُكَ لَنْ تُبَاعْ[1].

يخاطب الشاعر المواطن العربي ويحثه على النهوض من أجل المطالبة بحقه، فقد شخص الشاعر هنا الوطن وجعله كالابن يضمه والده، وقد جعل الموت بالشيء المادي الذي يُمد، الذي لا يُهاب عند المطالبة بالحق، وترى الباحثة أن وصف الشاعر هنا الأرض بالسمراء ليدل على جمال هذه الأرض حيث جعلها الشاعر وكأنها فتاة سمراء جميلة، ومن جهة أخري يمكن أن يكون تعبيرًا عن الظلم الواقع عليها، الذي يستدعي من شعبها الفداء والتضحية.

وقال في قصيدة عشيات لا تنتهي:

فـــي القَلْـــبِ أَنَّـــا يَـــا أَخِـــي أَحْـــرَارُ

وَبِـــأَنَّ لَيْـــلَ الحَالِكَـــاتِ نَهَـــارُ[2]

يؤكد الشاعر أنه بالرغم من تقييد حريته وهو في السجن، إلا أنه ما يزال عقله حرّا، وفكره غير مستعبد، وأنه رغم الليالي الشديدة السواد التي يعيشها في السجن إلا أن النهار موضعه في قلبه.

وقال في قصيدة مشاعر في هوى الأردن:

---

(1) المرجع السابق، ص27-28.

(2) المرجع نفسه، ص33

يعـــــاتبون دمـــــي إن فـــــار وارتعشـــــت

جـــــوانحي واســـــتثيرت ســـــود أشـــــجاني

أبكـــــي علـــــى أمـــــة باعـــــت كرامتهـــــا

وســـــاوموها علـــــى أشـــــباه أثمـــــان[1]

يلقي الشاعر هنا اللوم على من يعاتبوه على حالة الحزن الشديد التي تصاحبه، فقد يحزن على حال الأمة العربية التي ما زالت تبيع كرامتها، جاعلًا الكرامة بالشيء المادي الذي يُباع ويُشترى، فقد استخدم الشاعر اللون الأسود (سود أشجاني) ليدل على الحزن الشديد والسواد الداخلي التي يعيش به.

وقال في قصيدة في صحة الوطن الكبير:

سَـــــأَعِيْشُ تَوَّاقًـــــا إِلـــــى حُرِّيَّـــــةٍ

لَيْسَـــــتْ تُعَانِقُنَـــــا بِـــــدُونِ سِـــــلاحِ

لِلَّيْـــــلِ وَجْـــــهٌ لا يَطُـــــوْلُ سَـــــوَادُهُ

إِنْ هَاجَمَتْـــــهُ مَشَـــــاعِلُ الإِصْـــــبَاحِ[2].

يؤكد الشاعر أنه سينال حريته في يوم من الأيام، جاعلًا الحرية وكأنها أم تعانق طفله، ولكنه لا يتم هذا العناق إلا بالنهوض والدفاع عنها، حيث إن الليل يعقبه صبحًا، والظلم يعقبه نصرًا، فجاء هنا اللون الأسود ليدل على الظلام، وعلى الظلم الواقع فيه الشاعر.

ويقول في قصيدة يا ليلة العيد:

يَا لَيْلَةَ العِيدِ ماضٍ لَسْتُ أَذْكُرُهُ

وَلَسْتُ أُدْرِكُ مَاذا يَحْمِلُ الآتِي؟!!

عَزاءُ رُوحِي بِأَنِّي ثابِتٌ أَبَدًا

وَصَادِقاتٍ عَلى البَلْوَى صَداقاتِي

وَأَنّني لَمْ أُخَوَّفْ بَأْسَ طاغِيَةٍ

وَلَمْ تُنَمَّقْ لِمَأْجُورٍ عِباراتِي

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص49.

(2) المرجع السابق، ص56.

وَلَمْ تَلِنْ عَزَماتي أَوْ يَهُنْ جَلَدِي

وَلَمْ تُسَوَّدْ بِحِبْرِ المَدْحِ صَفْحاتِي[1]

يخاطب الشاعر هنا ليلة العيد، حيث جعلها ماضيًا لا يتذكره وسط ليالي السجن المظلمة، فكان هذا لأنه عاش عزيز النفس، لا يخاف الظلم والظالم ما دام ينطق بالحق، ولأنه لم يغير وجهة كلامه ويمدح الجالسين على المناصب، وهو مع هذا لم يستسلم، ولم يتنازل عن أخلاقه، فقد شبه أخلاقه وكأنها دفتر يُكتب فيه، ولكنه لم يكتب فيه بالحبر الأسود المدح الكاذب من أجل مصلحة.

وقال في قصيدة أوقدت شموعكم:

وَطَنِـــي الَّـــذي فِـــي كُـــلِّ شِـــبْرٍ قِصَّـــةٌ

تَـــــرْوِي حَكايـــــا أَمْسِـــــنا الغَـــــلَّابِ

بَـــــاعُوهُ بَخْسًـــــا فِـــــي لَيـــــالٍ سُـــــوَّدٍ

وَتَبـــــــادَلُوا الأَنْخـــــــابَ بِالأَنْخـــــــابِ[2]

يتحدث الشاعر عن الذين يبيعون الوطن لأشياء رخيصة، وقول الشاعر (ليال سود) ليدل على الظلم الواقع على أبناء هذا الوطن.

وقال في قصيدة تائه مثل جراحي:

هَا أَنَا أَيَا مَيْسُونُ مَصْلُوبٌ عَلَى بَحْرِ الرِّمَالْ

هَذِهِ الصَّحْرَاءُ لا تَعْرِفُ غَيْرِي

وَالرِّيَاحُ السُّودُ لا تَعْرِفُ غَيْرِي[3]

يخاطب الشاعر ميسون، وهو عائد من العمرة، ويعبر عن حالة التشتت التي تصيبه، حين كان في الصحراء، فكان مصلوبًا على الرمال، وقد استخدم الشاعر (بحر الرمال) ليدل على مساحة الرمال الكبيرة في الصحراء، وكذلك قوله (الرياح السود) الرياح العاصفة في

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص111.

(2) قلبي عليكِ حبيبيتي، ص 80.

(3) الزنابق، ص12.

الصحراء، ويمكن القول بأنها كناية عن الآلام والهموم التي تعصف بالشاعر، وكأنها لا تعرف غيره، فقد استخدم اللون الأسود ليدل على الألم والغدر والظلام في نفس الشاعر.

وقال في قصيدة كفر الحزن:

فَـــــاتْرُكِ اللَّيْـــــل كَـــــيْ يَمُـــــدّ ظِـــــلالاً

مِـــــنْ سَـــــوَادٍ عَلَـــــى الصَّـــــبَاحِ وَنَشْـــــرًا

وَاقْبَـــــلَ الأَمْـــــرَ وَاقِعًـــــا وَاسْـــــتَطِبْهُ

بَعْـــــدَ حِـــــيْنٍ سَـــــتَقْبَلُ الأَمْـــــرَ قَسْـــــرَا[1].

يحث الشاعر هنا على تقبل الواقع، حتى وإن الليل مدّ من ظلامه وسواده ظلالًا على الصبح، فيجب التعايش مع الواقع، لأنه سيقبله مغرمًا في يوم من الأيام.

وقال في قصيدة تائه مثل جراحي:

عَذِّبِيْنِي

لِيَ بَعْدَ الغسَقِ الدَّامِسِ أَنْ أَسْأَلَ رَبِّي

كَيْفَ أَحْبَبْتُكِ ...؟!

يَا عشْقًا –كَمَا البَدْرُ سُمَوّاً لا يُطَالْ[2]

يشبه الشاعر ميسون بالبدر، الذي لا أحدًا يستطيع أن يمسكه ويطوله، متعجبًا كيف كانت محبته لها، وقد استخدم الشاعر هنا كلمتي(غسق) و(دامس) ليدل على شدة السواد والظلام. **وقال في القصيدة نفسها:**

آهِ يَا مُيْسُونُ

تَسْبينِي دُمُوعِي

مَنْ تُرى تُوقِدُ في اللَّيلِ –إذَا سِرْتُ– شُمُوعِي

سَائِرٌ رَغْمَ لَجاجِ الحَلَكِ الأَسْوَدِ وَحْدِي

كُلَّمَا أَوْغَلْتُ فِي الحُبِّ تَحَدَّانِي رُجُوعِي[1]

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 5–6.

(2) المرجع السابق، ص 14–15.

يعبر الشاعر عن وحدته، ومازال يلجأ إلى التعبير عن شدة سواد الليل، فالرغم من شدة الظلام إلا إنه بقي وحيدًا لا أحد يوقد له الشموع، واصفًا الحب بالمكان التي يتوغل فيه، والرجوع عنه كأنه عدو يتحدى الشاعر.

وقال في قصيدة عشقان:

لا أنْتِ أَنْتِ وَلا الدِّيارُ دِيارُ

خَلَتِ الدّرُوبُ وَأَقْفَرَ الْمِشْوارُ

وَاسْودَّتِ الآفَاقُ فِي آفاقِها

وَانْهَدَّتِ الأَسْرَارُ وَالأَسْوَارُ[2]

ما زال الشاعر يعبر عن اللون الأسود، والظلام الذي يعكسه شعوره بالحزن والوحدة والفراق على المكان، فيخاطب الشاعر هنا الصخرة (القدس)، التي لم تبقَ على حالها، حيث أصبحت الدروب خالية، والأسرار كأنها بناء يُهدم.

وقال في قصيدة **ملحمة الأقصى:**

فَـــلا يَـــأْسَ يَغْزُوْنَـــا، إِذَا اسْـــوَدَّ لَيْلُنـــا

سَـــنَجْعَلُ لَيْـــلَ اليَـــأْسِ صُـــبْحَاً مُنَـــوَّرَا

حَمَلْنَـــا جِرَاحَـــاً فِـــي القُلُـــوبِ عَمِيْقَـــةً

فَـــزَادَتْ بِنَـــا عَزْمَـــاً وَبَأْسَـــاً مُسَـــعَّرَا[3]

وصف الشاعر هنا القوة والعزيمة لدى المدافعين عن المسجد الأقصى، الذين يتحدون الموت، والظلم من أجل تتحول أيام الظلم (ليل اليأس) إلى نصر (صبحًا منورًا)، فكل العقوبات وما يتعرضون له ما يزيدهم إلا الثبات، وقد اختار الشاعر اللون الأسود ليدل على الظلم والقهر بحق المسجد الأقصى.

---

(1) الزنابق، العتوم، ص15

(2) طيور القدس، العتوم، ص22.

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، ص 46.

3- اللون الأبيض:

إن اللون الأبيض يعني الصفاء والعفاف والسلم والسلام[1]ورد في القرآن إحدى عشرة مرة، وفي الحديث ما يقرب مائة مرة[2] فقال الشاعر في **قصيدة أيا أُمي:**

أَيَا أُمّي ...

لِماذا كانَ حَقّاً

أَنْ يَغيبَ الآنَ في جَوْفِ الثَّرى نِصْفِي

وَكُنتُ أُحِبُّ أن تَبْقَيْ

تَرَيْنِي زَهْرَةً بَيضاءَ

تَحْبُو صَدْرَكِ المَحْبوبَ

ما طابَتْ بِهِ الأزهارُ مِنْ عَرْفِ

لِمَنْ غَادَرْتِنِي .... !!! [3]

تنازل الشاعر في هذه الأبيات عن اللون الأسود في حضرة أمه، حيث الصفاء والنقاء، فقد أكد الشاعر أن أمه ما تزال معه، وكأنه طفل، وقد اختار (زهرة بيضاء) لما في الطفولة من براءة وسلام داخلي.

وقال في قصيدة أحن إليكِ:

أَحِنُّ إِلَيْكِ

وَأَعْلَمُ أَنَّا عَلَى البُعْدِ مُلْتَقِيانِ

وَأَنَّا نُطَرّزُ في القَلْبِ أَفْرَاحَنَا البِيْضَ مَهْمَا نُعَانِي[4]

---

(1) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص32.

(2) الصورة البصرية في شعر العميان، الفيفي، ص 15.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 37.

(4) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 66.

يؤكد الشاعر مدى اشتياقه لأمه، وأنه مهما كانت الأحزان تسطير على الواقع إلا أنه في القلب موضع الأفراح، حيث شبه الفرح الشيء المعنوي وكأنه ثوب مطرز بالألوان الباهية لكي يعكس نوره على السواد الخارجي الذي يحيط بالشاعر وأمه.

قال في قصيدة أحبك يا وطني:

وَأَنِّي إِذا تُشْرِقُ الشَّمْسُ

أَعْدُو إِلَيْكَ بِلَحْنِي

أُغَنِّيْكَ أُغْنِيَةً لِلْكِفاحْ

فَتَرْقُصُ فِي هَضَباتِكَ بِيْضُ الأَقاحْ[1]

يتمنى الشاعر هنا أن يكون وطنه منعمًا في سلام؛ لذلك اختار (بيض الأقاحي) حيث شبه هذا النبات ذو الزهر الأبيض بحركته كأنه طفلة جميلة تتراقص حيث البراءة والصفاء والنقاء.

وقال مخاطبًا ميسون في قصيدة افعلي شيئًا...بريئا:

هَاتِي وَرَقًا أَبْيَضَ شَفَّافًا كَقَلْبِيَ

مَزِّقَيهِ... مَزِّقِي أَنْهَارَ دَمْعِي وَدِمَائِي... لا تُبَالِي[2]

يخاطب الشاعر هنا ميسون، بأن تفعل أي حركة، فيطلب منها إحضار الورق الأبيض، حيث شبه الشاعر قلبه الطيب، بصدقه وإخلاصه لميسون بهذا الورق الشفاف، فهو يواجه كل الصعاب والتحديات، مشبهًا الدموع التي يذرفها وكأنها أنهار، وقد جمع الشاعر الفعل الأمر (مزقي) مع الدمع والدماء الشيء السائل، كأنهما شيء صلب يُمزق، ليدل على التشتت والانشقاق الذي أصاب الشاعر.

وقال في قصيدة سلام عليها:

أَنَا صَفْحَتِي قَبْلَ (مَيْسُونَ) بَيْضَاءَ قَلْبَا

وَبَعْدَكِ بَيْضَاءَ ... لا شَيْءَ يَسْوَدُّ فِيَّ

فَإِنِّي كَقَطْرِ الغَمَامِ وَأَنْدَى...وَأَصْفَى...وَأَرْبَى[3].

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، ص 47.

(2) الزنابق، العتوم، ص 70.

(3) المرجع السابق، ص 74.

يلجأ الشاعر كذلك إلى استخدام اللون الأبيض ليدل على النقاء والصفاء، سواء قبل ميسون أو بعدها، فهو ما يزال كالمطر صافيًا ونقيًا.

وفي موضع آخر يستخدم الشاعر عنصر اللون الأبيض، حين وصف الطفلة المقدسية عندما تفقد والدها وهو في الأسر فقال في قصيدة **للقدس غنيت الحروف:**

هـــيَ لـــيسَ تَمْلِـــكَ غيـــرَ قلْـــبٍ طـــاهرٍ

وبـــــــراءَة بَيْضـــــــاءَ كالنُّعمـــــــانِ[1].

فقد وصف الشاعر البراءة التي لا تُعرف الطفلة إلا بها، كأنها شيء مادي ملموس، ذو اللون الأبيض، ليدل على النقاء والصفاء لعالم الطفلة الداخلي، وقد مزج وصف هذه البراءة كأنها النعمان، ليؤكد الشاعر أن قلب هذه الطفلة لا يختلط بشائبة كما الدم.

4- اللون الأخضر:

إن اللون الأخضر يعني الخضرة والاتساع والجمال، يعني الطبيعة والربيع، والسعادة وانبثاق الحياة[2]، وارتبط عند المسلمين بالجنة، ورد في القرآن الكريم ثماني مرات، وفي الحديث ثلاثين مرة[3] **فقال الشاعر في قصيدة نبوءات الجائعين:**

مِنْ أَيْنَ قَالُوا عَنْكَ تَقْتُلُهُمْ ...؟!

وَفي كَلِمَاتِكَ الخَضْرَاءِ رَائِحَةُ الحَيَاهْ

مِنْ أَيْنَ قَدْ سَحَبُوا اعْتِرَافًا مِنْكَ

أَنَّكَ ضِدُّ تَشْرِيْعِ الإِلَهْ ؟! [4]

يصور الشاعر حروفه وكلماته التي تحمل في معانيها روح الحياة بالعز والكرامة، بدلًا من الذل والظلم، فقد خرج بهذا عن الخضوع والعيش بصمت كما تفرض قانون السلطة، وكأنه خرج عن التشريع الإلهي.

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، ص65.

(2) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص32.

(3) الصورة البصرية في شعر العميان، الفيفي، ص17.

(4) نبوءات الجائعين، ص23.

وقال في قصيدة مشاعر في هوى الأردن:

أَنِـــخْ رِكَابَـــكَ فـــي (سُـــوْفٍ) وَجِيْرَتِهَـــا

وَقُـلْ لَهَـا أَيْـنَ يـا خَضْـرَاءُ خُلاَّنِـي؟! [1]

يؤكد الشاعر هنا على جمال مدينته التي يعيش بها (سُوْف) حيث وصفها بالحقول الخضراء ذات المنظر الخلّاب، ليؤكد جمال هذه المدينة.

وقال في قصيدة شظايا:

رُوحِـــي تَـــدَاعَتْ فَلَمَّـــا اسَّـــاقَطَتْ وَقَفَـــتْ

فَأَسْـــقَطَتْهُمْ بِـــوَهْجِي كُلَّمـــا وَقَفُـــوا

كَأَنَّهَـــا العَطَـــشُ الْمَنْفِـــيُّ مِـــنْ زَمَـــنٍ

لاقَـــى فَأَخْصَـــبَ وَاخْضـــرَّتْ بِـــهِ السُّـــجُفُ[2].

يؤكد الشاعر هنا أن ما تجمع في روحه الهموم والأحزان، وإن كان في عالم من المنفى، فإنه سيجعل للحياة نصيبًا، وسيجعل كل شيء حوله أخضر بإرادته فاستخدام الشاعر هنا اللون الأخضر؛ ليدل على أنه سيجعل البؤس والحزن إلى حياة واخضرار.

وقال في قصيدة الثِّياب:

بُـــذُوْرِي فـــي تُرابِـــكَ لا تَخُنْهَـــا

فَلَـــنْ يَجْنُـــوا المَـــوَدَّةَ مِـــنْ تُرَابِـــي

تَرَكْـــتُ سَـــنَابِلِي بِيَـــدَيْكَ خُضْـــرَاً

لِتَنْمُـــوَ لا لِتُحْصَـــدَ فـــي غِيَـــابِي[3]

يجعل الشاعر الخطاب بين شخص وشقيقه، ويؤكد على رابط المودة والمحبة الذي يجمعهما، مهما تحاصرهما الظروف، وتطحنهما الحرب، فإن أصاب أحدهم ضرٌ، فقد أصاب الآخر، ويؤكد الشاعر على الأمانة التي لا تنقطع بينهما، والوفاء بالوعود وكتمان الأسرار، التي شبهها الشاعر بالسنابل التي تنمو ولا تحصد إن غاب عنه.

---

(1) نبوءات الجائعين، ص51.

(2) الزنابق، العتوم، ص 91.

(3) خذني إلى المسجد الأقصى، ص31.

وقال في قصيدة **ملحمة الأقصى:**

ستفرج...

إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ... تَفْرَجْ

وَتَعُودُ الجَنَبَاتُ الخُضْرُ

بِالعَنْبَرِ وَالحِنَّاءِ وَاللَّيْمُونِ تَأْرَجْ[1]

فقد شبه الشاعر النصر والتحرير من الاحتلال (بالجنبات الخضر) ليدل على الازدهار وعودة الحق والنصرة للمسجد الأقصى، ولم يبقَ غير الروائح الطيبة التي تعبق في المكان.

5- اللون الأصفر:

إن اللون الأصفر يدل على الخريف، والقحط والبؤس والألم، والذبول والشحوب[2] والضعف والمرض، فقد ورد في القرآن الكريم خمس مرات، وفي الحديث الشريف ست عشرة مرة[3]، فقال الشاعر في **قصيدة شكرا لمن تسعى لحتفي:**

حَمْقَـــــاءُ كُـــــلُّ مَشَاعِرِي...صَـــــفْرَاءُ

كُـــلُّ مَنَـــابِتِي... جَـــرْدَاءُ كُـــلُّ بِقَـــاعِي

يَـــا مَـــنْ خُـــدِعْتِ بِعَبْقَرِيَّـــةِ شَـــاعِرٍ

غَطّـــى بِشُـــهْرَتِهِ عَلَـــى الأَصْـــقَاعِ

وَسَـــمِعْتِ أَخْبَـــارِي وَإِنْ هُـــوَ قَـــدْ بَـــدَا

تَصْـــدِيْقُهَا صَـــعْبَا عَلَـــى الأَسْـــمَاعِ

لا يُعْجِـــبِ الـــزُّرَّاعَ نَبْـــتٌ نَاضِـــرٌ

سَـــيَهِيْجُ مُصْـــفَرًا عَلَـــى الـــزُّرَّاعِ[4]

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، ص49

(2) الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، نوفل، ص32.

(3) الصورة البصرية في شعر العميان، الفيفي، ص 16.

(4) نبوءات الجائعين، ص124.

وقال في قصيدة تائه مثل جراحي:

آهِ يَا مَيْسُونُ لَوْ تَدْرِينَ أَنَّي

وَاقِفٌ وَالبَرْدَ يَغْتَالُ عِظَامِي

وَأَنَا أَرْجُفُ مِثْلِ الوَرَقِ الأَصْفَرِ في عَصْفِ الرّيَاحِ[1]

في النموذجين السابقين يؤكد الشاعر على حالة الذبول التي تحيطه، وكأنه نبات، لم يجد أحدًا يهتم به، لذلك استخدم الشاعر اللون الأصفر ليدل على روحه الجدباء البائسة الحزينة.

كذلك من الألوان التي زين بها الشاعر صوره الشعرية كما قال في قصيدة **سلام عليها:**

سلَامٌ عَلَيْهَا...

تَجِيْءُ الغُرُوبَ الغَرِيْبَ

وَتَمْسَحُ كَالحُلُمِ الأُرْجُوَانِيّ فَوْقَ فُؤَادِي

وَتَعْزِفُ لَحْنًا حَزِيْنًا

وَلَيْسَتْ تّقُولُ كَلامَاً[2].

يتحدث الشاعر هنا عن ذكريات ميسون، التي تجتاحه عن الغروب، وشبه هذه الذكريات وكأنها ألحان حزينة، فتأتي إليه كالحلم تمسح فوق فؤاده وتعزف الذكريات دون أن تتكلم، وقد اختار الشاعر اللون الأرجواني للحلم، الممزوج فيه اللون الأحمر مع البنفسج ليدل على الحزن المتمسك في نفس الشاعر، ومناسبًا لوقت الغروب.

وقال في القصيدة نفسها:

سلَامٌ عَلَيْهَا...

إذَا نَطَقَتْ بَعْدُ لأْيٍ

تَوَرَّدَ مِنْ خَجَلٍ وَجْهُهَا

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 12-13.

(2) المرجع السابق، ص75.

ثُمَّ يَقْطُرُ مِنْهَا الحَيَاءُ العَمِيْمُ

فَيَقْطُرُ قُلْبِي غَمَامَا[1]

يصف الشاعر هنا ميسون وقد غطى ملامح وجهها الخجل، فقد اختار اللون الوردي للوجه، ليدل على الجمال، ثم جعل الحياء الشيء المعنوي كأنه ملموس، كالمطر يسيل على وجهها.

الجمع بين الألوان:

مزج الشاعر أكثر من لون في الصورة الواحدة فقال في قصيدة قانون الصوت الواحد:

أُمَمٌ تَتَحَمَّمُ فِي بَحْرِ الذُّلِّ وَما اخْتَلَفَ الظّرْفُ

الآنَ تَقولُ لكَ الألويةُ الحَمراءُ: لَقَدْ حانَ الزَّحْفُ

وَتَقُولُ لكَ الأَلويةُ البَيضاءُ: احْفَظْ جَبْهَتَكَ ورَاوِغْ

أَوَ مَا آواكَ وَبَجّلكَ الضّيْفُ[2].

يصور الشاعر حال الأمة العربية، جاعلًا الذل التي تعيش فيه وكأنه بحر تسبح به، ليدل على اتساع رقعة الذل بينهم، حيث شخص الشاعر هنا الرايات الموجودة في هذا البحر وجعلها تنطق، وقسمها إلى قسمين: الألوية البيضاء التي توحي بالشعور بالأمن، والألوية الحمراء التي توحي بأنه حان موعد الثورة.

فقال في قصيدة أحرفي مخنوقة:

مَـــــاذَا أَقُـــــولُ؟! وَأَحْرُفِـــــي مَخْنُوقَـــــةٌ

وَبَيَـــــاضُ شِـــــعْرِي مُغْـــــرَمُ بِسَـــــوَادِ[3].

مزج الشاعر هنا بين اللون الأبيض واللون الأسود، فقد جمع بين النقيضين؛ ليدل على حالة الضياع التي يعيشها الشاعر، حتى عند كتابة شعره لا بد من للحزن يأخذ موضعه، فقد شبه حروفه وكلماته كأنها إنسان يشعر بالضيق والشدة.

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 76

(2) نبوءات الجائعين، ص40.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، ص 57.

وقال في قصيدة هياكل في البئر:

وَعَلَى الأُفْقِ ضَبَابٌ

نَازِفٌ مِنْ مَخْبَأ الحُلْمِ

وَمِنْ خُضْرِ السَّنَابِلْ

مِنْ شُمُوعِ الغَيْبِ يَهْمِي

صَارَ للأحْلامِ كَالإنْسَانِ عَيْنٌ

وَعَلَى العَيْنِ ضِفَافٌ وَرِيَاضٌ وخَمَائِلْ

وَلَدَى تِلْكَ الضِّفَافِ البِيْضِ

أشْجارٌ قَوَاتِلْ

كَانَ تَحْتَ الشَّجَرِ الأَسْوَدِ بِئْرُ

ذَلِكَ البِئْرُ...

هُوَ القَبْرُ الَّذي ضَمَّ مَلايِيْنًا مِنَ الأجْسَادِ

هَا إنّي أرَاهُمْ جُثَثًا فِي البِئْرِ صَرْعَى

بَعْضُهَا لَمْ يَتَحَلَّلْ بَعْدُ

والأُخْرَى تَرَامَتْ في زَوَايَا البِئْرِ

أشْبَاهَ هَيَاكِلْ

أتُرَانِي سَوْفَ أحْتَلُّ بِذَاكَ البِئْرِ رُكْنًا

ثُمَّ أغْدُو مَيّتًا

تَنْدُبُنِي فَوْقَ الضِّفَافِ البِيْضِ آلافُ الثَّواكِلْ؟!! [1].

يصور الشاعر هنا حلمًا يرى فيه الأموات أشباه هياكل، فقد جمع الشاعر في هذه الصورة بين عدة ألوان هي (الأخضر، والأبيض، والأسود) فقد اختار اللون الأخضر مع

(1) الزنابق، العتوم، ص 48-49.

السنابل التي ينزف منها الضباب، ثم اللون الأبيض مع الشواطئ التي يراها على عين الأحلام، التي تحيطها أشجار تتصارع مع الرياح، واللون الأسود مع القبر الموجود تحت هذه الأشجار ليدل على الحزن، هكذا يصور الشاعر حال الحزن عند مفارقته لميسون في صورة كلية اعتمد فيها على حاسة البصر.

وقال في قصيدة عاشقان:

وَ يَسِيْرُ مَحْنِيَّ الدُّهُورِ

بِنَظْرَةٍ رَيّانَةٍ حُبْلَى

وَيَصْعَدُ مَرَّةً أُخْرَى

فَيَحْنِي رَأْسَهُ لِلْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ ...

يَطْبَعُ قُبْلَةً بَيْضَاءَ فَائِقَةَ الأَمانْ[1].

يصور الشاعر هنا من يعشق القدس الشريف، وكأنه يحمل التاريخ على ظهره حتى أصبح محني الظهر من الثقل الذي يحمله، ثم يلجأ إلى السماء التي يقصد بها (القبة الزرقاء) الذي يترك دعوة (قبلة بيضاء) التي وصفها باللون الأبيض ليدل على الصفاء والنقاء.

وكذلك لجأ الشاعر إلى عدم تحديد لونٍ معين مثل قوله في قصيدة **من أسفار العزة ...لعيون الحبيبة:**

(وَمَيْسُونُ) التي تَبْدُو كَأَحْلامِي

تَسَرَّبُ مِنْ خَلايَا الرُّوْحِ...

تُشْرْقُ مِنْ ثَنَايَا المُتْعَبِ ألوَانِي[2] .

يصور الشاعر هنا ميسون كأحلامه الجميلة التي يراها، والتي تجعل حياته القاتمة والغامضة مليئة بالألوان الزاهية، ولم يحدد هنا الشاعر لونًا ليشمل جميع الألوان، وقال في قصيدة **يا ليلة العيد:**

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص23.

(2) الزنابق، العتوم، ص 51-52.

رَسَـــمْتُ بُؤْسِـــي بِـــدَمْعٍ لَسْـــتُ أَذْرِفُـــهُ

إلاّ لِتَـــزْدانَ بِـــالأَلْوانِ لَوْحـــاتِي[1]

هنا يصور الشاعر حزنه وكأنه لوحة فنية يرسمها بالألوان الفاتحة؛ لكي تمحو عتمة قلبه، ولكي يستطيع مواصلة حياته.

وقال في قصيدة غياب العودة:

أَبْكِيْـــكِ؟! أيّ دُمُـــوعُ العُمْـــرِ تَنْهَمِـــرُ

يَـــا كَرْمَـــةً مِـــنْ شَـــذَاهَا ٱلخَمْـــرُ يُعْتَصَـــرُ

عَامَـــانِ؛ عَـــامُ خَيَـــالاتٍ مُلَوّنَـــةٍ

وَعَـــامُ بُعْـــدٍ، أَتَـــانِي اليَـــوْمَ يَعْتَـــذِرُ[2]

يؤكد الشاعر هنا محبته لميسون، وكأنها منبع السعادة في حياته، فله عامان من الخيالات، عام القرب منها والذي جعله كأنه شيء مرئي اختلط بالألوان وممزوج بالسعادة، وعام بعد الذي جعله وكأنه إنسان يعتذر.

هكذا استخدم الشاعر خاصية الألوان في صوره الشعرية، وقد طغى عليها اللون الأسود، لما في مشاعره، وأحاسيسه الداخلية من الحزن والأسى، وكذلك الأحمر ليدل على الثورة الداخلية لدى الشاعر، ولكنه لم يمنع هذا ورود اللون الأبيض والأخضر، ليدل على تمسكه بالحياة وبفتيل من الأمل لكي يضئ الفرح ويتحدى به الصعاب.

ثالثًا: المكان والزمن:

1- عنصر المكان:

بما أن الشاعر يتأثر بكل شيء يحيط به، فهو إنسان يترك فيه المكان الذي يحيط به أثرًا، ويطبع لديه ذكريات، تساعد في إبداعه الشعري.

والمكان هو "المكان كائن مجسد يتم إدراكه بواسطة الحواس، أو التصوير الذهني، وهم ما يؤيد وجوده واتصافه، بالكينونة"[3].

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص108.

(2) الزنابق، العتوم، ص 96.

(3) إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، نصيرة، (مقال في جريدة)

إن الصورة التي يعتمد فيها الشاعر على المكان هي الصورة التي يلجأ الشاعر فيها إلى استخدام عنصر المكان أو ما يدل عليه بأسلوب فني، سواء كان واقعًا أو خيالًا أو افتراضًا من عند الشاعر، يعطي دلالات معنوية ونفسية ورمزية غير محددة، تُظهر التجربة الإبداعية عند الشاعر[1]"وعليه فالصورة المكانية كالصورة الموسيقية تُخضع الواقع الخارجي لحركات النفس وإيقاعاتها"[2]، فيؤثر المكان بشكله وبنائه على الشاعر، في أهم تفاصيل حياته؛ لذلك نجد دلالات مختلفة تؤكد هذا التأثير بين الشاعر والمكان[3] فهو يرى المكان بشكل مخالف لما يراه الآخرين[4]، فتجسيده لعنصر المكان يحوي كذلك دلالات اجتماعية ودينية وسياسية عند الشاعر، ومعبرة عن مجتمعه وفكره الحضاري؛ لذلك أخذ عنصر المكان مكانة مهمة في النص الشعري، لما يضم بحوزته هذه الدلالات المتنوعة[5].

لم ينسَ الشاعر المكان الذي يضمه ويحمل له في قلبه حبًا كبيرًا، المكان الذي ترعرع فيه موطنه ومدينته (سُوْف) والمكان الأكبر (الأردن) أو المكان الأصل كما جاء في تقسيمات عالم الموروثات الشعبية (فلاديمير بروب) الذي يقصد به المكان الذي تربى فيه الشاعر[6] فقال في قصيدة **مشاعر في هوى الأردن:**

قَضَـــيْتُ فِيْهَـــا مَـــعَ الأَحْـــلامِ أَزْمِنَـــةٌ

فَهَـــلْ تَعُـــودُ إِلـــيّ اليَـــوْمَ أَزْمَـــانِي؟!

فـــي كُـــلِّ نَاحِيَـــةٍ مِنْهَـــا مُـــرَدِّدَةٌ

أَنّـــي فَتَـــيً جَبَلِـــيُّ الـــرُّوْحِ (سُـــوْفَانِي)

مَشَـــاعِرٌ فـــي هَـــوَى الأُرْدُنِّ نَحْمِلُهـــا

مَـــا لُوِّثَـــتْ، لا، وَلا، سِـــيْمَتْ بِبُهْتَـــانِ[7]

فقد ربط الشاعر مشاعر المحبة والإخلاص لهذا المكان الذي احتواه، فالذكريات تطبع في المكان جمالًا، وتزيد الشاعر ارتباطًا به، فقد جعل مشاعره وحبه للأردن كأنه شيء مادي الذي

---

(1) المكان في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، الطربولي، ص475.

(2) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، عساف، ص34-35.

(3) المكان في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، الطربولي، ص7.

(4) الصور الفنية في شعر علي الفزاني، شلوف، ص214.

(5) المكان في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، الطربولي، ص11.

(6) مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا، المرزقي وآخر، ص 58.

(7) نبوءات الجائعين، العتوم، ص51.

يُحمل، مشاعر مخلصة غير متصفة بالبهتان، وقد جاء وصف الشاعر لنفسه (فتى جبلي الروح) ليؤكد أنه يواجه الصعاب من أجل موطنه، وروحه تحب التحدي والإصرار على الحق.

وقد وضح الشاعر ما تعرض له بسبب حبه لبلاده، فقال في قصيدة **بلادي سر مأساتي:**

غَرِيْـــبٌ فَـــوْقَ مَـــا يُـــدْعَى بِـــلادِي

وَمَنْفِـــــيٌّ تُضَـــــيِّعُنِي جِهَـــــاتِي

أَأَمْضِـــــى تَارِكًـــــا وَطَنِـــــي وَرَائِـــــي

وَفِيْـــهِ قَضَـــيْتُ أَحْلَـــى ذِكْرَيَـــاتِي؟!![1]

يؤكد الشاعر وحدته في السجن وأنه يعامل كغريب في وطنه، وقد أكد هذا قوله (ما يدعى بلادي).

ثم يلجأ الشاعر إلى ذكر الأماكن الدينية المقدسة، كالقدس الشريف المسجد الأقصى والكعبة المشرفة، فقد قال فيها في قصيدة **ألا يا كعبة الرحمن:**

أَلا يـــا كَعْبَـــةَ الـــرَّحْمَنِ إِنِّـــي

أَتَيْتُـــكِ والأمـــانِي فِـــي طِلابِـــي

وَمَـــنْ يَـــدْرِي بِأَشْـــواقِي بِحَـــارًا

تَلَظّـــى وَهْـــيَ ثَـــائِرَةُ العُبـــابِ

سَـــقَتْنِي مِـــنْ حُمَيْـــا الـــدَّمْعِ كأسًـــا

مُحَرَّقـــةً وَغَالَـــتْ فِـــي عَـــذابِي

فَمَـــنْ يُطْفِـــي إِذاً لَوْعـــاتِ صَـــدْرِي

وَمَـــنْ يَحْنُـــو عَلـــى الجُـــرحِ المُصـــابِ؟![2]

يخاطب الشاعر هنا الكعبة المشرفة، وقد أتى إليها ونفسه مملوءة بالأمنيات، التي يدعو الله بأن تتحقق، ثم يصف شوقه لها وكأنه بحر واسع ليدل على مدى اشتياقه لأن يكون بالقرب منها، وهذا البحر ذو أمواج هائجة لا تتوقف، فقد ذاق الشاعر العذاب، وذرف الدموع، فلم يجد مكانًا لكي يخفف عنه كل هذا غير الكعبة حيث الأمان.

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص75.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص33.

وقد وصف الشاعر الصحراء حين العودة من العمرة، فقال **في قصيدة تائه مثل جراحي:**

خَلْفِيَ الرَّمْلُ... أَمَامِي...

وَيَمِيْنِي... وَالشِّمَالْ

أَنَا لا أَكْتُبُ شِعْرِي فَوْقَهُ

لَكِنَّنِي أَدْرَكْتُ أَنّ الحُبَّ مِثْلُ الرَّمْلِ

بَحْرٌ وَاسعٌ يَمْتَدُ فِي أُفْقِ الظَّلامِ[1].

استخدم الشاعر هنا الجهات المكانية (خلفي، أمامي، يميني، والشمال، فوقه) في وصف رمال الصحراء الذي جعل الحب بحرًا واسعًا مثله، ممتدًا في الأفق.

أما في القدس الشريف حيث قال في قصيدة **نزه تراب القدس:**

ولســـــوفَ نُهْـــدِي القُـــدسَ مِسْـــكَ دمائِنـــا

إنْ بَاعَهَـــــا التُّجّـــــارُ والعُمَـــــلاءُ

ســـــنريقُ فـــــوقَ ترابِهـــــا أرواحَنـــــا

حتّـــــى يَـــــزولَ الظُّلْـــــمُ والظَّلْمـــــاءُ

مَـــــنْ هُـــــمْ؟! إذا الشَّـــــعْبُ الأبـــــيُّ يَهـــــزُّهُ

نـــــورُ الكفـــــاحِ المـــــرِّ والهيجـــــاءُ[2].

فقد جعل الشاعر رائحة مسك (دماء الشهداء) كأنها شيء مادي، يقدم كهدية للقدس الشريف، يقدمه الثوار الذين تغمرهم الكرامة، والذين يقدمون أرواحهم من أجل تراب القدس، حين يحركهم الكفاح والحرب.

وقال في المسجد الأقصى في قصيدة **ملحمة الأقصى:**

عَلَـــى سَـــاحِهِ مِلْيُـــونُ جُـــرْحٍ مُرَعَّـــفٍ

تَنَـــزَّى كَغَيْـــثٍ هَاطِـــلٍ مِـــنْ سَـــحابِهِ

سَـــقَى فَـــارْتَوَى وَرْدٌ فَلَـــوْلا رَأَيْتَـــهُ

لأَدْرَكْـــتَ أَنّ الـــوَرْدَ بَعْـــضُ خِضَـــابِهِ[3]

---

(1) الزنابق، العتوم، ص12.

(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص104.

(3) المرجع السابق، ص43

يتحدث الشاعر عن الحزن الذي يسود المسجد الأقصى، والمعارك التي تخاض من أجل تحريره في ساحته، فقد شبه الشاعر دماء الشهداء بالمطر الذي يروي أرض المسجد الأقصى. **وقال في القصيدة نفسها:**

فَقُـــلْ لِخُيُـــوْلِ اللهِ فِـــي المَسْـــجِدِ ارْكَبِـــي

وَعَسْـكِرْ لَهَـا فِـي سَـاحَةِ القُـدْسِ عَسْـكَرَا[1].

يحث الشاعر هنا عن الدفاع عن المسجد الأقصى، وتجهيز العدة للمحتل، وقد اختار الشاعر (خيول الله) مواكبًا ذلك عهد الرسول ﷺ الذي خاض الغزوات من أجل الدين الإسلامي.

أما السجن فيعد مكانًا أخذ حيزًا كبيرًا، وأثرًا عميقًا في نفسية الشاعر، فقال في قصيدة **مشاعر في هوى الأردن:**

زِنْزَانَتِـــي خَيْـــرُ مَـــنْ صَـــاحَبْتُ فـــي زَمَـــنٍ

الحَـــاكِمُونَ بِـــهِ أَحِفَّـــادُ (هَامَـــانِ)

تَحْنُـــو عَلَـــيَّ، وَتَصْـــفُو رَوْحُ سَـــاكِنَهَا

وَلاَ تَضِـــيْقُ زَوَايَاهَـــا بِـــأَكْوَانِي[2]

فقد جعلها الشاعر خير أصحابه في زمن يسوده الظلم، فقد شخصها وجعلها تملك الحنان والعطف وتُغدق به على الشاعر في وحدته.

وقال كذلك في قصيدة **في صحة الوطن الكبير:**

سَـــأَقُولُ لِلسِّـــجنِ الـــذي قَـــدْ ضـــمَّنِي

أُشْـــدُدْ وَثَاقَـــكَ لا تَفُـــكَّ سَـــرَاحِي[3]

شخص هنا السجن وأصبح يخاطبه، بأنه يزيد عليه الألم والوحدة، فهو يتحدى كل شيء ما دام في سبيل الوطن.

ويستمر الشاعر في حديثه عن المكان الضيق في السجن (الزنزانة) التي لم تنل من عزيمته الواسعة، فقال في قصيدة **السراج الخابي:**

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 46.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 46-47.

(3) المرجع السابق، ص55

وَزِنْزَانَةٍ قَلَّبَتْنِي عَلَى كَفَنٍ مِنْ وُجُودي الْمُرِيعِ

وَزِنْزَانَةٍ...

هِيَ لا تَسْتَطِيْعُ وَإِنْ أَحْكَمَتْ قَيْدَها

أَنْ تَفُوزَ بِبَعْضِ خُضُوعِي[1].

يؤكد الشاعر بالرغم من الزنزانة وكأنها تقلّبه في قبر، وكأنه ميت، جسد بلا روح يعيش بهذا المكان، إلا إنها لم تنال من خضوعه واستسلامه.

قد صبّ الشاعر اهتمامه إلى الأماكن التي تتعرض للظلم والدمار، حيث جعل حرفه محاميًا لكل مظلوم يسمع عنه، أو يراه على وجه المعمورة فقال في قصيدة **يا غزة العز:**

يَـــا غَـــزّةَ العِـــزِّ هـــلْ ماتـــتْ عُروبَتُنـــا ؟!

وَزُيِّفَـــتْ بَعـــدَكِ الأَسْـــماءُ وَالطُّـــرُقُ !!

هَـــلْ (أَحْمَـــدٌ) وَ (سُـــليمانٌ) يُحاصِـــرُنَا

الأَنبِيـــاءُ – وَحاشَـــا اللهُ – مَـــا ارْتَزَقُـــوا

لا هُنْـــتِ غَزَّتَنـــا يـــا رَمْـــزَ عِزَّتِنـــا

يـــا سَـــيْفَنا حِـــيْنَ سَـــيْفُ النّصـــرِ يُمتَشَـــقُ

يـــا دُرَّةَ البحـــرِ يـــا أمـــواجَ ثَوْرَتِـــهِ

كُـــلُّ الطّواغيـــتِ فـــي أَعْماقِـــهِ غَرِقُـــوا[2]

جعل الشاعر مدينة غزة التي خاضت الحروب، وأبشع جرائم الاحتلال، بأنها رمز العزة والكرامة، وأنها سيف يخرج من غمده ليقع في وجه اليهود الذين يتطاولون على المقدسات الدينية، وإنها لؤلؤة الثورة ففيها يُغرق ويُهزم الطاغوت من الاحتلال الإسرائيلي، فهذا المكان الصغير كبير بشعبه وإصراره.

فقال عن العراق في قصيدة **قيدي من الصمت:**

كَـــمْ فِـــي العِـــرَاقَ شَـــرِيْدٍ مَـــا يُـــدَثِّرُهُ

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص85.

(2) طيور القدس، العتوم، ص 68-69.

إلاَّ الـــرَّدَى وَهْـــوَ مَـــا يَلْقَـــى مِـــنَ البُـــرُدِ

شَـــعْبٌ يَمُـــوتُ لأَحْكَـــامٍ قَـــدِ اتُّخِـــذَتْ

بِمَجْلِـــسٍ فـــي شُـــؤُوْنِ الأَمْـــنِ مُنْعَقِـــدِ[1]

فقد جعل الموت التي قد أحل على شعب العراق كأنه غطاء يتدثر به من لا يجد له مأوى، بالرغم من عدم شعورهم بالبرد، فكل ما يحس به الفقير هو الجوع ولا أحد يشعر به حتى يزوره الموت، ويريحه من الوجع والألم.

كذلك كان عنصر المكان عند الشاعر منبعًا لذكريات طفولته كما قال عن وادي النيل **في قصيدة يا وادي النيل:**

قَـــدْ كُنْـــتَ طِفْـــلًا علـــى (جِسْـــرِ) أُرَاقِبُـــهُ

وَمـــا اسْـــتفاقَتْ بِقَلْبِـــي غَيْـــرُ أَشْـــجانِي

الطِّفْـــلُ يـــا نِيـــلُ غَطْـــى وَجْهَـــهَ خَجَـــلاً

بِمَـــــدْمَعٍ طَيّـــــعِ اللّوْعـــــاتِ هَتّـــــانِ

الطِّفْـــلُ يـــا نِيـــلُ صـــارَ الْيَـــوْمَ يَنْظِمُهـــا

قَصـــــائِدًا مَزَجَـــــتْ بَـــــرْدًا بِنيـــــرانِ

البَـــــرْدُ ذِكـــــرايَ، والنِّيـــــرانُ فـــــاجِعَتِي

أَنَّ الوَقُـــودَ لَهـــا أَهْلِـــي وَإِخْـــوانِي[2]

يخاطب الشاعر وادي النيل ويرجع ذكرياته حين زاره في الطفولة، فقد كان يقف على الجسر ويراقب النيل بمائه وسمائه ومنظره الجميل، الذي كان منبه لأحزانه، فقد شخص الأشجان وجعلها كإنسان ينام ويستيقظ، وإنما هذا يدل على الأحزان كانت مصاحبة للشاعر منذ الطفولة، فقد كبُر وأصبح ينظم هذه الأحزان في قصائد ممزوجة بالذكريات وبهموم الوطن.

وجاء في القصيدة نفسها ربط الشاعر عنصر المكان بالشخصيات سواء التاريخية، والأدبية فقال:

وَكَـــمْ جُيـــوشٍ بِعَـــدِّ الرَّمـــلِ فِـــي (حَلَـــبٍ)

غَنَّـــى بِهـــا (المُتَنَبّـــي) (لابْـــنِ حَمْـــدانِ)

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص98.

(2) المرجع السابق، ص134-135.

مَشَـــتْ لَنـــا الشّـــامُ فِـــي كّفَّـــيْ (مُعاوِيَـــةٍ)

وَدانَ فُـــرْسُ عِـــراقٍ (لابْـــنِ شَـــيْبانِ)

خُيولُنـــا فـــي أَقاصِـــي الغَـــرْبِ قَـــدْ صَـــهَلَتْ

وَحَمْحَمَـــتْ بِجِبـــالٍ فِـــي (خُراســـانِ)

مَجْـــدًا صَـــنَعْناهُ لا إِرْثًـــا ولا نَسَـــبًا

بَـــلْ دِيْـــنُ عَـــدْلٍ وَتَحْرِيـــرٍ وَإِحْســـانِ

إذا تَـــذَكَّرْتُ أَمْجـــادِي (بِقُرْطُبَـــةٍ)

وَشَـــى بِـــيَ الـــدّمْعُ حَتَّـــى بَـــلَّ أَرْدانِـــي[1]

اعتمد الشاعر هنا الحديث عن عدة أماكن مختلفة سجلت انتصارات العرب كمدينة (حلب) التي شبه جيشها لكثرتهم بالرمل الذي لا تعد ذراته، و (الشام) التي شخصها الشاعر وجعلها تتحرك وتمشي وذلك كناية عن الفتح، ويستمر الشاعر بذكر الأماكن التي نقش الأبطال فيها المجد للإسلام مثل: (وفرس عراق) (أقاصي الغرب) (خراسان) و(قرطبة) التي تذكر أمجادها في العهد الإسلامي، فقد جعل الدمع يتحدث بالأخبار الكاذبة حتى أصابه بالهلاك.

وقد صور الشاعر كذلك لبنان وبيروت، والبقاع، وشواطئها، فقال في قصيدة **بيروت يا وجه المآسي:**

بَيْـــرُوتُ يُـــا عُـــذْرَاء لبنـــانِ الهَـــوَى

أَنـــتِ التـــي فـــي الـــرُّوحِ حُلْـــمٌ طَيّـــعُ

كَـــمْ حِقبـــةٍ مَـــرَّتْ عَليـــكِ حُروبُهـــا

فَحَمَلتْهِـــا إِذْ إِنَّ صَـــبْرَكِ أَوْسَـــعُ

خَبَّـــأْتُ حُبَّـــكِ فـــي الضُّـــلوعِ فَلَـــوْ بَـــدَا

لَـــذُهِلْتِ مِمَّـــا قَـــدْ تُجِـــنُّ الأَضِـــلُعُ

أَحْزَانُنَـــا شَـــجَرُ البِقَـــاعِ وَنَـــوْرُه

وَمِيَاهُنَـــا كُـــأْسُ الجَنـــوبِ المُتْـــرَعُ

أنـــتِ الحيـــاةُ جَمالُهـــا وَبَهَاؤُهـــا

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 135-136

وَعَلَـــى ضِـــفَافِكِ كُـــلُّ طَيْـــرٍ يَسْـــجَعُ[1].

يتحدث الشاعر عن دولة لبنان، والعاصمة بيروت التي شبهها بالفتاة العذراء، وقد أكد الشاعر على حبه لهذا المكان الذي يسكن قلبه كحلم؛ لجمال هذا البلد، ثم استخدم الشاعر هنا مكانًا خيالًا بأن جعل حبه للبنان يضبع في ضلوعه، فقد جعل هذا الحب بالشيء المادي الذي يُخبأ، الذي لو فُصح عن هذا الحب لشعرت لبنان بالدهشة، وهذا يدل على شدة تعلقه بهذا البلد ليصل بالشاعر إلى المبالغة، ثم يتحدث عن مكان آخر في لبنان وهو (البقاع) الذي شبه شجره بالأحزان؛ ليؤكد الشاعر حزنه على جمال هذا المكان الذي تشوه بالحرب، وكذلك (الجنوب) الذي وصفه بالماء التي يُرتوي به، حتى أنه وصف لبنان لجمالها كأنها الحياة، حتى للطيور التي تغني وتغرد على ضفافها.

وقال كذلك في القصيدة نفسها:

وَقَفَـــتْ عَلَـــى شَـــطَّيْكِ ثِيْـــرَانٌ لَنَـــا

تَرْنُـــو لَمِـــا صَـــبُّوا عَلَيْـــكِ وَتَسْـــمَعُ[2]

وصف الشاعر الجيش الإسرائيلي الذي شن حربه في لبنان والمعاونين لهم وكأنهم ثيران، تقترب من المناضلين الذين غطى قلوبهم حب البلاد والنضال.

وقال في قصيدة **نبوءات الجائعين:**

أَطْلِقْ خِرَافَكَ في الشَّوَارِعِ

كَمِّمِ الأَفْوَاهَ وَابْتَدِئِ المَسِيْرْ

في ظِلِّ قَافِلَةِ الشَّعِيْرْ

سِرْ لا تَقِفْ

سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى لَقَدْ جَمَعَتْ مَطَالِبَنَا الصُّدَفْ[3]

يحث الشاعر إلى النهوض والمطالبة بالحقوق، مستخدمًا أسلوب ضرب الأمثال بالحيوانات، وقد اختار الخراف التي تطالب بحقها إذا جاعت، فيطلب من كل مواطن خُتم على حياته الذل والجوع أن يسير في الشارع مطالبًا بحقه.

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 54-55.

(2) المرجع السابق، ص55

(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص24-25.

وقد ورد عند الشاعر كذلك استخدام عنصر المكان غير الحقيقي وإنما للتعبير عن مشاعر الحزن الممزوجة بكيان الشاعر فقال في قصيدة **كتبت فوق جدار السجن:**

أَنـــــا سُـــــطُورُ دَمٍ مـــــا زَالَ نَازِفُهـــــا

مُبَعْثَـــــرًا فَـــــوْقَ آفـــــاقِي وَأَفْلاكِـــــي

مَيْسُـــــونُ لا تَسْـــــأَلِي يَوْمًـــــا إِذا كُتِبَـــــتْ

لَنـــا الحيـــاةُ: لِمـــاذا كُنْـــتُ أهـــواكِ؟! (1)

يصور الشاعر حالة الحزن الشديد الذي أصابه بسبب حبه لميسون، فقد شبه نفسه بسطور من الدم المبعثر، والمنتشر في كل ناحية من نواحي حياته.

وقال في قصيدة **حبيبتي... كيف أنسى؟!**

أَنَـــا الـــذي تَعْتَرِيْنِـــي رِعْشَـــةٌ أَبَـــدَاً

وفـــي الجَـــوَى تَسْـــكُنُ الآهَـــاتُ وَالحُـــرَقُ

وَبحْـــرُ حُبِّـــكِ طُوفَـــانٌ يُحَاصِـــرُنِي

وَلَـــيْسَ يُبْقِـــي عَلَـــيَّ الوَابِـــلُ الغَـــدِقُ

مُعَـــذَّبٌ كُـــلَّ حَـــالاتِي وَمُضْـــطَرِبٌ

فَهَـــلْ تَكُـــونينَ مِمَّـــنْ فِـــيَّ قَـــدْ رَفِقُـــوا؟!(2)

يصور الشاعر شدة العشق بأنها بيت، تسكن فيه الأوجاع والآلام، ومرة أخرى يشبهها بالبحر الواسع والطوفان الذي حاصر الشاعر ولا يستطيع النجاة منه.

وقال في قصيدة قالوا حجابك:

فَلَقَـــدْ قَطَعْـــتُ الـــدَّهْرَ بَـــيْنَ تَعِلَّـــةٍ

وَتَـــرَدُّدٍ، وَمَشَـــيْتُ خَلْـــفَ سَـــرَابِ

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص15

(2) الزنابق، العتوم، ص3.

وَرَمَيْـــتُ عُمْـــري بَـــيْنَ أَزْهَـــارِ المُنَـــى

تَعِبَـــاً، وَمَـــا أَدْرَكْـــتُ فِيـــهِ طِلابِـــي

فَـــإِذَا أَنَـــا فَـــوْقَ المُحـــيطِ أَمُـــدُّهَا

كَفِّـــي، وَأُخْرِجُهَـــا بِـــدُونِ شَـــرَابِ

فَمَتَـــى سَـــأُلْقِي عَـــنْ حَيَـــاتِي ثِقْلَهَـــا

أَوْ أَسْـــتَرِيحُ وَتَنْتَهِـــي أَوْصَـــابِي؟!

يَـــا طَـــاهِرَاتِ الـــذَّيْلِ لِـــي بَـــيْنَ الهَـــوَى

أَمْـــرَانِ: ذَنْـــبُ قَصَـــائِدِي، وَمَتَـــابِي[1]

يصور الشاعر جزءًا من حياته ، فقد عاش بين العلل والعواقب الكثيرة، وأصبح يتبع الأشياء غير الحقيقية، وقد جعل عمره كأنه شيء مادي يرميه، بين الأمنيات والطموح، بأن يعيش وطنه بخير وسلام، ولكن كأنه وضع يده فوق المحيط وخرجت بدون ماء يرتوي بها، وفي النهاية يتمنى الشاعر أن يلقى عن نفسه ما تحمله من الهموم والأوجاع، ثم يوجه الشاعر خطابه إلى العفيفات والشريفات اللاتي وصفهن بطاهرات الذيل، ويوضح لهن أن له بين الهوى أمرين بين ذنبه بأن كانت قصائده لا تقول إلا الحق في وجه المغتصب، الذي يعتبرها ذنبًا يجب المحاسبة عليه، وثوابه لأنه صاحب ضمير حي.

وقال في قصيدة **من أسفار العزة... لعيون الحبيبة:**

فيا (ميسون)

يَا لَفْظًا يُقَاسِمُنِي السّعَادَةَ دُونَ أَنْ أَدْرِي

فَتَجْرِي فِي فُؤَادِي دُونَ أَنْ أَدْرِي

وَتَبْدُو فَوْقَ وَجَهِي دُونَ أَنْ أَدْرِي[2]

يخاطب الشاعر هنا (ميسون) ويؤكد مدى ارتباطه بها، حيث إنها كاللفظ الذي لا يفارق لسانه، فقد أخذت مكانًا كبيرًا في حياته، فهي سبب علامات السعادة والفرح التي تتربع في قلبه التي تظهر على وجهه بدون أن يشعر.

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 17-18.

(2) المرجع السابق، ص 75

وقال في قصيدة افعلي شيئا ...بريئا

كَيْفَ تَبْكِي أحْرُفِي الثَّكْلَى كَطُوفَان مَشَاعِرْ

كَيْفَ أبْدو سَاذِجًا... طِفْلًا...أُغَامِرْ

كَيْفَ أَبْدُو طَيِّبًا...

فَوْقَ جَنَاحِ الحُلْمِ يَا رُوحي أُسَافِرْ[1]

يتساءل الشاعر وقد شبه أحرفه بأنها أم تبكي لفقد ولدها، ويتساءل كيف يمكنه بأن يعيش بقلب لا يعرف إلا الحق، كالطفل ببراءته، والطيب بقلبه الأبيض النقي، فهو بهذا كأنه يصعد على جناح الحلم، ويطير به إلى عالم الخيال، في ظل عالم مليء بالفساد.

وقال كذلك واصفًا نفسه بأنه ضائع بين أرصفة الأماني والريح تبعثر روحه في قصيدة **سأشرب لو ملأت الكأس سمًا:**

غَرِيبـــــاً فـــــوْقَ أَرْصِـــــفَةِ الأَمَـــــانِي

بِـــــرُوحٍ بَعْثَرَتْهَـــــا الـــــرِّيْحُ... حَسْـــــرَى[2]

قال في **قصيدة أنات مرتقب:**

أَنَـــا الأَبِـــيُّ وَهَـــذَا الشَّـــعْبُ مَـــا حَمَلَـــتْ

عُرُوقُـــه الْخَـــوْفَ، مَـــا أُوْذِي وَمَـــا اضْـــطُهِدَا

نَنَـــامُ فَـــوْقَ جِمَـــارِ الفَجْـــرِ نَنْظُـــرُهُ

كَأَنَّـــهُ مَـــنْ شَـــغَافِ القَلْـــبِ قَـــدْ صَـــعَدَا[3]

يؤكد الشاعر أن شعبه لا يخضع للخوف والاضطهاد، يتحمل الصعاب التي وصفها بالنار، الذي يُكتوى بها الشعب، ويصعد فوقها ويتحملها، من أجل أن يرى إشراقة النصر، التي يدفعون الثمن باهظًا، حيث يقدمون أرواحهم من أجل النصر.

وقال في قصيدة **بلادي سر مأساتي:**

كَتَبْـــتُ عَلَـــى جِـــدَارِ الجَهْـــرِ شِـــعْرِي

---

(1) الزنابق، العتوم، ص70.

(2) المرجع السابق، ص109.

(3) المرجع نفسه، ص 103-104.

بِـــــأَنِّي قَـــــدْ بَرِئْـــــتُ مِـــــنَ الطُّغَـــــاةِ

وَأَنِّـــــي لَـــــنْ أُدَاهِـــــنَ طـــــوْلَ عُمْـــــرِي

وَلَـــــوْ نَثَـــــرُوا عَلَـــــى الـــــدُّنْيَا فُتَـــــاتِي[1]

يؤكد الشاعر أنه لم يخف من جبروت الطغاة، وأنه يعلن جهرًا بأنه ضدهم، حيث جعل الجهر بالسور الذي يكتب عليه تمرده على الظلم، وإن كان ثمن ذلك قتله، فالعمر قدر من أقدار الله.

وقال في قصيدة **وهل يرحل الحزن عني:**

فَكَيْـــــفَ إِذَاً سَـــــيُغَادِرُنِي الحُـــــزْنُ يَـــــا أَصْـــــدِقَائِي

وَحُزْنِـــــيَ يَشْـــــكُو مِـــــنَ الحُـــــزْنِ حُزْنَـــــاً

وَيَـــــدْرِي بِـــــأَنَّ جِبَـــــالاً مِـــــنَ البُـــــؤْسِ

تَجْـــــثُمُ فَـــــوْقَ فُـــــؤَادِي الطَّـــــرُوبْ[2].

يوضح الشاعر مدى الحزن الذي يسكن في قلبه، حيث شبهه بالجبال القابضة على قلبه، وتجثم فوقه، وقد جاء وصفه لقلبه (فؤادي الطروب) مع الحزن ليؤكد تبدل حاله من الشدو والفرح إلى مكوث الحزن مع هذا سيبقى يشدو للحياة، وإن غادرت أفراحها من قلبه.

كهذا كان استخدام عنصر المكان عند الشاعر مرتبطًا بما يجول في نفسه من حبه للعدل والسلام، حيث تناول بلادًا تعرضت للحروب ومنها ما زالت الحرب وقضيتها قائمة فيها، ومعبرًا عن الظلم الذي تعرضت له نفسه وما يكمن بداخله من حزن، وقد تنوع هذا بين المكان الحقيقي، والمكان الذي استخدم به الشاعر خياله من أجل أن يوصل للمتلقي ما يريده.

2- الزمن:

إن الأحداث سواء كانت في الماضي لها طابع مميز عند الشاعر، حيث الذكريات الماضية التي أسهمت في تكوين شخصية الشاعر، وانعكاساته النفسية، فكان لذلك أثرًا كبيرًا في إبداع الشاعر في صوره الشعرية، ذلك الأحداث الجارية والراهنة التي تساعد على تكوين عنصر الإبداع الذي يكون وليد لحظته، لذلك أهمية عنصر الزمن لا يمكن إغفالها في العمل الشعري.

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص76.

(2) المرجع السابق، ص105.

إن مفهوم الزمن مرتبط بحياة الإنسان بشكل عام سواء كان شاعرًا أو إنسانًا عاديًا، فحياته مرهونة بمراحل عمرية زمنية مختلفة، فولد طفلًا، ثم بلغ أشده، إلا أن امتد عمره إلى مرحلة المشيب، فكل مرحلة لها خصائصها وتأثيره[1]، فهو ليس مجرد حركة تقيس عليه عقارب الساعة، بل تيار حي تغيره دورة الفلك والتحولات المناخية والذي لا يسير على وتيرة واحدة[2]، فهو المحرك الخفي لمشاعرنا الكيانية، وتدور عجلته وفقا لحياتنا فتسير عجلته ببطء وقت الحزن، وتمشي مسرعة وقت الفرح[3]، فهو يضع الإنسان في لحظات زاهية مرة، ولحظات معتمة مرة أخرى[4]، فالشاعر كانت المرات القاتمة تعبيره عنها في صوره الشعرية هي المسيطرة، بما أنه يحمل هموم شعبه، ولأنه لم يتصف بالأنانية بأن يعيش بمفرده بعيدًا عن كل أذى.

قال في قصيدة **نبوءات الجائعين:**

أَنْتَ يَا وَطَنِي: شُعُوبٌ غِرَّةٌ وَالْتَهُمُ سَبْعِينَ عَامًا

ثُمَّ سِيْقَتْ كَالخِرَافِ ذَلِيْلَةً لِلْمَقْصَلَةْ[5]

يتحدث الشاعر عن فترة الحكم الأردني في الأردن، وهي سبعون عامًا من الديمقراطية، وحرية التعبير عن الرأي، ثم سادت بعده كبت الحرية، فقد شبه الشعب الساكت عن الحق وكأنه خراف تساق إلى الذبح والهلاك، ولا تستطيع النجاة.

فقال في قصيدة **أحن إليكِ:**

أَحِنُّ إِلَيْكِ...

وَأَشْتَاقُ تَقْبِيْلُ كَفَّكِ يَا رَائِعَهْ

لَدَيْنَا مِنَ العُمْرِ عُمْرٌ جَمِيْلٌ...

وَأَزْمِنَةٌ وَادِعَهْ

وَكُلُّ الذي كَانَ مِنَّا... هَوَىً وَوَفَاءً

---

(1) قضية الزمن في الشعر العربي بين الشباب والمشيب، محجوب، ص 7.

(2) لحظة الإبداعية دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، شاهين، ص5.

(3) المرجع السابق، ص5.

(4) المرجع نفسه: ص51.

(5) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 24.

وَأَفْئِدَةً في رِيَاضِ الرِّضَا قَانِعَهْ

تَعَلَّمْتُ عِشْقَكِ قَبْلَ مَجِيْئِي

وَأَدْمَنْتُهُ في قَصِيْدِي وَمَا زِلْتُ في التَّاسِعَهْ

فَكَيْفَ سَأَنْسَى...

وَلِلآَنَ أَبْحَثُ في قَسَمَاتِكِ عَنْ جَنَّتِي الضَّائِعَهْ ؟! [1]

يتحدث الشاعر هنا عن اشتياقه لأمه الذي باعدت بينهما مسافات السجن، فقد تذكر أيامه السابقة معها وخصوصًا في الطفولة، والتي كان يجمعهما الوفاء والإخلاص والرضا الذي شبهه بالحدائق الجميلة الذي يسكن فيها قلب الشاعر وأمه ويزين حياتهما، فالشاعر وجه حياته في خدمة رضا أمه، والحب الذي جعله درسًا يتعلمه من الأيام ولكنه فطرة ولد عليها، فقد شبه هذا الحب بالشراب الذي لا يمكن تركه، ولا يستغني قلمه عنه منذ كان في التاسعة من عمره، ويلجأ الشاعر إلى الزمن الحاضر كذلك مؤكدة إنه ما زال يبحث عن جنته برضا أمه.

وقال في قصيدة **مرابع الأحباب:**

صُـــبْحٌ كَهَـــذَا اللّيْـــلِ لَـــيْسَ يُبِـــيْنُ

وَتَوَجُّـــــعٌ، وَتَفَجُّـــــعٌ، وَحَنِـــــيْنُ

سَـــنَوَاتُ عُمْـــرِي فـــي الضَّـــنَا أَنْفَقْتُهَـــا

فَالـــــذّاهِبَاتُ كَأَنَّهَـــــا تِسْـــــعِيْنُ

ضَـــيّعْتُهَا مِـــنْ كِذْبَـــةٍ فـــي كِذْبَـــةٍ

وَأَنَـــا بِتِلْـــكَ الكَاذِبَـــاتِ ضَـــنِيْنُ[2].

يتحسر الشاعر عن سنوات عمره الماضية التي أنفقها في الحزن والألم، وكأنها تسعون عامًا، وهو لم يصل بعمره إلى هذا العمر، فقد كبر بأحزانه وألآمه.

وقال في قصيدة **يا من لها تأوى الطيور:**

خَمْـــسٌ وَعِشْـــرُونَ انْقَضَـــتْ وَدَمِـــي عَلَـــى

وَرَقِـــي يَسِـــيْلُ، وَفِـــي حُروفِـــي المَصْـــرَعُ

---

(1) نبوءات الجائعين، ص 65.

(2) المرجع السابق، ص 118

وَالشّـــــــعْرُ مُمْتَلِـــــــئٌ بِعِـــــــزّةِ رافِـــــــضٍ

أَنَّ الشُّـــــــعُوبَ وَراءَ ذِئْـــــــبٍ تَرْتَـــــــعُ

خَمْـــــسٌ وَعِشْـــــرونَ انْقَضَـــــتْ مُتَعَجّبًـــــا

أَنّـــــي أَعِـــــيْشُ، وَأَنّـــــي أَتَسَـــــكَّعُ[1]

يتحدث الشاعر عن الزمن الذي قضاه في السجن، حتى أنه بلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، فقد جعل ثورته وغضبه كأنه الدم الذي يسيل على الورق، وأن في الحروف التي يكتبها مصرعه، إلا إن الشعر يبقى عنوانًا للعز، وقد شخص الشعر وجعله إنسانًا يرفض الذل، ويتعجب الشاعر من وصوله لهذا العمر ويحيطه الحزن أن ما زال على قيد الحياة.

وقوله في قصيدة **زهرة في رياض المحبة:**

كَأَنَّا...

وَهَذَا المَسَاءُ حَزِينٌ... يَتَامَي

وَحِيْدةُ حُزْن أُفَتّشُ عَنْ جُرْحِ قَلْبِي

الذي قَدْ تَرَكْتُ نَدَاهُ يَسِيْلُ هُنَا

مُنْذُ عِشْرِينَ عَامَاً وَعَامَا

وَحِيْدَةُ بُؤْسٍ أُلَمْلِمُ بَعْضَ الذي يَتَبَقَّى

مِنَ الحُبِّ في آخِرَ العُمْرِ[2]

يصور الشاعر هنا حزنه وجرح قلبه وكأنه ضباب على حياته، يسيل الندى منه، منذ عشرين عامًا من المحبة.

فقال في قصيدة **أفدي بلاءك:**

خمســـــون عامًـــــا لَـــــمْ نَـــــزَلْ نَجْـــــري وَرَاءَ

ذُيـــــــــولِهِمْ وَنَنُـــــــــوءُ بِالأَصْـــــــــفَادِ

أعناقُنـــــــا طَالَـــــــتْ لِطُـــــــولِ تَطَلُّـــــــعٍ

أَتَمـــــدُّ أَعْنَـــــاقٌ إِلَـــــى الجَـــــلاَّدِ؟![1].

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 132.

(2) الزنابق، العتوم، ص23.

يتحدث الشاعر هنا عن المدة الزمنية للنكبة الفلسطينية من عام 1948م إلى وقت كتابة الشاعر لهذه الكلمات، فقد شبه الشاعر قادة الجيش الإسرائيلي والمتعاونين معهم ضد الشعب الفلسطيني بحيوانات ذات ذيول، ولم يبقَ العرب إلا وكأنهم قد كبلوا بالقيود والسلاسل لا يحركون ساكنًا.

وقال في قصيدة **قمصان الشعب:**

حَلِّـــقْ، يَجُـــوبُ الصَّـــقْرُ فِـــي عَلْيائِـــهِ

سُـــحُبَ المَـــدَى وَتَمُـــوْتُ فِـــي القَـــاعِ الـــرِّمَمْ

حَلِّـــقْ فَمَـــنْ يَرْثِيْـــكَ، إِمَّـــا تَرْتَمِـــي

فِـــي حِضْـــنِهِمْ؟! أَوْ قَائِـــلٌ لَقَـــدِ انْهَـــزَمْ

خَمْسُـــوْنَ عَامـــاً، إِنْ تَقُـــلْ لَـــمْ يَسْـــمَعُوا

أَوْ يَفْهَمُـــوا، وَاليَـــوْمَ يَسْـــمَعُكَ الأَصَـــمْ[2]

شبه الشاعر الإنسان الذي يدافع عن كرامته وكأنه صقر يحلق بكرامته عاليًا، والمتخاذلين بالرمم التي لا قيمة لها، وقد تحدث عن المدة الزمنية التي عاش فيها الظلم، وهي خمسون عامًا من التوجع والألم، ولكن لا أحد يسمع وقد وصفهم بالصم.

وجاء استخدام الشاعر لبعض الصيغ التي تدل على المستقبل والأيام القادمة، فقال في قصيدة **نبوءات الجائعين:**

هُوَ يَا أَبِي قَدَرٌ يَجِيْءُ غَدَاً وَلَنْ يُجْدِي الفِرَارْ

هُوَ يَا أَبِي ...

قَدَرٌ يُحِيْطُ بِنَا يُلاحِقُنَا ...

وَلَنْ تَخْشَى نُبَاحَ الكَلْبِ قَافِلَةُ السِّبَاعْ [3].

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 89.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 49.

(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص28.

فقد شخص الشاعر هنا القدر وكأنه يلاحق الشاعر في كل مكان، فقد كتب الله له أن يعيش حرًا، ويرفض الظلم، وشبه نفسه بقافلة السباع، ليؤكد شجاعته في مواجهة الظلم والطغيان، وأن الحق سياتي لو بعد حين.

وقال في قصيدة **غدا سأعود:**

فَـــــلا تَحْزَنِـــــي كُـــــلّ يَـــــوْمٍ يَمُـــــرُّ

وَطَيْفُـــــكُ مِثْـــــلُ مَـــــلاكٍ بِبـــــابِي

سَيُشْـــــرِقُ بَعْـــــدَ الغِيـــــابِ لِقَـــــاءٌ

وَيَمْحُـــــو بِطِيْـــــبِ نِـــــدَاهُ عَـــــذَابِي

غَـــــدًا سَـــــأَعُودُ إِليـــــكِ بِشَـــــوْقِي

فَلَـــــنْ يَسْـــــتَمِرَّ طَـــــوِيلاً غِيـــــابِي[1].

يخاطب الشاعر هنا محبوبته مؤكدًا أنه لن ينساها، مشبهًا طيفها بالملاك الذي لا يفارقه، وأنه سيلتقي بها في الأيام المقبلة.

وقد ذكر الشاعر من دوال الزمن الليل والنهار فيرمز بهما إلى حياة الحزن والتمسك بالأمل رغم هذا الحزن، وقال في قصيدة **حكاية الريح:**

لا شَيْءَ بَعْدَ اللّيْلِ غَيْرِي

إِنَّ خَاصِرَةَ المَطافِ

تَهُزُّ ذّاكِرَتِي التّي نَبَتَتْ عَلَى خُبْزِ الجِراحْ[2]

يتحدث الشاعر عن الزمن التي تهتز به مشاعره وذكرياته، ألا وهو الليل التي لا تنام فيه الذكريات، فقد شبهها بالنبات الذي زُرع على أرض الأحزان، يحصد منه الكثير من الأحزان، وقد استخدم الشاعر (خبز الجراح) ليؤكد أن الحزن أصبح شيئًا أساسيًا في حياته.

فقال:

يَا ربِّ ...

هَلْ ذَنْبِي عَظِيمٌ كَيْ أَذُوقَ المُرَّ

---

(1) المرجع السابق، ص 58.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص17.

لا أَمَلٌ يُمَنّيْنِي

إذَا عَصَفَتْ بِأَعْمَاقِي الرّياحْ؟!

مَاذَا لَقِيْتُ هَناكَ

بَعْدَ جِبالِ همّ راسِياتٍ في الصُّدورِ

سِوَى أَمَانِيَّ الشّحَاحْ؟!

لا الصُّبْحَ جَاءَ وَلا ظَلامُ اللّيلِ زَاحْ[1]

يؤكد الشاعر مدى سيطرة الحزن في أعماق قلبه، ولم يجد في الليل إلا الأحزان، وكأنها جبال ترسو على وجدان الشاعر، وأماني بسيطة.

هكذا كان الزمن عند الشاعر مساهمًا في صوره الشعرية، سواء الماضي الحزين، أو الحاضر الذي ما يزال يواجهه فيه الظلم، ولا ينسى تمسكه بمستقبل جميل.

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، ص 17–18.

الفصل الرابع:
خصائص الصورة الشعرية عند العتوم

الفصل الرابع:
خصائص الصورة الشعرية عند العتوم

أولًا: الانزياح الدلالي:

إن ما يميز الشعر عن غيره من الكلام هو استخدام الشاعر عبقريته وخياله الجم؛ لكي يصل إلى الملتقى، فيغير ويبدل ويضع التراكيب في صورة جميلة، تختلف فيها نظرته عن الإنسان العادي.

فالانزياح هو "خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة"[1]

أما الانزياح الدلالي فيخرج على قواعد الاختيار للرموز اللغوية مثل: وضع المفرد مكان الجمع، أو الصفة مكان الموصوف، أو اللفظ الغريب بدل المألوف[2].

قال في قصيدة **أيا أُمِّي**:

أيا أُمِّي .... أَيَا أُمّي ....

لَعَلَّ البَرْدَ فِي أَعْمَاقِ هَذا القَبْرِ يُؤذِيكِ

لَعَلَّ الدِّفْءَ لا يَسْرِي حَنُوناً فِي أَيادِيْكِ

وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللهَ يَحْمِيكِ[3].

فقد أورد الشاعر (أياديك) في صيغة الجمع بدلًا من صيغة المثني (في يديك) ؛ لأنه لا يخاطب جماعة، إنما يخاطب أمه التي أصبحت تحت التراب، وأصبح هو الذي يخاف عليها من لفحات البرد، ويمكن القول لجوء الشاعر لصيغة الجمع بأنه اعتراف لفضلها عليه، والحنان التي تفيض به الأم غير المحدود.

---

(1) الأسلوبية الرؤية والتطبيق، أبو العدوس، ص 180.

(2) المرجع السابق، ص 188، والتحليل الألسني للأدب، عزام، ص 107.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص42.

وقال في قصيدة **قلبي عليكِ حبيبتي:**

هذا زَمانُكَ يا هَوانْ

وحَبيبتي اغْتُصبتْ وقد كان الذي يومًا وكانْ

إني لأسألُ مِن عَذابِ العِشقِ مُنتِفضًا

لماذا علّموني أنْ أظلَّ مُطأطِئًا قلبي

وأَعبدُهمْ... وأرقصُ فوقَ حَبلِ الزيفِ مِثلَ البَهلَوانْ

وأظلُّ أنبحُ بالهُتافِ لهمْ وَكَفّي مَهرجانْ[1]

فهنا استخدم الشاعر التركيب اللغوي (مطأطئا قلبي) خارجًا عن المألوف في هذا التركيب (مطأطئا رأسي) فهو الذي رفض الخضوع للذل، في وقت اعتاد العرب والحكام الخضوع للمصالح الشخصية لأمريكا، فجاء استخدام (قلبي) ليدل على تمكن أمريكا من العرب، الذين يتبعون أوامرها بدون إعمال العقل، وكذلك استخدامه (أنبح، الهتاف) كمدلولين صوتيين بجوار بعضهما ليؤكد على أن من يخضع لسلطة الذل والهتافات التي تفكك المجتمع العربي لا يليق به إلا نباح الكلاب.

وقال في قصيدة **قالت لها:**

فَلَـــوْ تَرَاهَـــا زُهُـــورُ الـــرَّوْضِ لانْتَحَـــرَتْ

وَالشَّـــمْسُ لانْخَسَـــفَتْ، وَالبَـــدْرُ لانْكَسَـــفا

قَالَـــتْ لَهـــا السُّـــحْبُ وَالأَزْهارُ :مَـــا صَـــنَعَتْ

بِـــكِ اللَّيـــالِي؟ فَقَالَـــتْ: شَـــاعِرٌ خَرِفَـــا[2].

جاء الانزياح في قول الشاعر: وَالشَّمْسُ لانْخَسَفَتْ، وَالبَدْرُ لانْكَسَفا، حيث خرج الشاعر عن المألوف، فالظاهرة المصاحبة للشمس هي الكسوف، أما القمر الخسوف، فقد عكس الشاعر هاتين الظاهريتن، ليضع المتلقي في جو من الدهشة والتدقيق، ويمكن أن نسمي هذا الشيء مفارقة "وهي حدوث ما لا يتوقع"[3]

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص104.

(2) المرجع السابق، ص 112-113.

(3) في النقد الحديث، عبد الرحمن، ص 60.

وقال في قصيدة **يا قلب أمتنا:**

وَعَـــــدَتْ عَلَيْـــــكَ ذِئـــــابُهُمْ وَكِلابُهُـــــمْ

وَتَناهَشَـــــــتْكَ النّـــــــابُ والأَظْفـــــــارُ

حَفَـــرُوا عَلَـــى الأَنْفـــاقِ تَحْتَـــكَ وَادَّعَـــوْا

آثـــــــارَ هَـــــــيْكَلِهِمْ وَلا آثـــــــارُ[1]

جاء هنا قول الشاعر (النّاب) في صيغة المفرد بدلًا من صيغة الجمع (أنياب) مع أن صيغة الفعل يناسب صيغة الجمع. فقال في قصيدة **يا غزة العز:**

ســـــاداتُنا بَيَّعُونـــــا فـــــي نِخاسَـــــتِهِمْ

وَسَـــلَّمُونا، فَيـــا رَبِّـــي بِمَـــنْ نَثِـــقُ؟!

يَـــا أمّتـــي ألـــفُ آهٍ تَسْـــتَبِي دَمَنَـــا

تَكـــادُ مِنْهـــا عُـــروقُ الصَّـــبْرِ تَخْتَنِـــقُ[2]

جاء هنا الفعل المضارع (تختنق) مع اللفظ (عروق) فالذي يناسب هذا اللفظ هو الفعل (تنزف) ليوحي بمدى المعاناة.

هكذا جاء الانزياح ليدل على عبقرية الشاعر، وابداعه الشعري في الخروج عن المألوف ومفارقة النفعي والعدول إلى الإيحاء.

ثانيًا: الصورة الرمزية:

يلجأ الشاعر إلى الغموض والتشويق في استخدام دلالات رمزية في صوره الشعرية، مما يجعل القارئ والناقد يدقق للبحث عّما وراء هذه الرموز.

إن الرمز بشكل عام قديم قدم الإنسان، حيث إن الكلمة التي ينطق بها الإنسان التي هي أساس اللغة عبارة عن مجموعة من الرموز يتخذها الإنسان وسيلة للتفاهم[3]، لكن الرمز الشعري قد عمد الشاعر إلى إخفاء مقصده لأمر ما، كتشويق القارئ وإعمال فكره مثلًا ، أما الرمز اللغوي فهو للتفاهم بين الناس المتعارف بين أبناء اللغة الواحدة مثل الأسد ذلك الحيوان المعروف بقوته وشجاعته.

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 24.

(2) طيور القدس، العتوم ، ص67.

(3) الرمز في الشعر العربي (دراسة تطبيقية فير شعر بدر شاكر السياب)، الطاهر، ص10.

يلجأ الشاعر إلى تكرار الصور في أعماله حتى تصبح رمزًا شعريًا له دلالته المحددة التي يتعمق فيها مرة بعد مرة[1] فالرمز هو " كل ما يحمل محل شيء آخر في الدلالة عليه، ليس بطريقة المطابقة التامة أو الإيماء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى شيئا محسوسًا يحل محل المجرد"[2]

إن الرمز الذي ورد عند الشاعر بشكل كبير هو (ميسون) الذي يمكن أن يقال عنه الرمز الشعري الجمالي كما قسمه أرسطو وهو " الذي يعني حالة باطنية معقدة من أحوال النفس وموقفاً عاطفيًا ووجدانًا" [3] كما أنه يعبر ما يجول في نفس الشاعر عن الحب الجامح وعلاقة وجدانية لدى الشاعر.

1- ميسون:

لا بد من الوقوف قليلًا عند هذا الرمز، فقد جاء فيما سبق نماذج شعرية أورد فيها الشاعر هذا الرمز، لكن هنا سيتم الوقوف حول خفايا هذا الرمز وسبب اختيار الشاعر له.

أكد الشاعر أن (ميسون) رمزٌ حيث قال في قصيدة **ويبقى العطر بعد الياسمين:**

أميســـــونُ الّتـــــي عاشـــــتْ كَرَمْـــــزٍ

وَلَمَّـــــا يَنْتَهِـــــي فِيهـــــا جُنُـــــونِي

بِـــــيَ الأشـــــواقُ بَعْـــــدَكِ تَسْـــــتَبِيْنِي

وَأَنْثُرُهـــــا عَلـــــى جُـــــدُرِ السُّـــــجُونِ[4]

عند النظر إلى معنى هذا الرمز (ميسون) في المعاجم العربية، فقد جاء في المعجم الوسيط بأنه " من الغلمان الحسن الوجه"[5]، وفي لسان العرب جاء " ميسون اسم امرأة بنت بحدل الكلبية[6]، والميسون: فرس ظهير بن رافع، شهد عليه يوم السرج" وجاء كذلك " ميسون اسم امرأة، أصل الميسون الحسن القد والوجه" [7]

---

(1) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجبار، ص201.

(2) وهبه، معجم المصطلحات الأدبية، وهبه، ص552.

(3) الرمز الشعري عند الصوفية، نصر، ص19.

(4) نبوءات الجائعين، العتوم، ص61.

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص894.

(6) شاعرة إسلامية وهي أم يزيد بن معاوية، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، يموت، ص 157.

(7) لسان العرب، ابن منظور، مج13/ 408.

فالعلاقة بين المعنى اللغوي لهذا الرمز وبين ما يريد الشاعر التعبير عنه من الجمال والوجه الحسن علاقة قوية فربما كان اختيار الشاعر لهذا الاسم لما يحمل في طياته من الحسن والجمال، فيرمز به إلى المرأة الحسناء ذات الأخلاق الحسنة التي تكون وطنًا للرجل، ورمزًا للغزل لدى الشاعر، فربما كان لهذا الرمز أبعاد أدبية، تأثرًا بالشاعر نزار قباني الذي تغزل بميسون.

فقد تحدث الشاعر عن جمالها، ومدى ارتباطه بها في قصيدة **هياكل شاعر** مخاطبًا ميسون:

وَهُنَا أُحِبُّكِ...

أَوْ هُنَا يَقِفُ الفُؤَادُ مُحَيَّرًا

وَيَموتُ فِي عَيْنَيْنِ قَاتِلَتَيْنِ...

تَحْتَرِفَانِ قَتْلَ مَشَاعِرِي[1]

ويقول في القصيدة نفسها:

وَأُسَائِلُ الأَشْوَاقَ:

هَلْ كَانَ ابْتِدائِي كَانْتِهَائِي...

أَمْ تُرَى... شَيْئَانِ لَمْ يَدَعَا لِصَبْرِي مَنْزَحًا:

حُبِّي القَدِيْمُ...

وَمَا أُقَدّسُ مِنْ طُقُوسِ شَعَائِرِي!!

أَرَأَيْتِ...

مَجْنُونٌ بِسِحْرِكِ...

مَيّتٌ فِي بَسْمَةٍ ...

تَجْلُو هُمُومِي أَوْ تُبَرّدُ ثَائِرَاتِ مَجَامِرِي[2]

في هذه الأبيات يوضح الشاعر مدى ارتباطه بميسون أو كما وصفها (حبي القديم) ؛ ويمكن القول بأن السبب وراء اتخاذ الشاعر لهذا الرمز حفاظًا على حياة خاصة لدى الشاعر،

(1) الزنابق، العتوم، ص 66.

(2) المرجع السابق، ص67.

حيث في الأبيات الأولى حين يصف ويعبر عن جمال ميسون ذات العينيين القاتلتين، فقد شبهما الشاعر وكأنهما مجرمتان محترفتان، تجيدان قتل مشاعر الشاعر، التي وصفها وكأنها شيء مريء يُرى بالعين المجردة ويُقتل، وفي مجموعة الأبيات الثانية فقد وصف الشاعر بسمتها التي تُعّد بلسمًا وثلجًا يبرد به أحزانه وهمومه.

وقال في **قصيدة الأوتار**:

يَـــا وَجْـــهَ مَيْسُـــونَ لِـــي فِـــيْ نُـــورِهِ شَـــغَفٌ

لا يَنْتَهِـــــي، مَـــــرَّ أزمـــــانٍ وَأَشْـــــطَارِ

جُنَّـــــتْ بِعَيْنَيْـــكِ أَقْمـــــاري، وَحِـــــيْنَ رَنَـــــتْ

لَـــمْ تَنْـــتَفِضْ لِسِـــوَى عَيْنَيْـــكِ أَقْمـــارِي[1]

يكمل الشاعر وصفه لميسون في صورة غزلية، حيث يخاطب هنا وجه ميسون، الذي يرى من خلاله ما حوله عبارة عن أقمار تصاب بالجنون والدهشة لجماله.

فقد اعتبرها الشاعر الملهمةَ الأولى وراء كتابته للشعر، والمنبع الأول لنهوض الشاعر للتعبير عن مشاعره فقال في القصيدة نفسها:

أَرَأَيْتِ ...

يَا (مَيْسُونُ)

كَيْفَ كَتَبْتِنِي شِعْرًا

وَكَمْ أَبْدَعْتِنِي

وَخَلَطْتِ بَعْثَرَتِي بِأَوْرَاقِ الجُنُونِ الثّائِرِ[2]

ويقول في قصيدة **سلام عليها**:

(لِمَيْسُونَ) ....

أَرْفَعُ كَفّيْنِ عِنْدَ الصّبَاحِ...

كَفّيْنِ عِنْدَ المَسَاءِ...

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 96.

(2) الزنابق، العتوم، ص68.

فَيَنْهَمِرُ الشّعْرُ مِثْلَ المَطَرْ[1]

فيوضح الشاعر هنا مدى تمسكه بميسون التي تصطحب دعواته إلى الله صباحًا ومساءً، حتى جعلت الشاعر يكتب الشعر بغزارة المطر.

ويشير الشاعر إلى نهاية ميسون، ولكنها أبقت له الذكريات والحنين والشوق، بعد مشواره معها منذ الطفولة وقد ذكر ذلك في **القصيدة نفسها:**

وَمَا كُنْتُ أَجْهَلُ (مَيْسُونَ) قَبْلَكِ

(مَيْسُونَ) أَعْرِفُهَا قَبْلَ عِشْرِينَ عَامًا

وَأَعْرِفُ مُنْذُ الطُّفُولَةِ...

كَمْ كَانَ يَكْبُرُ فِيّ هَوَاهَا وَكَيْفَ تَنَامَى[2]

وبعد العشرين يعود الشاعر ويعبر عن آلام الشوق والحنين، فقد أعد نفسه جسدًا بلا روح حين غابت عنه فقال في قصيدة **باكية على القبر:**

فَإِذَا اسْوَدَّ ظَلامٌ وَأَنَا مَا زِلْتُ في القَبْرِ مُسَجَّي

سَيَلُوحُ الأُفْقُ بَرْقَا

هَاتِفًا:

(مَيْسُونُ) هَذَا الشَّاعِرُ المَحْزُونُ

قَدْ مَاتَ مَعَ الأَيَّامِ عِشْقَا

آهِ يَا (مَيْسُونُ)...

مَاذَا عن فَؤَادِي؟!

مَنْذُ عِشْرِينَ مِنَ الأَعْوَامِ

لا أَدْرِي إِذّا مَا تَاهَ عَنْ غَيّ الرَّشَادِ

مَنْذُ عِشْرِينَ مِنَ الأَعْوَامِ لَمَّا أَلْتَقِيْه

---

(1) الزنابق، العتوم، ص72.

(2) المرجع السابق، ص74.

هَلَ تُرَى يَصْدَأُ هَذَا القَلْبُ مِنْ طُولِ البِعَادِ؟! [1]

يعبّر الشاعر عن ما تركه انقطاعه عن ميسون ، فقد شبه حياته من بعدها بالقبر، وبأنه ميت، ولكن ما زال يهتف بريقًا وسط ظلام القبر باسم ميسون، ومع أن هذا يعبر عن مشاعر فيّاضة، وعمق محبة، إلا أن فيه من التأكيد والمبالغة في التعبير عن مشاعره.

وترى الباحثة في قول الشاعر في قصيدة **لكِ الذّكرى** سبب انقطاعه عن ميسون حيث يقول:

وَأَيُّ نِسَـــــاءِ الأَرْضِ تَرْضَـــــى بِشَـــــاعِرٍ
يُحَمِّلُهَـــــا مَـــــا لا تُطِيْـــــقُ صَـــــبْرَا
كِفَاحًـــــا وَتَشْـــــرِيْدًا وَسِـــــجّنًا وَغُرْبَـــــةً
وَذَا حَـــالُ مَـــنْ قَـــدْ شَـــاءَ أَنْ يَنْتَهِـــي حُـــرَّا[2]

ويستمر الشاعر في التعبير عن ما أصابه حين فراقه عن ميسون مشبهًا هذه المرة حياته بالسجن الذي، فقال في قصيدة **أوتار**:

سُـــــجْنْتُ بَعْـــــدَكِ سِـــــجْنًا لا أُفارِقُـــــهُ
ولا يُفـــــــــــارِقُني، دَيْنًـــــــــــا لأَوْزارِي
وَلَـــــوْ يُخَيَّـــــرُ إِنْســـــانُ بِعَاشِـــــقِهِ
لَكَـــــانَ حُـــــرًا، وَلَكـــــنْ غَيْـــــرُ مُختـــــارِ!!
يـــــا وَجْـــــهُ مَيْسُـــــونَ لَـــــمْ أَشْـــــرَبْ سِـــــوى كَلَـــــفٍ
وَلَـــــمْ أَذُقْ بَعْـــــدَ تَـــــوْقِي كَـــــأْسَ خَمَّـــــارِ
لِلْحُـــــزْنِ بَعْـــــدَكِ طَعْـــــمٌ لَـــــيْسَ يَجْرَعُـــــهُ
غَيْـــــرِي، فَـــــأَيَّ حَـــــزِيْنٍ، كُنْـــــتُ، جَبَّـــــارِ
مُسْـــــتَلْهِمًا قَلَقًـــــا، مُسْـــــتَمْطِرًا غَرَقًـــــا
مُسْتَسْـــــكْرًا نَزَقًـــــا، مَـــــذْهُولَ أَنْظـــــارِ[3]

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 41.

(2) المرجع السابق، ص88.

(3) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص96 –97.

فقد شبه هنا حياته بالسجن أصبح مقيدًا بعد غياب ميسون، فهذا السجن النفسي لا يفارقه، وإن تظاهر بغير ذلك، ثم بعد ذلك يشبه حبه وكأنه شراب مر يتجرعه، ولم يجد من يخفف عنه مرارته، ثم يشبه الحزن الذي يشعر به بالطعام، وكأنه لم يتذوقه أحد من قبله، فأصبح شعوره مختلطًا بين القلق والشعور كأنه في بحر واسع يغرق، والصدمة التي أبقت عينيه في حالة من الذهول.

2- حمدان:

كتب الشاعر قصيدة بعنوان (حمدان) وقد اتخذ من هذا الاسم رمزًا-كما ذكرت سابقًا- للإنسان العربي المظلوم والمضطهد، الذي ينتظر قرارات عادلة لكي يحيي بسلام، ينتظر الأمل أن يأتي، ولكنه ما يزال يحلم بتحقيق العدل وصحوة الضمائر العربية، أما عن سبب اختيار الشاعر لاسم حمدان فهو من وحي الشاعر، فربما هذا الاسم من الأسماء المحببة لديه، وبما يوحي به الاسم من الحمد والقناعة، فقال فيها:

قَـــالُوا نُقاتِـــلُ فـــي صَـــفِّ العُرُوبَـــةِ مَـــعْ

حَمْـــدانَ، حَتَّـــى وَإِنْ مَـــادَتْ بِنَـــا السُّـــبُلُ

قَـــالُوا نُقاتِـــلُ، مَهْمَـــا كـــانَ، لَـــيْسَ دَمِـــي

يَصِـــيْرُ مَـــاءً، وَلا يُسْـــتَعْذَبُ الوَشَـــلُ

قَـــالُوا...وَفِي اللَّيْـــلِ سَـــنُّوا حَـــدَّ خِنْجَـــرِهِمْ

وَأَغْمَـــدُوهُ، فَسَـــالَتْ بِالأَسَـــى المُقَـــلُ

حَمْـــدانُ مَـــا لَـــكَ بِالـــدُّنيا وَســـادَتِها

وَاللهِ، لا وَأَبِـــي آبـــائِهِمْ، قِبَـــلُ

هَفَـــتْ إِلَيْـــكَ دِيـــارٌ مِـــنْ بَنـــي عَـــرَبٍ

أَرْمَـــاحُهُمْ فـــي هَـــوَى أَجْســـادِنا قُبَـــلُ

مَشَـــوْا إِلَيْـــكَ بِأَعْنـــاقٍ مُخَضَّـــعَةٍ

وَكُلُّهُـــمْ فِـــي جُحُـــورِ الغَـــرْبِ قَـــدْ دَخَلُـــوا[1]

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص85.

يصور الشاعر هنا حال الحكام العرب تجاه أبناء الشعب الفقراء والضعفاء، فيوهموهم بأن القرارات كلها لصالحهم، وإن الدم لا يصبح ماء، وبأنهم يخافون على دموعهم وأوجاعهم، مشبها الدموع التي يذرفونها الفقراء بأنها ليس بشراب عذب، ثم يحاول الشاعر أن يبث روح التحدي في كل (حمدان) ويحثه بأن لا يخضع لقرارات الحكام، لأنهم تربوا في حجور الغرب.

3- **الرمز بالحيوانات:**

أ- الكلاب:

جاء هذا الرمز عند الشاعر في الحديث عن حال الحكام المتخاذلين ومساعديهم، كرمز يدل على الاستحقار والاستهزاء بهم، فربما اختار الشاعر لهم هذا الرمز لما في قرارات الحكام العرب خضوع لأوامر الدولة المسيطرة على الدول العربية (أمريكا)، فقد كان هناك تشابه بين هذا الرمز والحكام بأنهما يأخذون القرارات حسب مصالحهم العامة، بعيدًا عن الإنسانية والتفكير بشعبهم. وقد جاء هذا في قصيدة **يا من لها تأوى الطيور** حيث قال:

زَمَـــنٌ بِـــهِ تَقْضِـــى الكِـــلابُ وَتَحْكُـــمُ

الفِئْـــرانُ فِيـــهِ، وتُسْتَشَـــارُ الضِّـــفْدَعُ[1].

ويقول في قصيدة **صرخة في الوادي المقدس:**

لا تَجْزَعِـــي ... كَـــمْ شَـــامخٍ مـــا ضَـــرَّهُ

نَـــبْحُ الكِـــلابِ وَلا طَنِـــيْنُ ذُبـــابِ[2]

وقال في قصيدة **النائبة:**

فِي بِلادِي

يَحْكُمُ الأَمْنُ الخُرافِيُّ

وَأَرْبابُ المَلاهِي

والكِلابُ السَّائِبَةْ[3]

وكذلك جاء في قصيدة **مشاعر في هوى الأردن** فقال في المراقبة الأمنية:

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 132.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص75.

(3) نبوءات الجائعين، العتوم، ص68.

مِمَّـــنْ أَخَـــافُ؟! جِهَـــازُ الأَمْـــنِ يَرْقُبُنِـــي

وَشَـــارَكَتْهُ بِنَقْـــلِ الهَمْـــسِ حِيْطَـــانِي

كِلابُهُـــمْ مِثْـــلَ ظِلِّـــي لا تُفَـــارِقُنِي

تَقِـــيْسُ لِـــي حَجْـــمَ أَنْفاسِـــي بِمِيْـــزَانِ

هَـــمْ يَسْـــهَرُونَ عَلَـــى أَمْنـــي أَأَشْـــتُمُهُمْ؟!

شُـــكْرًا لَهُـــمْ، ضَـــاقَ بِالعِرْفَـــانِ عِرْفَـــانِي

لَـــوْلايَ مَـــا وَجَـــدُوا دَرْبًـــا لِتَسْـــلِيَةٍ

وَلا أَنَـــا خَـــارِجُ مِـــنْ جِلْـــدِ قَرْفَـــانِ

فَـــأَمّنُوا خُبْـــزَكُمْ، وَاسْـــتَنْجِدُوا دُرَرِي

تَكْسُـــو العَرَايَـــا وَتُـــرْوِي جَـــوْفَ ظَمْـــآَنِ[1]

يصف الشاعر بأسلوب السخرية المراقبة الأمنية له والحراس داخل السجن، فرمز لهم بالكلاب لتنفيذهم للأوامر دون التفريق بين الحق والباطل، فقد شبه ذلك وكأنه نفسه الذي لا يفارقه ما دام على قيد الحياة، ويكمل الشاعر سخريته بأن جعل وظيفتهم حمايته؛ لذلك يجب تقديم الشكر لهم بدلًا من شتمهم، كذلك الشاعر قدم لهم معروفًا، بأن جعلهم يجيدون ما يقضون به أوقاتهم.

وفي قصيدة **مقبرة الأحياء** قال:

كَفَـــرْتُ بِـــالظُّلْمِ وَالجَـــلاّدُ يُرْهِبُنـــا

وَيَحْكُـــمُ الشِّـــعْبَ بِالبُسْـــطارِ وَالرُّتَـــبِ

وَبِـــالجُموعِ التّـــي اعْتـــادَتَ تَمَلُّقَهـــا

(مَسَّـــيْحَةِ الجُـــوخِ أَوْ هَزِّيـــزَةِ الـــذَّنَبِ)

وَبِـــالتَّرَوِّي الّـــذي صـــاحَتْ حَنـــاجِرُهُ

يـــا شـــاعِرَ الزّحْـــفِ حتّـــى الآنَ لَـــمْ تَتُـــبِ

وَبِـــالكِلابِ التّـــي فِـــي جِسْـــمِنَا نَهَشَـــتْ

حَتّـــى أُصِـــيبَ جَمِيـــعُ الشَّـــعْبِ بِالكَلَـــبِ

وَبِالكَراسِـــي التّـــي مِـــنْ يَـــوْمِ أَنْ غُرِسَـــتْ

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 49-50.

فِــي جِلْــدِنا، وَهْــيَ مِسْــمارٌ عَلَــى خَشَــبِ[1]

يستمر الشاعر بالتعبير عن الحراس في السجن (بالكلاب) مؤكدًا رفضه للظلم والظالم، مشخصًا التروي الشيء المعنوي وجعله إنسانًا ذات الحناجر القوية، وذلك لما يطلبه من حوله بالهدوء والمصالحة من جهاز الأمن، والالتزام للأوامر كما باقي الشعب، جاعلًا لهؤلاء الساكتين أمام الطغاة مصطلح (مسيحة الخوخ، أو هزيزة الذنب).

ب- الخرفان:

وقد اتخذه الشاعر للشعب، الذي يرضى بالقليل من حقه، وكل همه أن يعيش، ويتوفر له الطعام والشراب، وربما لهذا السبب ربط الشاعر بين هذا الرمز (الخرفان) الذي في النهاية من يطعمه ويحميه هو من يذبحه، وبين الشعب الذي يؤدي به حاميه إلى الهلاك.

فقد جاء هذا في تكملة الأبيات السابقة حيث قال:

وَبِالسُّــــجُونِ التّــــي تُبْنَــــى لِتَعْلِفَنــــا

فِيهــــا قَطِيعًــــا مِــــنَ الخِرْفــــانِ بِالعُشُــــبِ

إنّــــا نَعُــــدُّ هُنــــا أَلْقابَنــــا رَقَمًــــا

فَــنَحْنُ أَحْقَــرُ مِــنْ رَقْــمٍ عَلــى لَقَــبِ[2]

وكذلك قال في قصيدة **يا من لها تأوي الطيور**:

زمــــن (الَمرابِيْــــعِ) الــــذي لا ينتهــــي

ولكــــل شــــعب كبشــــه المُتَمَرْبِــــعُ[3]

يعبر الشاعر هنا عن مجموعة من الشعب الصامتين وكأن على رؤوسهم طير، لا يستطيعون التحرك بدون أوامر، فرمز لهم (بالمرابيع) وقد جاء هذا من الرعي، لاهتمامهم بمصالحهم دون المصلحة العامة.

وقال في قصيدة يا **من لها تأوي الطيور**:

خَمْــسُ وَعِشْــرُونَ انْقَضَــتْ وَدَمِــي عَلــى

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص116.

(2) المرجع السابق، ص116.

(3) المرجع نفسه، ص132

وَرَقِـــي يَسِـــيْلُ، وَفِـــي حُروفِـــي المَصْـــرَعُ

وَالشّـــــــغْرُ مُمْتَلِـــــــئٌ بِعِـــــزْةِ رافِـــــضِ

أَنَّ الشُّـــــــعُوبَ وَراءَ ذِئْـــــــبٍ تَرْتَـــــــعْ[1]

يستمر الشاعر هنا بالرمز إلى الشعب المسالم والذي لا يصنع القرار وكأنهم خرفان تُرعى، وكذلك رمز إلى الحكام لما في أيديهم قوة بالذئب، الذي يستولي ويفترس هذه الخرفان.

4 – الفجر والظلام:

بما أن الشاعر مر بتجربة السجن، والتوق إلى الحرية، فقفد اتخذ رمزين (الفجر والظلام) في بعض الصور الشعرية، فالسجن بما فيه من ضيق الحياة، وأيام فيه لا يمكن إلا أن تعطي لونًا أسودًا كما الظلام؛ لذلك اتخذ الظلام له رمزًا، وبما أن بعد كل ظلام ينبثق الفجر، فاتخذ الشاعر (الفجر) رمزًا للحرية التي حصل عليها بعد الظلام.

فقال في قصيدة **مقبرة الأحياء:**

فَقُـــلْ لَهُـــمْ أَيْهـــا المَسْـــكُونُ فِـــي عُنُقِـــي

لَسْـــنا نَـــذِلُ وَإِنْ نُرْفَـــعْ عَلَـــى الصُّـــلُبِ

لَنـــــا صَـــــباحٌ إِذا اخْتـــــالُوا بِظُلْمَـــــتِهِمْ

فَقَـــدْ لَمسْـــنا ضِـــياءَ الصُّـــبْحِ عَـــنْ كَثَـــبِ[2]

وقال في قصيدة **قيدي من الصمت:**

هَـــلْ بَعْـــدَ لَيْلِـــكِ يَـــا دُنْيَـــايَ مُنْـــبَلَجٌ

مِـــنَ الضِّـــيَاءِ فَـــإِنَّ الفَجْـــرَ لَـــمْ يَفِـــدِ

قَيْـــدِي مِـــنَ الصَّـــمْتِ لا سِـــجْنٌ وَلا زَرَدٌ

سَلاسِـــــلِي لَـــــمْ تُقَيِّـــــدْنِي وَلا زَرَدِي

سَأَكْسِـــــرُ القَيْـــــدَ جَهْـــــرَاً لا أُخَـــــافُهُمُ

إِنْ أَوْعَـــدُونِي، وَإِنْ هُـــمْ مَزَّقُـــوا جَسَـــدِي

إِنْ صَـــــافَحَتْ يَـــــدُهُمْ أَيْـــــدِي قَرَاصِـــــنَةٍ

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 131.

(2) المرجع السابق، ص 117.

حَسْـبِي مِـنَ الفَخْـرِ أَنِّـي مَـا مَـدَدْتُ يَـدِي[1]

يؤكد الشاعر أنه في يوم من الأيام سيرى النور ويتنسم الحرية، فقيده ليس بالسلاسل التي يُقيد المجرمون يها، وإنما قيده بأن يمنعوا قلمه ومحبرته من أن تشعل الثورة.

وقال في قصيدة **يا من لها تأوي الطيور:**

السُّـــــجْنُ عَلَّمَنَـــــا الحَيـــــاةَ وَخَيْرُنَـــــا
مَـــنْ كـــانَ يَولَـــدُ فِـــي السُّـــجُونِ وَيَرْضَـــعُ
لِـــي فِيـــهِ أَعْـــذَبُ مَـــا هَمَمْـــتُ بِلَفْظِـــهِ
مِـــنْ أَحْـــرُفٍ فِـــي رَوْضِ حُبُّـــكِ تُـــزْرَعُ
يـــــا جَنَّتِـــــي للـــــرَّاحِلِيْنَ نِهايَـــــةٌ
وَلِكُـــــلَّ مُرْتَحِـــــلٍ أَخِيـــــرًا مَرْجـــــعُ
إِنْ طـــــالَ فَجْـــــرِي وَارْتَقَبْـــــتِ طُلُوعَـــــهُ
فَـــالفَجْرُ مِـــنْ خَلَـــلِ الظَّـــلامِ سَـــيَطْلُعُ[2]

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات بأنه سيبقى منتظرًا انبثاق الفجر والحرية من بين ظلام السجن، الذي جعل من هذا السجن مدرسة يتلقى فها دروس الحياة، حتى وإن طال طلوع الفجر، فهو صامد، يتحدى من أجل أن يرى الحرية.

وكذلك اتخذ الشاعر الرمز (الفجر) للنصر على الأعداء؛ لرجوع الحق لأصحابه، ورمز (الظلام) للعدو الذي ينهب الحقوق، ويسود من خلاله الظلم والدمار.

وقال في قصيدة **يا قلب أمتنا:**

حَمَلُـــوْا عَلَـــى أَكْتـــافِهِمْ أَرْواحَهُـــمْ
وَعَلَـــى طَرِيْـــقِ المُصْـــطَفَى قَـــدْ ســـارُوا
لِيُخَلِّصُـــــوْكَ ويُخْلِصُـــــوْكَ لأُمَّـــــةٍ
قَـــدْ شـــاقَها فِـــي المَشْـــرِقَيْنِ نَهـــارُ
وَالفَجْـــرُ – مّهْمَـــا طـــالَ لَيْلُـــكَ – قَـــادِمٌ

---

(1) نبوءات الجائعين، العتوم ، ص 100-101.

(2) المرجع السابق، ص 132- 133

فطِـــــوَالُ أَيَّـــــامِ الظَّـــــلامِ قِصـــــارُ[1]

يتحدث الشاعر هنا عن الذين يدافعون عن المسجد الأقصى، الذين يستعدون أن يقدموا أرواحهم في سبيله، فقد جعل الشاعر أرواحهم كالشيء المادي الذي يُحمل، فهم يسعون من أجل النصر، الذي مهما طال الظلم والطغاة حتما سيأتي.

وقال في قصيدة **لبنان يا وجه المآسي:**

وَالحَـــقُّ لَـــمْ يَرْجِـــعُ ب (سِـــلْمٍ شَـــامِلٍ)

إنَّ الحُقـــوقَ مِـــنَ الأَفَـــاعِي تُنْـــزَعُ

وَإذا هُـــمُ احْتلّـــوا الـــبِلادَ بِحَرْبِنَـــا

فَبِغَيْـــرِ ذَاتِ الحَـــرْبِ لا تُسْـــتَرْجَعُ

فـــاهْزَأْ بِمَـــنْ ظَنُّـــوا اليَهـــودَ صَـــفَوْا لَنَـــا

فَـــالغِرُّ بِالوَجْـــهِ المُلـــوَّنِ يُخْـــدَعُ

مَهْمَـــا يَطُـــولُ اللَّيْـــل فـــي ظُلُماتِـــهِ

أَوَ لَـــيْسَ بَعْـــدَ اللَّيْـــلِ صُـــبْحٌ يَطْلُـــعُ؟!

سَـــتَبِيْدُ غِرْبَـــانُ الظَّـــلامِ وَتَمَّحِـــى

وَسَيُشْـــرِقُ الفَجْـــرُ البَهِـــيُّ الأَرْوَعُ[2]

وفي هذه الأبيات يؤكد الشاعر كذلك على أنه مهما طال الزمن سيطلع الفجر، وسينزع الحق المسلوب من المحتل الذي شبههم بالأفاعي مرة، لأنهم يتظاهرون بالمحبة وقانون المصلحة العامة أو ما يدعى السلام، ولكنهم يخبون سمًا قاتلًا كما الأفاعي ، ومرة أخرى وصفهم بغربان الظلام الذين ينشرون الظلام والحزن بين الناس كما سواد الغراب، وكذلك قال في قصيدة **نزه تراب القدس:**

والنَّصْـــرُ للإِســـلامِ حتـــى إنْ يَطُـــلْ

ليـــلُ الطُّغـــاةِ وتُظْلِـــمِ البَطْحَـــاءُ

وسيُشْـــرِقُ الفجـــرُ الجميـــلُ وتزدهـــي

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 25-26.

(2) المرجع السابق، ص57.

للنّـــــــاظِرينَ الأنْجُـــــــمُ الزَّهْـــــــراءُ

فـــــوق الـــــذُّرا يـــــومَ الجِهـــــادِ لِواؤُنـــــا

ولنـــــا المُنـــــى والمَجْـــــدُ والعَليـــــاءُ

ولنـــــا الغِـــــلابُ، لنـــــا الصَّـــــباحُ، ونـــــورُهُ

ولنـــــا العُلـــــى، والعِـــــزَّةُ القَعْسَـــــاءُ[1].

هكذا استخدم الشاعر الرمز في صوره الشعرية، فقد تنوعت الأسباب لاستخدامه لرمز عن غيره من الرموز، فمثلا الرمز (ميسون) حفاظًا على الحياة الشخصية لدى الشاعر، وكذلك يمكن القول بأن مِن الشعراء من اتخذ للمحبوبة رمز (ليلي) مثلًا أسوة (بقيس وليلى) أما الرمز (الفجر والظلام) أصبح معروفًا ومتداولًا عند الشعراء على أنه النصر بعد الظلم.

وهناك بعض الرموز التي اتخذها الشاعر ولكنها لم تتكرر كثيرًا منها في قوله في قصيدة **العراق الحر**:

آهِ يَـــــا (حَـــــارِثُ) يَـــــا (ضَـــــارِيْ) وَيَـــــا

(مُسْـــــعِرَ الحَـــــرْبِ) وَيَـــــا رَايَـــــةَ جَعْفَـــــرْ

اغْسِـــــلُوْنَا مِـــــنْ دُمَـــــى الـــــذُّلِّ جَمِيْعَـــــاً

وَاقْبَلُوْنَـــــا كَجُنُـــــوْدٍ فـــــي المُعَسْـــــكَرْ

سَـــــوْفَ تَحْكِـــــي صَـــــفْحَةُ التَّـــــارِيْخِ عَـــــنْكُمْ

حِيْنَمَـــــا فـــــي قَابِـــــلِ الأَيَّـــــامِ تُنْشَـــــرْ[2].

اتخذ الشاعر كلمتي (حارث وضاري) رمزًا لكل شجاع يأخذ حقوقه من جوف الأسُود، بالسيف والقتال، فقد اختار الشاعر هاتين الكلمتين لما يوحي معناهما بالقوة والشجاعة، فالحارث اسم من أسماء الأسد، والضاري تعني القوي الشجاع.

ثالثًا: التناسق الفني:

يستخدم الشاعر ألفاظًا تناسب المعاني التي يريد أن تصل إلى المتلقي، وكذلك في الموسيقى والأصوات التي يتناولها وهذا ما يعرف بالتناسق الفني.

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 111

(2) المرجع السابق، ص78

ويمكن القول بأن التناسق قريب مما ذهب إليه الجاحظ[1] بقوله " وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ افراغاً واحداً وسبك سبكاً واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان[2]

وترى الباحثة أنه يمكن أن يدخل قول ابن طباطبا حين تحدث عن أدوات الشعر ضمن التناسق في الألفاظ فيقول " الباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة واجتناب ما يشينه من سفساف الكلام وسخيف اللفظ... حتى لا يكون متفاوتًا مرفوعًا بل يكون كالسبيكة المفرغة والوشي المننم والعقد المنظم"[3]

فقد كان ما سبق من قول الجاحظ وابن طباطبا توافق الألفاظ مع ما يريد أن يوصله الشاعر وتلاحمها مع أحاسيسه وتوافقها مثلًا مع المضمون كما سيأتي لاحقًا.

إن التناسق ألوان ودرجات مختلفة، وكان ظهوره عند الباحثين ؛ لحضوره في بلاغة القرآن الكريم، أما التناسق الفني في التصوير والأدب بشكل عام لم يتعرض له أحد، لهذا السبب فقد ركز عليه سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن)[4] فقد جاء التناسق عند سيد قطب من خصائص التصوير الفني، وقد قسمه إلى أقسام مختلفة[5]

1 – التناسق في الألفاظ

تناسق الألفاظ الذي يشمل تناسق التعبير بالألفاظ مع المضمون والمقصود بهذا " أن يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية"[6]

إن الحالة النفسية التي سيطرت على الشاعر هي حالة الحزن الشديد، حتى وإن مال إلى الغزل لا يترك هذا الحزن والألفاظ التي انتزعها من عالم الحزن جانبًا، فقد نجح في انتقاء ألفاظه من هذا العالم. فقال في قصيدة **لا تعجبي فأنا القتيل:**

هَذَا الجَمَالُ نِهَايتي، وَاللهُ– يَا رُوحِي– جَمِيْلُ

---

(1) بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، دحماني، ص359.
(2) البيان والتبين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج67/1.
(3) عيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق: عباس عبد الستار، ص 10.
(4) التصوير الفني في القرآن الكريم، قطب، ص ص170–171.
(5) المرجع السابق، ص87.
(6) المرجع نفسه، ص77.

يَا خَوْفَ أَنْ أَمْشِيْ إِلَيْكِ، وَلا يَكُونُ لِيَ الوُصُولُ

يَلْهُو بِأَعْمَاقِي الضَّنَا وَيُحِبُّني الحُزْنُ الثَّقِيْلُ

وَشَرِبْتُهُ مِنْ دَمْعَةٍ في الخَدِّ مَا زَالَتْ تَسِيْلُ

فَكَأَنَّهَا الفَجْرُ الذي يَغْتَالُهُ اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ

وَأَنَا المُعَّذبُ، مَا بَقِيْتِ وَمَا بَقِيْتُ، وَلا يَزُولُ

وَرَسُولُ عَيْنِكِ ذَادَ في جُرْحِي وَمَا سَكَت الرَّسُولُ

لا تَعْجَبي مِنّي فَحُبُّكِ قَاتِلِي وَأَنَا القَتِيْلُ[1]

من الألفاظ التي استخدمها الشاعر هنا للتعبير عن حزنه والذي وضعها في تصوير جميل يناسب حزنه الشديد، منها (الضّنا، الحزن، دمعة، يغتاله، المعذب، جرحي، فحبك قاتلي، وأنا القتيل) فاستخدام الشاعر لمثل هذه الألفاظ في هذه الأبيات الشعرية أكبر دليل لشدة حزنه، فقد شبه الضنا بالطفل الذي يلعب في أعماق الشاعر، فيجعل الحزن مرة في صورة إنسان أو صديق يتمسك بالشاعر، ومرة أخرى بالشراب الذي يتجرعه من كأس الدموع، وما زال الشاعر واصفًا ذلك الحزن بأن نعت نفسه بالمعذب، والقتيل الذي يقتله سلاح الحب والفراق.

وقال في قصيدة **أوتار**:

يَـــا وَجْـــهُ مَيْسُـــونَ قَـــالَ اللهُ هـــا رَضِـــيَتْ

مِنّـــي الجَـــوارِحُ حَتَّـــى فَـــاضَ إِقْـــرارِي

أَمَـــرُّ مِـــنْ حُـــزْنِ رُوحِـــي لَـــمْ تَقُـــلْ شَـــفَةٌ

وَلَـــمْ يَـــذُبْ كَبِـــدٌ، مِـــنْ نَـــوْحِ مِزْمـــارِي

كّـــأَنَّ كُـــلَّ ذَبِـــيْحٍ فِـــيّ مُشْـــتَمِلٌ

وَكَـــلَّ بَـــاكٍ عَلَـــى إِلْـــفٍ، وَصَـــبّارِ

وَلِـــي أَنَـــا بَعْـــدَها عُمْـــرٌ، وَمِـــنْ دَمِهَـــا

لَسَـــوْفَ تَخْلُـــدُ فِـــي البـــاقِيْنَ أَعْمـــارِي[2]

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 30.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص98.

يؤكد الشاعر هنا بأنه مهما بلغ الأسى والحزن ذروته إلا إنه لم يذُب فيه، حتى وإن كانت تسمع من أنفاسه، ومن ألحانه ومزماره نوحًا، وقد استخدم الشاعر النوح الذي يدل على صوت الأسى وصوت المتوجع، وإن كانت روحه مشتملة على كل ذبيح وكل الألم فهو صابر.

وقال في قصيدة **مكانكِ تُحمدي:**

أَحَبَيْبِتي...

لَيْلانِ أَبْتَدِئ الكَآبَةَ في دِمَائِي...

أَسْتَثِيْرُ النَّزْفَ فِيْهَا

ثُمَّ أَكْتُبُ مِنَ قُرُوحِي

لا تَذْكُرِي عَنَتِي وَلا بُؤْسِي

وَلا جَبَلًا مِنَ الأَحْزَانِ قَدْ حَمَلَتْهُ رُوحِي

مَنْ كَانَ مِثْلِي...

في سَجُون العُمْر يَقْتَاتُ الدُّجَى

وَيَفِيْضُ عَنْ تَعِسٍ طَمُوحِ[1]

من الألفاظ التي تدل على الحزن هنا (أبتدئ الكآبة، أستثير النزف، قروحي، عنتي وبؤسي، ولا جبلا من الأحزان، يقتات الدجى، تعس طموح) فقد جعل الشاعر هنا الأحزان التي تعاني منها روحه جبلًا لا يكاد أن يتصدع، وجعل الظلام طعامه الذي يتناوله في سجن الحياة وصعوبتها.

إن الشواهد على هذا كثيرة جدًا، حيث يرفض الحزن أن يبتعد عن خيال الشاعر.

2- تناسق الإيقاع الموسيقي:

إن الموسيقى تزيد الشعر جمالًا، فهي روح الشعر العربي، سواء كان الشعر عموديًا أو موزونًا كما ورد عند الشاعر.

فمن شروط انتشار الشعر هو أن تستمتع الآذان بموسيقاه، قبل الاستمتاع بمعانيه[1] فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات التي تُعطي للقصيدة نغما مؤثرًا[2]، ويعد هذا

---

(1) الزنابق، العتوم، ص9.

النغم وهذا البناء الموسيقي في مقدمة البُنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب[3] فقد كان العلماء القدماء يجدون أن الانسجام الموسيقى في الكلام هو أن تكون مقاطعه متوالية، وخاضعة إلى ترتيب خاص، وأن تردد القوافي وتكرارها أهم خاصية تميز بها الشعر عن النثر[4] وكذلك المحدثون حين وضعوا للشعر أركانًا لكي يسمى الكلام شعرًا جعلوا الوزن الشعري، و ترتيب مقاطع الكلام في نظام خاص[5]ومن أنواع هذا التناسق كما جاء عند سيد قطب:

أ – التناسق الناتج عن الفواصل المتساوية في الوزن والقافية:

ويحدث هذا بحدوث إيقاع بين الفواصل المتساوية في الوزن تقريبًا، ومتشابهة في حرف القافية.

وأمثلة هذا عند الشاعر قوله في قصيدة **قالوا حجابك:**

فَـــإِذَا وَجَـــدْتِ الشَّـــوْقَ فَـــاضَ فَـــرَدِّدِي

أَبْيَـــاتَ شِـــعْرِي ، وَ انْفَجِـــي أَطْيَـــابِي

تَجِـــــدِي دِمَـــــائِي بَيْنَهَـــــا نَزَّافَـــــةً

رَيانَـــــــةً بِجَمَالِـــــــكِ الخَـــــــلاَّبِ[6]

فقد لجأ الشاعر إلى الموسيقى الداخلية بين كلمتي (نزّافة، ريانَة) فهما صيغتا مبالغة ليدل على مدى معاناته وشوقه إلى محبوبته و محبته لها حيث جعلها.

وكذلك الموسيقى الداخلية بين (الخدود، الخطوط في قصيدة **لا تعجبي فأنا القتيل:**

حُبِّي لَكُمْ مَهْمَا وَصَفْتُ بِهِ العُبَابَ فَمَا أُحِيطْ

وَخَطَطْتُهُ فُوْقُ الخُدُودِ مَدَامِعًا تَرِثُ الخُطُوطْ [7]

حيث جعل الحب كالكلام الذي يخطه على خديّه بدمعه بسبب الفراق، الذي غير من ملامح وجه ولم يرث إلا الحزن.

---

(1) موسيقى الشعر، أنيس، ص184.

(2) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، صابر، ص16

(3) المرجع السابق، ص18.

(4) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، صابر، ص 19.

(5) المرجع السابق، ص20.

(6) الزنابق، العتوم، ص22.

(7) الزنابق، العتوم، ، ص 30.

وكذلك في قصيدة **أوقدت شموعكم:**

غُرَبـــــاءُ فِـــــي أَوْطَانِنَـــــا، غُرَبـــــاءُ فِـــــيْ
أَحْزَانِنَـــــا، غُرَبـــــاءُ فِـــــيْ أَغْـــــرَابِ[1]

وكذلك في قصيدة **أفدي بلاءك:**

فـــــإذا نَقَشْـــــتُ قَصـــــائِدي فَقرأْتَهـــــا
فَـــاقْرأْ علـــى أُمَـــمِ الضَّـــلالِ حِـــدادي
واسْـــــتْفْتِها هَـــــذا الرُّضُـــــوخَ لِحَفْنَـــــةٍ
باعَـــتْ بِـــلادِي فـــي قَلِيـــلِ مَـــزادِ
يَسْتَشْـــرِفُونَ الصُّـــلْحَ كَيْـــفَ تَشَـــرَّفُوا
بِلِقـــاءِ شُـــذَّاذٍ مِـــنَ الأَوْغَـــادِ
ضَـــرَبُوا بِقَـــوْلِ الحَـــقِّ عُـــرْضَ عِنـــادِهِمْ
وَوَصـــيَّة الأَجْـــدادِ للأَحْفَـــادِ
وَتَمَلَّقُـــوا، وتَشَـــدَّقُوا، وَتَسَـــلَّقُوا
وَتفَرَّقُـــوا، وَتَسَـــابَقُوا لِفَسَـــادِ[2]

فجاء هنا الانسجام الموسيقي بين مجموعة الكلمات الأتية (قصائدي، حدادي) (الاوغاد، الأجداد، الأحفاد) و (وتملقوا، وتشدقوا، وتسلقوا ، وتفرقوا، وتسابقوا لفساد.

وكذلك قوله في أنشودة النصر لغزة:

يـــا غَـــزَّةُ يَـــا نَبْـــتَ الآمـــالْ
النَّصْـــرُ أَطَـــلَّ مِـــنَ الأَهْـــوالْ
سَـــنُغَنّي للشُّـــهدا الأَبْطَـــالْ
لَحْنًـــا لا تَنْسَـــاهُ الأَجْيـــالْ[3]

فجاء هنا التناغم الموسيقي بين (الآمال، الأهوال، الأبطال، الأجيال).

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 79.
(2) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 88.
(3) طيور القدس، العتوم، ص 116.

فهكذا استخدم الشاعر الكثير من الألفاظ المتناغمة في العديد من المقطوعات والصور الشعرية، ليعطي للصورة جرسا موسيقيًا، و يثير انتباه المتلقي.

ب- اختيار صورة خاصة للكلمة مراعاة للإيقاع الموسيقي:

وهو" أن يُعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة"[1] فقد يغير الشاعر ويلجأ إلى الخروج عن قواعد العربية في بيت من الأبيات ليتناسب مع قوافي الأبيات السابقة للقصيدة فمثلًا في قصيدة **وعد اللظى** قال:

إنّـــي وَقَفـــتُ وَفِـــي الْجَـــوارِحِ رَجْفـــةٌ
وَلِغَيْـــرِ طُهـــرِكَ مَـــرَّةً لَـــمْ تَرْجُـــفِ[2]

وكذلك قوله:

حَتَّـــى أتَـــى مَلَـــكُ الْحَنِـــينِ، فَضَـــمَّنِي
فَـــازْدادَ بِـــي وَلَـــهُ اليَتِـــيْمِ المُـــدْنَفِ
وَسَـــــأَلْتُهُ وَعْـــــدَ اللّقـــــاءِ فَرَدّنِـــــي
أمَـــلاً بِلُقْيـــا فـــي الْخَيَـــالِ المُسْـــرِفِ
بَحْـــرُ الْمَحَبَّـــةِ لَـــيْسَ يَـــرْوِي عَاشِـــقًا
إنْ أنْـــتَ تَرْشِـــفْ مِنْـــهُ أوْ لَـــمْ تَرْشِـــفِ[3]

وقال:

وَصَـــحَوْتُ حِـــينَ صَـــحَوتُ، لا ذَاتِـــي بَـــدَتْ
ذَاتِـــي، وَلَـــمْ أعْـــرِفْ حَقِيقَـــةَ مَـــوْقِفِي
حَتّـــى تَجَـــاذَبَني الشُّـــهُودُ لِغَيْبَـــةٍ
فَشَـــهِدتُها، وَعَرفْـــتُ مَـــا لَـــمْ أعْـــرِفِ[4]

فهنا تجاوز الشاعر القاعدة النحوية في جزم الفعل المضارع، وكسر الفعل المضارع المجزوم، ليتوافق هذا مع قافية القصيدة وحرف الروي المكسور الذي اتخذه في نظم القصيدة الذي يقول في بدايتها:

---

(1) التصوير الفني في القرآن، قطب، ص 89.

(2) طيور القدس، العتوم، ص47.

(3) المرجع السابق، ص48.

(4) طيور القدس، العتوم، ، ص48.

عَيْنِـــــي لِحُبِّـــــكَ بالْمَـــــدامعِ تَحْتَفِـــــي

وَالـــرُّوحُ مِـــنْ حَـــرِّ الصَّـــبَابةِ تَخْتَفِـــي[1]

كذلك قال في قصيدة **مقبرة الأحياء** ليتناسب مع قافية القصيدة:

وَأُمَّـــــةٌ نَسِـــــيَ التّـــــارِيخُ مَوْقِعَهـــــا

حَتّـــى إِذا عَمِيَـــتْ ســـارَتْ وَلَـــمْ تَـــؤُبِ[2]

ومن ذلك أيضًا التناسق في الأصوات:

3- التكرار الصوتي:

إن الأصوات عنصرٌ أساسي من عناصر الإيقاع في الشعر خصوصًا، وكما أن لهذه الأصوات وظيفة اجتماعية، كذلك لها وظيفتها اللغوية ودلالتها التعبيرية[3] ومن ضمن التناسق الذي سوف تتناوله الدراسة هو التكرار الصوتي، فالتكرار يعد تحت مسمى الانزياح الكمي[4]

أ - تكرار الحرف:

تكرار الحرف الواحد واستعماله بنفسه له دلالة مختلفة ومنعزلة عن غيره حين يكون في سلسلة العلاقات التي تضمنه مع الدوال الأخرى[5] فكل حرف له القدرة على إيجاد دلالة جديدة، أو تأكيد دلالته الأولى في حالة تكراره، أو ترديد المتقارب منه، مما يجعل له القدرة على ايجاد علاقة معينة مع المدلولات المجاورة[6].

ومثال هذا تكرار حرف الكاف في قوله في قصيدة **أفدي بلاءك:**

لجُـــجٌ مِـــنَ الـــدّيْجُورِ يُخلَـــطُ بَعْضُـــها

بـــــالفِكْرِ أو بِـــــالكُفْرِ والإلْحـــــادِ

وأنـــــا أســـــدِّدُ عِزتَّـــــي وأَهُزّهـــــا

كيمـــــا تُلاقِـــــي لائِقًـــــا بِجِهـــــادِ

---

(1) طيور القدس، العتوم، ص 48.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص114.

(3) انظر: المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، عبد الرحمن، ص 32.

(4) انظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، أبو العدوس، ص 223.

(5) الأسلوبية والتحليل الأدبي، الحربي، ص 34.

(6) المرجع السابق، ص44.

وَأَمُـــــــدُّ كُفِّـــــــي للّـــــــذينَ تَكَفْكَفُـــــــوا

وَيُكَفْكِفُـــــــونَ دُمُـــــــوعَ الاسْـــــــتِعْبادِ[1]

يصور الشاعر حال الأمة العربية بعد أن تفرقوا، وأصبح الظلام مسيطرًا على فكرهم فقد جاء هنا تكرار حرف الكاف فهو صوت مهموس شديد، من معانيه وخصائصه الاحتكاك، فهم يحاكي صوت احتكاك الخشب[2]، فقد جاء هذا المعنى لقول الشاعر (أمد كفّي) و (تكفكفوا) و (يكفكفون) فهذا الأفعال لا تخلو معانيها من الاحتكاك، حيث احتكاك كف اليد لمسح الذل والاستبعاد، فجعل هنا الشاعر الاستعباد في صورة إنسان يملك العيون الدامعة.

وتكرار حرف الضاد في القصيدة نفسها حيث قال:

وَأنـــــا بِهِـــــمْ بُهَـــــمٌ[3] عَلَـــــى أَبْنـــــائِهِمْ

وَعَلـــــى الـــــرَّدى صَـــــوَرٌ لِسِـــــرْبِ جَـــــرادِ

وَعَلَـــــى القَضِـــــيّةِ قَضُّـــــهُمْ وَقَضِيْضـــــهُمْ

وَعَلَـــــى العِـــــدى عَـــــدَدٌ بِغَيْـــــرِ عَتَـــــادِ

القَابِضُـــــونَ علـــــى تُـــــرابِ بِلادِهِـــــمْ

فـــــي زَعْمِهِـــــمْ وَهُـــــمُ بِغَيْـــــرِ بِـــــلادِ[4]

تكرار حرف الضاد التي جاء متناسقا بما يوحي به من الصلابة والشدة[5]، وما يملك الحكام من قوة وسلطة، يستخدمونها على أبناء شعبهم، أما على الأعداء فهم عدد فقط لا يغير شيء ولا يحرك ساكنًا.

وكذلك حرف الشين في قوله:

والمُتْخِمُـــــونَ تُخُومَنَـــــا بِشَـــــرَاذِمٍ

لَـــــمْ يَرْشُـــــدُوا أَوْ يُرْشَـــــدُوا لِرَشـــــادِ

والشَّـــــامِخُونَ بِـــــأَنْفِهِمْ كِبْـــــراً وَهُـــــمْ

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 86.

(2) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عباس، ص ص 69-70

(3) مفرد: البُهمة: وتعني الأبطال(معجم العين)، الفراهيدي، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، باب،الباء. ج169/1.

(4) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 86

(5) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عباس، ص 155

أشْـــــلاءُ شِـــــلْوٍ فِـــــي شَـــــلا شَـــــحَّادِ[1]

من معان وخصائص حرف الشين أنه يوحي ببعثرة النفس والانتشار[2]، فقد جاء متناسقًا مع مقصد الشاعر، حيث تبعثر نفوس هؤلاء المتخمين، والحكام الذي يملكون الحكم والسيطرة على الحدود العربية، يقودوا الشعوب مع عدم هدايتهم للرشاد، ووصف كذلك الأشلاء المبعثرة لهؤلاء للمتكبرين.

وجاء تكرار حرف الشين كذلك في قصيدة الخفافيش فيصف الشاعر حال أبناء شعبه التائه والمتبعثر في ظل الظلم ، في ظل حكومات لا تعرف العدالة حيث قال:

يَدْعُوْنَنِي الشَّعْبَ في دَارٍ رَبَائِبُهَا

تَفَنَّنَتْ بَيْنَ نَتْفِ الجِلْدِ وَالرِّيْشِ

دارٍ إذا صِحْتُ من غيظٍ ومن تَعَبٍ

تنقّلتْ بين تَعْطِيشي وتَجْحِيشي

وقد رضيتُ بِتَجْحِيشي إذا صَرَفُوا

لِيَ الحَشِيْشَ وأَتْعابِي وَتَحْوِيْشي

إذا هُمُ رَفَعُوا الأسْعارَ وَاحْتَرَقَتْ

جُيُوبُ فَقْري، وَزَجُّونِي بِقَاقُوشِ

(وَمَشْوَرُوْنِي) عَلَى أَبْوابِ دائِرَةٍ

كانتْ تَلَذّذُ في بطني بِتَرْفِيْشِ[3]

وقال في نشيد **فتيان الأقصى** مكرر حرف النون والراء:

وَحْـــــدَنا نَمْشِـــــي إِلـــــى أَقـــــدارِنا

وَالـــــردّى يَمْضِـــــي عَلَـــــى آثارِنـــــا

لا نَهَـــــابُ المَـــــوْت إمّـــــا زَارَنـــــا

نَحْـــــنُ لا نَسْـــــأَلُ عَـــــنْ أعْمَارِنـــــا

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص87.

(2) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عباس، ص115.

(3) الخفافيش، مدونات الجزيرة (موقع إلكتروني).

عَمْرُنا نَذْرٌ لِرُوحِ الصَّخْرةِ[1]

فحرف النون جاء متناسقًا مع انبثاق صوت النون من الصميم وما به من الأنين[2]، حيث الألم والمعاناة، وكذلك حين لفظه مخففة مرققة يوحي بالاستكانة[3] فجاء هذا من ايحاء الشاعر بعدم الخوف والاستسلام لقدر الله في هذا الأرض.

وكذلك حرف الراء فهو حرف متوسط بين الشدة والرخاوة، يدل على العودة والتكرار[4]، فقد أكد وكرر الشاعر هنا عدم الاستسلام والخضوع.

وقال مكررًا حرف الصاد:

إنْ صَـــــحَوْنا فَعَلَـــــى صَـــــوْتِ الرَّصَـــــاصْ

أَوْ هَجَعْنَـــــا فَعَلَـــــى حُلْـــــمِ الخَـــــلاصْ

كَـــــمْ شَـــــهِيْدٍ غـــــاصَ فـــــي أشْـــــلائِهِ

وَفُـــــؤادٍ بِالشّـــــجَي وَالحُـــــزْنِ غَـــــاصْ

كَلَّما فَكَّرَ في المَذْبَحَةِ[5]

جاء هنا تكرار حرف الصاد متناسقًا بين خصائص هذ الحرف وبين ما يسعى إليه الشاعر، فبالرغم من أن حرف الصاد يمتاز بالصفير، إلّا أنه من الحروف الشعورية، لما فيه من أصالة ونبالة وروح فروسية[6]حيث صور الشاعر أصالة ونبالة وشجاعة المدافعين عن الأقصى، بأن يقدموا الشهداء في سبيل الدفاع عن المسجد الأقصى.

وكذلك تكرار حرف الزاي فقال في قصيدة **العراق الحر**:

سِيْرَةَ (كَاوْبُوْيٍ) تَحَضَّرْ

وَأَزِيْزٌ... وَهَزِيْزٌ... وَهَزِيْمٌ...

---

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 130.

(2) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عباس، ص 161.

(3) المرجع السابق، ص160.

(4) المرجع نفسه، ص 84.

(5) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 132.

(6) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عباس، ص 151.

وَنَزِيْفٌ ... وَشَظَايَا تَتَشَظَّرْ[1]

كرر الشاعر هنا حرف الزاي وجاء هذا متناسقًا مع خصائص هذا الحرف وما يدل عليه من الشدة والانفعالية، التي توافق حزّ الحديد على الحديد، ويناسب هذا الحرف الأصوات التي تحاكي الطبيعة[2] وكذلك كرر هنا حرف الشين في قوله (وَشَظَايَا تَتَشَظَّرْ) الذي يوحي بالبعثرة والانتشار .

ب-تكرار الكلمة:

تعد الكلمة المكررة المركز الدلالي الذي ينطلق منه الشاعر، ففي كل مرة من تكرارها يصنع علاقة لغوية جديدة، أو صورة شعرية جديدة، فالكلمة المتكررة هي العامل المشترك بين مجموعة من الصور الشعرية، وكذلك يعد التكرار أحد الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر في تشكيل صوره وما يريد أن يعبر عنه[3]

ومن أمثلة هذا قوله في قصيدة **العراق الحر**:

أَيّهَـــا المَطْعُـــونُ بِـــالحُزْنِ المُخَثَّـــرْ

وَالـــذِي مَـــا بَـــيْنَ نَهْرَيْـــه تَمَرْمَـــرْ

وَالـــذِي مِـــنْ نَكْبَـــةٍ يَمْشِـــي إِلـــى

نَكْبَـــةٍ أُخْـــرَى ، وَسَـــفَّاحٍ وَعَسْـــكَرْ

أَنْـــتَ مَـــنْ نَادَيْـــتَ؟! نَادَيْـــتَ سَـــرَاباً

وَقَطِيْعَـــاً بَـــيْنَ جَزّارِيْـــهِ يُنْحَـــرْ

وَكِيَانَـــاتٍ ... خِيانـــاتٍ ... تُغَنّـــي

لَحْـــمَ جُرْحَيْـــكَ، وَمِـــنْ نَزْفَيْـــهِ تَسْـــكَرْ

آهِ يَـــا حُـــزْنَ العِـــرَاقِيّيْن ... آهِ أَكْبَـــرْ

آهِ لـــو تنفَـــعُ آهِ ... لَـــوْ تُقَـــدَّرْ[4].

---

(1) خذني إلى المسجد الاقصى، العتوم، ص76.

(2) حضائص الحروف ومعانيها، عباس، ص 139.

(3) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجبار، ص47.

(4) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 69.

كرر الشاعر هنا الألفاظ (نكبة، ناديت، آه) فقد جاء هذا التكرار تأكيدًا على معاناة الشعب العراقي، ومن الملاحظ أيضًا أنه قد جاءت هذه الألفاظ المكررة مرتبة، تصف معاناة هذا الشعب حيث كرر لفظ (النكبة) فهذه بداية الأمر حيث تعرض لأكثر من نكبة، ومن ثم تكرار الفعل (ناديت) مرتين، فحين وقوع الحدث، تأمل العراق في نجدة اخوته العرب، فجاء التكرار ليؤكد عدم استجابة العرب لهذا النداء، لأنهم أصبحوا في الحقيقة غير موجدين كالسراب، ومرة أخرى يشبههم بقطيع من الخرفان الذي يخضع لأوامر أمريكا، وبعد هذا تُرك العراق يتوجع وحده، فقد كرر الشاعر لفظ (آه) أربع مرات، ليؤكد حجم هذه المعاناة.

وقال في قصيدة **حبيبي يا رسول الله:**

وَيَـــا حَبِيْبِـــي، وَلَـــمْ أَنْطِـــقْ بِهَـــا تَرَفُّـــاً
وَأَنْـــتَ تَمْـــلأُ مِـــنْ عَيْنِـــي مَرَائِيْهَـــا
وَأَنْـــتَ تَحْـــتَ شِـــغَافِ القَلْـــبِ تَسْـــكُنُنِي
وَأَنْـــتَ تَحْـــتَ شَـــفِيْفِ الـــرُّوْحِ تَسْـــبِيْهَا
وَأَنْـــتَ تَحْـــبِسُ أَنْفَاسِـــي إِذَا شَـــهَقَتْ
وَأَنْـــتَ تَمْلِـــكُ مِـــنْ نَبْضِـــي ثَوَانِيْهَـــا

وَأَنْـــتَ عَيْنِـــي إِذَا مَـــا أَعْـــيُنٌ نَظَـــرَتْ
وَأَنْـــتَ أَنْـــتَ دِمَـــاءُ القَلْـــبِ تُجْرِيْهَـــا[1]

تكرار الشاعر للضمير المنفصل (أنتَ) الذي يعود على رسول الله –ﷺ– ثمان مرات تأكيدًا واعترافًا من الشاعر بحبه لرسول الله –ﷺ– فهذا الحب لا يصل إليه أحد عند الشاعر، فحبه للرسول ليس في القلب فقط، وإنما في (شغاف القلب) و (شفيف الروح) ولم يقل الشاعر في القلب وفي الروح، ليؤكد أن هذا الحب وصل اقصى درجات الحب والشغف.

وقال في قصيدة **يا زهرة الدّحنون:**

بَعْثَـــرْتَ عُمْـــرَكَ فـــي سَـــرَابِ عُهُودِهَـــا
وَرَجَعْـــتَ بِالحَسَـــرَاتِ كَـــالمَطْعُونِ
وَأُفِيـــقُ مِـــنْ فَـــرْطِ انْتِفَاضِـــي صَـــائِحًا

(1) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 20.

لا، لا، فَأَنْـــتِ... فَأَنْـــتِ ضَـــوْءُ عُيُـــونِي[1]

فقد كرر الشاعر هنا حرف النفي (لا) مرتين، ثم الضمير المنفصل (أنتِ) مرتين؛ تأكيدًا منه على أن محبوبته ميسون تختلف عن باقي النساء، فهي مخلصة له، وما يزال ينتظر قدومها حتى وإن باعدت بينهم المسافات.

وقال في قصيدة **قمصان الشّعب:**

تَارِيْخُنَـــا مِـــنْ بَعْـــدِ أَنْ حَكَـــمَ الهَـــوَى

وَرَمٌ عَلَـــــى وَرَمٍ يَزِيْـــــدُ، عَلَـــــى وَرَمْ[2]

تكرار الشاعر لكلمة (ورم) ثلاث مرات، تأكيدًا منه على حال البلاد الإسلامية بعد الصحابة والخلفاء الراشدين والقادة الأبطال التي تعطر سيرتهم كتب التاريخ، فالحكام أصبحوا يحكمهم الهوى والملذات الذاتية، فأُصيب التاريخ بمرض خبيث، ليس له علاج.

ومن الخصائص التي اعتمد عليها الشاعر في التكرار التضاد والجناس:

-التضاد:

يعد الطباق من المحسنات البديعية، فهو وسيلة لتوضيح المعاني يستخدمها الشاعر في عرض الأشياء أو الصفات، ثم يعرض ما يقابلها في المعنى، فيساهم هذا في إيضاح الصورة الشعرية ، وتتضح معانيها، كما أن الجمع بين الأشياء المتضادة يعطي الكلام جمالًا، ويزيده رونقًا[3] فيُعرف التضاد أو المطابقة بأنه" الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر "[4]

وقال في قصيدة **الحَلَّاج:**

عَرَبِيَّـــــةٌ رُوحـــــي وَقُرْآَنِـــــي فَمِـــــي

وَعُرُوبَتِـــــي كَتَوَحُّـــــدِي المِنْهَـــــاجُ

بَعْضِـــي تَبَـــرَّأَ مِـــنْ هَـــوَى بَعْضِـــي عَلَـــى

---

(1) الزنابق، العتوم، ص 35.

(2) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص55

(3) الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، الغنيم، ص268.

(4) في البلاغة العربية (علم البديع)، عتيق، ص 77.

كُلِّـــــي ، فَكُلِّـــــي ثَـــــائِرٌ مُهْتَـــــاجُ[1]

جاء هنا التضاد بين (بعضي، كلي)، وكذلك اعتمد الشاعر إلى تكرار كل لفظ وضده مرتين في البيت؛ ليزيد البيت جمالًا وايقاعًا موسيقيًا.

وقال في قصيدة **لا ليل بعدكِ:**

قَسَمًا بربّهما ابتِداءً وانْتِهاءْ

للحُبِّ أُغنيتي...

وبالأشواقِ أبتدِئُ الغِناءْ

فَتَباعَدِي وتَقَارَبي

فأنا على الحالَيْن مَقتُولٌ

وفي الحالَينِ يَذبحُني الشّقاءْ

وأنا على الحالَينِ

أمزُجُ بالضّنا جسدي وأحترِفُ العَناءْ

يا مَنْ إذا كابَرْتُ...

تحترفينَ قَتْلَ الكِبْرِياءْ[2] .

أكد الشاعر أن اقتراب ميسون أو ابتعادها ففي هاتين الحالتين يذبحه سكين الشقاء، فقد استخدم الشاعر الأضداد (ابتداء وانتهاء، فتباعدي وتقاربي) التي تساعده في توضيح المعنى.

وقال في **قصيدة لا تعذُليني:**

أَنَـــا التَّفَـــرُّدُ لا أَفْـــرَاحُ مَـــنْ حَضَـــروا

تَغْتَـــالُ رُوحِـــي، وَلا أَحْـــزَانُ مَـــنْ ذَهَبُـــوا[3]

---

(1) قلبي عليكِ حبيبتي، العتوم، ص 63.

(2) الزنابق، العتوم، ص 61.

(3) المرجع السابق، ص 77.

ففي هذا البيت يؤكد الشاعر ما يريده في الأبيات السابقة، حيث إن لا شيء يسعده بعد تمكن الحزن منه، فالأفراح سهمٌ لا يستطيع أن يخترق جدار قلبه، مستخدمًا الأضداد (أفراح، أحزان) و(حضروا، ذهبوا).

وقال في قصيدة **كتبت فوق جدار السجن:**

دَمِـــي هُنـــا، وَدُمُـــوعِي، وَالضّـــنَا، وَأَنـــا
وَالصَّـــبْرُ يَقْتُـــلُ إِيْمـــانِي وَإِشْـــراكِي
إِذَا تَبَـــرَّأْتُ مِـــنْ شَـــوْقٍ يُـــؤَرّقُنِي
فَمَـــنْ لِقَلْـــبِ إِذا أَقْصـــاكِ أَدْنـــاكِ
إِذَا قَصَـــيْتِ فَقَلْبِـــي لا يُطـــاوِعُنِي
وَإِنْ دَنَـــوْتِ كَـــأَنَّ المَـــوْتَ أَحْيـــاكِ
أَمْـــنٌ يُخَـــوّفُني، يَـــأْسٌ يُـــؤَمّلُنِي
قُـــرْبٌ يُباعِـــدُنِي، وَالغَـــدْرُ أَوْفـــاكِ[1]

جاء هنا الشاعر بين اللفظ وضده مجتمعين مع بعضهما البعض (إيماني واشراكي) و(أقصاكِ أدناكِ) و(قصَيْتِ، دنوتِ) و(الموت وأحياكِ) و (أمن يخوفني) و (قرب يباعدني) و(، والغدر أوفاكِ) .

فالتضاد يوضح موقف الشاعر المتردد بين اليأس والأمل، ويوحي بعدة دلالات منها: الكشف عن التناقض أو التصالح بين المتناقضات، وكذلك يساعد في كشف الحيرة والتمرد واللامبالاة، وإعطاء الأمل من خلال المقارنة والمفاضلة[2].

وقال في قصيدة **قيدي من الصمت:**

هَذِي بِلادِي عُرُوقِي بِالمُنَى نَبَضَت
وَخَاطِرِي، وَالهَوَى المَنْقُوشُ في كَبِدِي
هِيَ الحَبِيْبَةُ عُمْرِي كُلَّهُ فَلَقَدْ
رَهَنْتُ أَمْسِي، وَيَوْمِي دُوْنَهَا، وَغَدِ
أَقُوْلُ هُمْ أَهْلِيَ الحَامُونَ تُرْبَتَهَا

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 17.

(2) انظر: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الجبار، ص113.

وَالذَّائِدُونَ إِذَا السَّادَاتُ لَمْ تَذُدِ

لَيْسُوا أُولَئِكَ بَاعُوهَا وَأَشْرَفُهُمْ

لَدَى المَزَادِ عَلَى فِلْسَيْنَ لَمْ يَزِدِ

يَدُورُ فِي فَلَكِ الشَّيْطَانِ مَقْصِدُهُ

رُشْدٌ مِنَ الغَيِّ، أَمْ غَيٌّ مِنَ الرَّشَدِ؟! [1]

يؤكد الشاعر حبه لوطنه، فقد جعل هذا الحب منقوشًا في كبده ودمه، لا يمكن أحد أن ينزعه، مستخدمًا الأضداد (أمسي، غدي)، (الذائدون، لم تزد)، (رشد ، غي) ليوضح تمسكه بوطنه إذا باعوه السادات، وجعلوه في مزاد، وكأنه سلعة لا يعرف قيمتها من يملكها، يتنافس عليه الأغنياء لكي يزيدوا ثروتهم.

- الجناس:

إنَّ الموسيقى في الشعر لم يقتصر اعتمادها على المقاطع في الأبيات وحسب، أو الوزن والقافية، بل تشتمل على ما سماه علماء البلاغة بالجناس[2] وهو "تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة" [3] فالموسيقى الصادرة عن هذا التماثل والتشابه كاملًا كان أو ناقصًا، تهتز له أوتار القلوب و يؤكد أهمية الجناس، في تصوير الموسيقى الداخلية في الشعر، وبناء ما بين ألفاظه من تنغيم[4] ولكن هذا لا يعني أن الشاعر يسرف في استخدام هذا المحسن البديعي، حيث قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: " فقد تبين أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذا لو كان بالفظ وحده، لما كان فيه إلا مستحسن ولما وجد فيه

(1) نبوءات الجائعين، العتوم، ص99-100.

(2) انظر: دلالة الالفاظ، ،أنيس، ص202.

(3) في البلاغة العربية (علم البديع) عتيق، ص 196.

(4) علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) فيود، ص287.

معيب مستهجن؛ ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به" [1] فقد ظهر عند الشاعر الجناس غير التام فهو : ما اختلف فيه اللفظان في أنواع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها[2] **في قوله:**

وَكُنْـــتُ بَحْـــرًا مِـــنَ الْحِرْمَـــانِ فِـــي وَطَـــنٍ
أَبْنَـــاؤُهُ مِـــنْ شَـــغَافِ الْبُـــؤْسِ قَـــدْ نَزَفُـــوا
رَايَاتُـــــهُ مِـــــزَقٌ، ذَرَّاتُـــــهُ فِـــــرَقٌ
آلافُـــــه خُلُـــــفٌ ، أَخْلافُـــــهُ أُلُـــــفُ[3]

فقد اعتمد الشاعر هنا الجناس بين (آلافه وألف) ، و (خلف وأخلافه) فيؤكد الشاعر على اتفاق أعداد الوطن مع بعضها البعض، وفي المقابل أبناء الوطن الواحد الذي يضمرون الحقد والعداء لبعضهما البعض.

وقال في قصيدة العراق الحر:

صار (بوشُ) الشَّيْخَ مُفْتِيها ومُهْدِيها
ومُقْرِيها ، وَيَتْلُو مَا تَيَسَّرْ
مَرْجِعِيٌّ فَهْوَ شِيعِيٌّ إِذَا شِئْتَ
وَسُنِّيٌّ مِنَ الأَزْهَرِ أَزْهَرْ[4].

فقد جاء الجناس هنا بين (الأزهر، أزهر) فقد جعل الشاعر رئيس أمريكا في السابق، وكأنه عالم جليل من علماء الأزهر، يخضع الحكام لأوامره على أنها فتوى يلتزمون بها.

و كذلك الجناس بين (هزيز، هزيم) في قوله:

(أَفُرَاتٌ) أَمْ أُجَاجٌ أَمْ تُرَى عَذْبُكِ
بَعْدَ القَصْفِ يَا (دِجْلَةُ) مَرْمَرْ؟!
الصَّوَارِيْخُ التي خَطَّتْ بِمَا تَقْصِفُهُ
سِيْرَةَ (كَاوْبُوْيٍ) تَحَضَّرْ

---

(1) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص8.
(2) المرجع السابق، ص205.
(3) الزنابق، العتوم، ص94.
(4) خذني إلى المسجد الأقصى، العتوم، ص 70.

وَأَزِيْزٌ... وَهَزِيْزٌ... وَهَزِيْمٌ...

وَنَزِيْفٌ ... وَشَظَايَا تَتَشَظَّرْ[1]

فالفظان يدلان على صوت فالهزيز هو صوت حاد يشبه الصفير من الماء أو السيوف[2]، والهزيم هو صوت الرعد[3].

وقال في قصيدة **أحقا إنكم عرب:**

قِفُوا فِي وَجْهِ مَنْ خَذَلُوكُمُ حِصْنًا

وَباعُوكُمْ بِلا ثَمَنٍ كَما باعُوا مَواجِعَنا

ألا بِاللهِ لا تَنْسَوْا فَواجِعَنا[4]

يخاطب الشاعر العرب من المحيط إلى الخليج بأن يقفوا في وجه من باعوا الوطن، وجاء الجناس بين (مواجعنا، فواجعنا).

وقال في قصيدة **لن تسقط الرّايات...**

فَـــاقْرَأْ سُـــطُورَ المَجْـــدِ مِـــنْ تَارِيْخِنـــا

وَاهْتَـــفِ لِمَـــنْ هُـــوَ بِالحَقِيْقَـــةِ جَاهِـــلُ:

لَـــمْ يُرْجِـــعِ القُـــدْسَ التَّفَـــاوُضُ مَـــرَّةً

القُـــــدْسُ يُرْجِعُهَـــــا قَنًّـــــا وَقَنابِـــــلُ

مِـــنْ هَـــذِهِ الصَّـــعَدَاتِ يَصْـــعَدُ فَجْرُنـــا

فَـــابْزُغْ فَـــإِنَّ اللَّيْـــلَ بَعْـــدَكَ آفِـــلُ[5]

الجناس هنا بين (قنا) وهو السيف و(القنابل) وتكرار هذا الجناس يعطي جرسا موسيقًا جميلًا.

---

(1) المرجع السابق، ص76

(2) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص985.

(3) المرجع السابق، ص 985

(4) طيور القدس، ص16.

(5) طيور القدس ، ص84

فالجناس لا يتعلق بإعطاء جرس موسيقى وتناسق الأصوات فقط، فهو يعمل على تنشيط ذهن المتلقي[1]، إذ يتوهم السامع أن اللفظ مردد والمعنى مكرر، فيجد أن اللفظين بمعنيين مختلفين[2]، ويسهم في توضيح المعنى للمتلقي وزيادة الفائدة[3]

وقال في قصيدة: **يَا أَيُّهَا القَمَرُ المُسَافِرُ:**

" عَيَّاشُ " يَا حَيًّا

وَيَا "يَحْيَى" خُذِ التَّارِيْخَ

وَاكْتُبْ فِيْهِ آيَاتِ الفِدَاءْ

وَانْثُرْ عَلَيْنَا رُوحَهُ

قَدْ بَارَكَتْكَ يَدُ السَّمَاءْ

يَا صَاعِدًا لِلْمَجْدِ

مَا عَلَّمْتَنَا إِلاَّ البُطُولَةَ وَالإِبَاءْ[4].

يرثي الشاعر الشهيد المقاوم يحيي عيّاش، حيث جاء الجناس بين كلمتي (حَيًّا و يَحْيَى) فقد جاءت الأولى بمعنى خالد في قلوب الناس، والثانية اسم الشهيد، الذي سطر وأرخ الفداء في كتاب التاريخ؛ لتتعلم منه الأجيال البطولة والعز، والذي ارتقى سُلّم المجد.

وقال في قصيدة **قالوا حِجابك...!!**

قَـــالُوا: النِّقَـــابُ؟ فَقُلْـــتُ أَيُّ مَلائِـــكٍ

نَزَلَـــتْ بِأَجْمَـــلَ مِـــنْ ذَوَاتِ نِقَـــابِ؟!

مَـــرَّتْ فَحَيَّتْنِـــي، فَقُلْـــتُ وَقَـــدْ مَضَـــتْ

يَـــا طِيْـــبَ مَـــا حَيَّـــتْ فَأَحْيَـــتْ مَـــا بِـــي

وَرَأَيْـــتُ كَـــمْ قَطَـــرَ الهَـــوَى مِـــنْ مَبْسَـــمٍ

يَـــا طِيـــبَ ذَاكَ المَبْسَـــمِ الجَـــذَّابِ

---

(1) نظر: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، الغنيم، ص264.

(2) انظر:علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) فيود، ص287.

(3) انظر: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، الغنيم، ص264.

(4) هندسة الكلمات، العتوم وآخرون، ص29.

وَرَأَيْـــتُ كَـــمْ يَبْكِـــي الهَـــوَى لِهَوِيّهَـــا

مِثْلِـــي، وَكَـــمْ يَهْفُـــو إِلَـــى الأَعْتَـــابِ[1].

يصور الشاعر صور المرأة المحجبة في صورة غزلية، فقد جاء الجناس بين كلمتي (مَا حَيَّتْ فَأَحْيَتْ) فجاءت الأولى بمعنى ألقت التحية، والثانية أنها اشعلت أحاسيس الشاعر الداخلية وبما بها من حب.

وقال في قصيدة **قيدي من الصمت:**

لَيْسُـــوا أُولَئِـــكَ بَاعُوهَـــا وَأَشْـــرَفُهُمْ

لَـــدَى المَـــزَادِ عَلَـــى فِلْسَـــيْنَ لَـــمْ يَـــزِدِ

يَـــدُورُ فـــي فَلَـــكِ الشَّـــيْطَانِ مَقْصِـــدُهُ

رُشْـــدٌ مِـــنَ الغَـــيِّ، أَمْ غَـــيٌّ مِـــنَ الرَّشَـــدِ؟![2]

جاء الجناس بين كلمتي (رُشْد، رَشَد) فالرشد ضد الغي، فالفرق بين الكلمتين أن الرَّشَد أخص من الرُّشْد، فالرَّشَد يقال في الأمور المتعلقة في الآخرة فقط، أما الرُّشْد يقال في الأمور المتعلقة في الدنيا والآخرة[3] فيتعجب الشاعر من هؤلاء الذين يبيعون الوطن، ويسعون إلى طريق الشيطان، بانحرافهم عن الحق في الدينا والآخرة.

هكذا تعددت خصائص الصورة الشعرية عند الشاعر العتوم، التي أظهرت تعمق الشاعر في أحاسيسه وقدرته الإبداعية في الشعر، فقد جاءت متناسقة مع المعنى سواء من الناحية الدلالية أو الصوتية، أو حتى من الناحية اللغوية باختيار الألفاظ اللغوية العميقة المعبرة عن الحزن والأسى، والتزام الشاعر بعلامات الترقيم خاصة الاستفهام والتعجب، التي إن دلت فتدل على حيرة الشاعر وتعجبه من زمن الخذلان.

---

(1) الزنابق، العتوم، ص18-19.

(2) نبوءات الجائعين، العتوم، ص 99-100.

(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، ص354-355.

الخاتمة

إن الحمد لله رب العالمين على كل فضلٍ ومنة، أن تم إنجاز هذه الدراسة بعد رحلة شعرية متنوعة جميلة، وفيها قد توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

أولاً: النتائج

- الصورة الشعرية من الأسباب المهمة التي تميز إبداع شاعر عن غيره من الشعراء.
- تعددت الصور الشعرية عند العتوم بين الصور الكلية والجزئية.
- استخدام العتوم الحواس في إبداع صوره الشعرية.
- الحزن هو السمة البارزة في الصور الشعرية عند العتوم.
- تنوعت الصور الشعرية عند العتوم بين الوطنية والغزلية.
- تميز العتوم بثقافة واسعة من خلال تعدد المصادر التراثية.

- تمسك العتوم بالاقتباس الديني بشكل كبير في صوره الشعرية، وتكرار الاقتباس من قصة سيدنا يُوسُف ويعقوب –عليهما السلام .
- ظهور عنصر الحركة والتجديد في الصور الشعرية عند العتوم.
- تنوع استخدام الشاعر لعنصر الزمن بين الأحداث الماضية والتفاؤل بالمستقبل رغم الحزن.
- اختار العتوم الأماكن الدينية كالقدس والأقصى والكعبة الشريفة، والأماكن التي نالت منها الحروب في صوره الشعرية.
- كانت (مَيْسُون) هي الرمز البارز التي استخدمه العتوم في صوره الشعرية.
- تناسقت الألفاظ والمدلولات التي استخدمها العتوم مع روح الحزن الداخلية لديه.
- من أساليب التناسق الموسيقي عند العتوم التكرار، الذي ظهر خلال تكرار الألفاظ وتكرار الحروف، وكذلك استخدام التضاد والجناس.

ثانياً: التوصيات

وفي النهاية توصي الباحثة غيرها من الباحثين بما يأتي:

- دراسة شعر أيمن العتوم من ناحية الدلالة الصوتية.
- دراسة البنية الإيقاعية في شعر العتوم.
- دراسة الأسلوب القصصي في شعر أيمن العتوم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

الكتب العربية:

1. *الإبداع الفني في شعر ابن زيدون*، فوزي خضر، (د.ط)، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م.
2. *الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر*، عبد القادر القط، (د.ط)، (د.م)، مكتبة الشباب،1988م.
3. *آثار مدينة جرش*، موقع موضوع، تاريخ الاطلاع: 2018/03/24م، الرابط: http://cutt.us/hBkw ، 2015م.
4. *الأدب العربي في الأندلس*، عبد العزيز عيسى، (د.ط)، (د.م)، مطبعة الاستقامة، (د.ت).
5. *الأدب وفنونه (دراسة ونقد)*، عز الدين إسماعيل، ط8، (د.م)، دار الفكر العربي، 2013م.
6. *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*،علي زايد، (د.ط) ،القاهرة، دار الفكر العربي، 1997م.
7. الإستيعاب في معرفة الأصحاب، يُوسُف ابن عبد ربه، تحقيق: علي البجاوي، (د.ط)، بيروت، دار الجيل، (د.ت).
8. *أسرار البلاغة*، عبد القاهر الجرجاني، (د.ط)، جدة، دار المدني، (د.ت).
9. *الأسلوبية الرؤية والتطبيق*، يُوسُف أبو العدوس، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007م.
10. *الأسلوبية والتحليل الأدبي*، فرحان الحربي، ط1، عمان، الرضوان للنشر والتوزيع، 2016م.
11. *اسمه أحمد*، أيمن العتوم، (د.ط)، (د.م)، مكتبة الرمحي أحمد، 2017م.
12. إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، زوزو نصيرة، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة خانفي بالجزائر*، (6).

13. *أشهد أن لا امرأة إلا أنتِ، نزار* قباني، ط6، (د.م) (د.ن) 1983م.

14. *أصول النقد الأدبي*، أحمد الشايب، ط10، (د.م) مكتبة النهضة المصرية، 1994م.

15. *الأمالي*، حيدر آباد، ط1، الهند ، جمعية دار المعارف، 1938م

16. *أنا يوسُف*، أيمن العتوم، ط1، (د.م) ، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2019م.

17. *الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)*، جلال الدين القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.

18. *بردة المديح*، محمد بن سعيد البوصيري، (د.ط)، (د.م)، دار التراث البوديملي، (د.ت).

19. *برنامج سهرة* الدار لماذا يستخدم أيمن العتوم القرآن في رواياته، قناة دار الإيمان، تاريخ الاطلاع: 2019/2/11م. الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Op g2YwOX9pA ، 2017م.

20. *بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني*، نور الدين دحماني، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة وهران الجزائر،2011م.

21. *البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر(دراسة فنية موضوعية)*،يحيي الأغا، ط1ن (د.م)، دار الحكمة للنشر والتوزيع، (د.ت).

22. *البيان والتبين، عمرو بن بحر* الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، (د.م)، مكتبة الخانجي، 1998م

23. *تاريخ الأدب المعاصر(العصر الجاهلي)*، شوقي ضيف، ط11، (د.م)، دار المعارف، (د.ت).

24. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: محي الدين العموري، ط1، (د.م)، دار الفكر، 1998م.

25. *تاريخ وآثار الأردن* ، يُوسُف عصفور، ط2، عمان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، 2009م

26. *التحليل الألسني للأدب*،محمد عزام، (د.ط)، دمشق: وزارة الثقافة، 1994م.

27. *تسعة عشر*، أيمن العتوم، ط3، (د.م)، مكتبة الرمحي أحمد،2018م.

28. *التشكيل الحسي في شعر الطبيعة في القرن الثالث الهجري*، بسام صيام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاسلامية، غزة، 2017م.

29. *التصوف السني حالة الفناء بين الجنيد والغزالي*، مجدي إبراهيم، ط1، (د.م)، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.

30. *التصوير الفني في القرآن*، سيد قطب، ط10، القاهرة، دار الشروق، 1988م.

31. *التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل* ، *مصطفى* السعدي، (د.ط) الإسكندرية، منشأة معارف، (د.ت).

32. *تطور الأدب الحديث في مصر*، أحمد هيكل، ط6، (د.م) دار المعارف، 1994م

33. *تمهيد في النقد الحديث*، روز غريب، (د.ط)، بيروت، دار المكشوف 1971م.

34. *الحلاج الأعمال الكاملة*، الحلاج، ط1، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 2002م.

35. *الحماسة*، الوليد بن عبيد البحتري، تحقيق: محمد حور وأحمد عبيد، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث والمجمع الثقافي، 2007م.

36. *الحيوان*، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، (د.م)، مكتبة الجاحظ، 1965م.

37. *خاص مع العتوم*، يمنى مدحت، تاريخ الاطلاع: 2018/05/11م، الرابط: https://www.ida2at.com/author/yomna-medhat/. 2017م.

38. *خذني إلى المسجد الأقصى*، أيمن العتوم، ط1، دمشق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009م.

39. *خصائص الحروف العربية ومعانيها* ، حسن عباس، (د.ط) ، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م

40. *الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية*، عبد الإله الصائغ، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1999م

41. *دلالة الألفاظ*، إبراهيم أنيس، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م.

42. *دلائل الإعجاز*، عبد *القاهر* الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، (د.ط)، (د.م)، (د.ت) .

43. *ديوان الأعشى*، الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، (د.ط)، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، (د.ت).

44. *ديوان سأحمل روحي على راحتي*، عبد الكريم محمود، تحقيق: حنا أبو الحنا، (د.ط)، (د.م) مركز إحياء التراث، 1985م.

45. *ديوان ليلة الأخيلية*، ليلى الأخيلية، تحقيق: خليل وجليل عطية، (د.ط)، (د.م) وزارة الثقافة والارشاد، (د.ت).

46. *ديوان مالك بن الريب حياته وشعره*، مالك بن الريب تحقيق: نوري القيسي، (د.ط)، (د.م)،(د.ت).

47. *الرمز الشعري عند الصوفية*، عاطف نصر، ط3، (د.م)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

48. *رواية آلام فيوتر يوهان جوته*، موقع 1000 ليلة. تاريخ الاطلاع: 2018/11/17م. الرابط: https://www.1000lela.com

49. *الروائي الأردني أيمن العتوم*، هدير محمد، تاريخ الاطلاع: 2018/03/25م، الرابط: https://www.almrsal.com/post/496045 ، 2017م.

50. *السيرة النبوية*، محمد بن اسحاق، تحقيق: أحمد المزيدي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م.

51. *السيرة النبوية*، إسماعيل ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1976م.

52. *الشاعر أيمن العتوم*، قصائد لعيون القدس، تاريخ الاطلاع: 2019/02/10م. الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=qLqRpwtZH44 ، 2011م.

53. *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*، بشير يموت، ط1، بيروت، المكتبة الأهلية، 1934م.

54. *الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)*، عز الدين إسماعيل، ط3، عمان، دار الفكر العربي،(د.ت).

55. *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري، ط 1، بيروت، دار ابن كثير، 2002م

56. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط1، بيروت، دار احياء الكتب العربية، دار الكتب العلمية، 1991م.

57. *الصناعتين الكتابة والشعر*، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي الباوجي و محمد إبراهيم، ط1، (د.م) 1952م.

58. *الصورة الأدبية تاريخ ونقد*، علي صبح، (د.ط) القاهرة، دار إحياء الكتب المصرية، (د.ت).

59. *الصورة البصرية في شعر العميان دراسة نقدية في الخيال والإبداع*، عبد الله الفيفي، ط1، (د.م)، النادي الأدبي في الرياض، 1996م.

60. *الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام*، صاحب إبراهيم، (د.ط)، دمشق، اتحاد الكتّاب، 2000م.

61. *الصورة الشعرية (دراسة اسلوبية في ديوان مفدي زكريا)*، سورايه جودر وشنفاوي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عبد الرحمن ، 2015م.

62. *الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي*، مدحت الجبّار، (د.ط)، (د.م)، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984م.

63. الصورة الشعرية عند المعتمد بن العباد، حسناء أقدح، *مجلة جامعة دمشق*، *28*(2)، 41-78، 2012م.

64. الصورة الشعرية عند خليل حاوى، هدى بيطار، ط1، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، (د.ت).

65. *الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث*، بشرى صالح، (د.ط) (د.م)، المركز الثقافي العربي،(د.ت).

66. *الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس*، كاوة عبد الله، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة السليمانية، العراق، 2008م.

67. *الصورة الشعرية في شعر الحسيين في العصر الاموي*، أحمد الصباغ الدهني، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة جرش، الأردن، 2015م .

68. *الصورة الشعرية في شعر بشار بن برد*، ط1، عبد الفتاح نافع، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1983م

69. الصورة الشعرية في شعر فهد العسكر، شيماء محمد، *مجلة أبحاث البصرة*، *36*(1)، 62-88، 2011م.

70. الصورة الشعرية والرمز اللوني دراسة تحليلية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور، حسن نوفل، (دط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

71. *الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس*، ساسين عساف، ط1،.بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1982م.

72. *الصورة الشعرية*، سيسل دي لويس، ترجمة: أحمد الجنابي وآخرون، (د.ط)، العراق، وزارة الثقافة والاعلام، 1982م.

73. *الصورة الفنية في الشعر العربي*، إبراهيم الغنيم، ط1، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع، 1986م.

74. *الصورة الفنية في شعر علي الفزاني*، حنان شلوف، ط1، (د.م)، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2007م.

75. *الصورة الفنية(في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)*، *يُوسف*عصفور، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1992م.

76. *الصورة في الشعر العربي المعاصر في اليمن 1980-1995*، أحمد أسحم، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة آل البيت، الأردن، 1999م.

77. *الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري*، علي البطل،ط2، (د.م)، دار الأندلس، 1981م.

78. *الصورة والبناء الشعري*، محمد عبد الله (د.ط)، (د.م) ، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، (د.ت).

79. *طريق جهنم*، أيمن العتوم،ط2، (د.م)، عصير الكتب، 2019م.

80. *طيور القدس*، أيمن العتوم، ط2، غزة، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2016م.

81. *العتوم يروي في يا صاحبي السجن ترجمته الشخصية*، عزيزة علي، تاريخ الاطلاع: 2019/02/10م. الرابط: http://cutt.us/dYy41/ 2013م.

82. *العتوم*، مدونات الجزيرة، تاريخ الاطلاع: 2019/02/10م. الرابط: https://blogs.aljazeera.net/aymanotoom. (د.ت).

83. *عذرة*، موقع المعرفة، تاريخ الاطلاع: 2018/12/15م. الرابط: https://www.marefa.org/%D8%B9%D8%B0%D8%B1%D8%A9 (د.ت).

84. *علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)* ، بسيوني فيود، ط4، (د.م) ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2015م.

85. *علم البيان*، عبد العزيز عتيق، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية، 1985م.

86. *عن بناء القصيدة العربية الحديثة*، علي زايد، ط4، القاهرة، مكتبة ابن سينا، 2002م.

87. *عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر*، كمال غنيم، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998م.

88. *عيار الشعر*، محمد بن أحمد بن طباطبا، تحقيق: عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م.

89. *العين*، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية ، 2003م.

90. *فن التشبيه*، علي الجندي، ط1، مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، 1952م.

91. *فن الشعر*، إحسان عباس، ط3، بيروت، دار الثقافة، (د.ت).

92. *في البلاغة العربية (علم البديع)*، عبد العزيز عتيق، (د.ط) بيروت، دار النهضة العربية، (د.ت).

93. *في النقد الحديث (دراسة في مذاهب نقدية وأصولها الفكرية)*، نصرت عبد الرحمن، (د.ط)، عمان، دار جهينة، 2007م.

94. *قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد*، سعيد عبد الفتاح، (د.ط)، (د.م)،المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت)

95. *قصيدة وصورة*، عبد الغفار مكاوي، (د.ط) (د.م)، عالم المعرفة، 1987م.

96. *قضية الزمن في الشعر العربي بين الشباب والمشيب*، فاطمة محجوب، (د.ط)، (د.م)، دار المعارف، 1979م.

97. *قلبي عليك حبيبتي*، أيمن العتوم، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013م.

98. *كلمة الله*، أيمن العتوم، ط1، (د.م)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2015م.

99. *لحظة الإبداعية دراسة الزمان في أدب القرن العشرين*، سمير شاهين، ط1، (د.م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م.

100. *لسان العرب*، محمد بن علي بن منظور، (د.ط)، بيروت، دار صادر، (د.ت).

101. *اللغة الفنية*، ميدلتون موري ومجموعة مؤلفين، (د.ط) ، القاهرة، دار المعارف،(د.ت).

102. اللون علمًا وعملًا، محي الدين طالو، ط6، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.

103. *اللون ودلالته في القرآن الكريم*، نجاح المرازقة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مؤتة، الأردن، 2010م.

104. *ليل وبحر*، حياة أف أم. تاريخ الاطلاع: 2018/08/23م. الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=CzciJnOcDtA . (د.ت).

105. المتخيل الشعري عند أمل دنقل، عبد السلام المساوي، *جريدة نزوي*، العدد (38)، 2003م.

106. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد عبد الحميد، (د.ط)، (د.م)، مطبعة مصطفى الحلبي، (د.ت).

107. محمد ﷺ *في الشعر الحديث*، حلمي القاعود ، ط1، (د.م)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م

108. *مدارس النقد الحديث* ، محمد خفاجي ، ط1، (دم) ، الدار المصرية اللبنانية 1995م.

109. *مدخل إلى تحليل النص الأدبي*، عبد *القادر* أبو شريفة، ط4، عمان، دار الفكر، 2008م.

110. *مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا*، سمير المرزوقي، (د.ط)، بغداد، دار الشؤون العامة أفاق العربية، 1986م.

111. *مصادر الصورة الشعرية عند شعراء المدنية (قيس بن الخطيم نموذجًا)*، قندور كلبوتي، (د.ط)ن (د.م) المركز الجامعي سوق أهراس، (د.ت).

112. *مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم*، عزيز لعكايشي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1980م.

113. *معجم الأمثال الفلسطينية*، حسين لوباني، ط1، بيروت، مكتبة لبنان، 1999م.

114. *معجم المصطلحات الأدبية*، إبراهيم فتحي، (د.ط)، تونس، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، 1936م.

115. *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*، مجدي وهبه وآخر، ط2، بيروت، مكتبة لبنان،1984 م.

116. *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية، ط4، مصر، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.

117. *مفردات ألفاظ القرآن*، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط4، دمشق، دار القلم و بيروت، الدار الشامية، 2009م.

118. *مقدمة لدراسة الصورة الفنية*، نعيم اليافي، (د.ط)، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1982م.

119. *المكان في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي*، محمد الطربولي، ط1، (د.م)، دار الرضوان للنشر والتوزيع، (د.ت).

120. *من هو أحمد الدقامسة*، موسوعة الجزيرة، تاريخ الاطلاع: 2018/17/05م. الرابط: http://cutt.us/Brf3P ، (د.ت).

121. *من هو أيمن العتوم*، موقع أراجيك. تاريخ الاطلاع: 2018/03/17م. الرابط: https://www.arageek.com/bio/ayman-otoum. (د.ت).

122. *المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر*، ممدوح عبد الرحمن ، (د.ط)، (د.م) ، دار المعارف الجامعية، 1994م

123. *موسوعة الأمثال الشعبية*، صالح زيادنة، ط1، (د.م)، دار الهدى، 2014م.

124. *موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور*، صابر عبد الدايم، ط3، (د.م)، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1993م

125. *موسيقى الشعر، إبراهيم* أنيس، ط2، (د.م)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م.

126. *مؤلفات أيمن العتوم*، المكتبة المفتوحة، تاريخ الاطلاع: 2018/03/25م. الرابط: http://cutt.us/An5LC . (د.ت).

127. *النابلم القاتل الحارق*، منتدى الجيش العربي، منتدى الجيش العراقي، تاريخ الاطلاع: 2018/08/17م. الرابط: http://www.arab-army.com، (2012م).

128. *نبوءات الجائعين*، أيمن العتوم، ط3، غزة: دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2015م.

129. *نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة*، جميل حمداوي، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

130. *النقد الأدبي الحديث*، محمد هلال، (د.ط)، القاهرة، نهضة مصر للطاعة والنشر،1997م.

131. *نقد الشعر*، قدامة بن جعفر، ط1، قسطنطينية، الجوائب، (د.ت).

132. *نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص*، إيليا الحاوي، (د.ط)، (د.م) 1996م.

133. *هندسة الكلمات*، أيمن العتوم وآخرون، ط1، عمان، نقابة المهندسون الأردنيين، 2005م.